أرواحُ الطُّوفانْ

نماذج فذّة من البطولة والثبات في طوفان الأقصى

د. أسامة جمعة الأشقر

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

أرواحُ الطُّوفانْ

نماذج فذّة من البطولة والثبات في طوفان الأقصى

د. أسامة جمعة الأشقر

مركز الزيتونة
للدراسات والاستشارات
بيروت - لبنان

Spirits of the Flood

Exceptional Models of Heroism and Steadfastness in al-Aqsa Flood

By:

Dr. Osama Juma‘a Alashqar

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى

2024م – 1446هـ

بيروت – لبنان

ISBN 978-614-494-054-9

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطّي من الناشر.

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

تلفون: + 961 21 80 36 44

تلفاكس: + 961 21 80 36 43

ص.ب.: 14–5034 بيروت – لبنان

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net **الموقع:** www.alzaytouna.net

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:

تصميم وإخراج

ربيع معروف مراد

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 3
مقدمة 5
يسرا وأحمد المقادمة... الدكتورة وابنها الطبيب 9
هاشم غزال... الأب الروحيّ للصمّ 13
الدكتور رفعت العرعير... عبور رائد اللغة الإنجليزية وشاعرها 17
الدكتور عدنان البرش... صوت الملاءات البيضاء 21
هبة أبو ندى... أبجدية القيد الفلسطيني 27
حمزة عامر... المقاتل الأنيق 36
محمد عبد الرحيم صالح... شاعر المقاومة الصغير 41
تيسير أبو طعيمة... الشهيد الساجد 47
الدكتور محمد أبو زور... البصير المعلّم 54
عبد الله علوان... أوتار المقاومة 57
الدكتور رزق الغرابلي... إعلاميّ المقاومة 63
علاء الدين زهد... شهيد دون داره 69
الشيخ أحمد الصفدي... الإمام الحافظ 73
معين عياش... رجل الإصلاح الصالح 76
الدكتور عمر فروانة... رائد الطب الخيري وابنته الـ"آية" 80
الشاعرة آلاء القطراوي وأطفالها الشهداء... الخنساء الحزينة 90
أقمار آل نعيم السبعة! 101
الفنان علي نسمان... حارس الذاكرة 107
هبة زقوت... تشكيلية فلسطين 111

الداعية الشيخ عيسى مقداد... خطيب الطوفان 115
مصطفى الصواف وابناه منتصر ومروان... أسرة الصحفيين الشهداء 119
آية دحروج... الشهيدة السوريّة 123
ضيائي السوسي... المفسّر الشهيد 127
شهداء السطح الثلاثة... محمد ومؤمن ومعتصم أحفاد أمراء مؤتة 130
مهنّد جبريل... رجل النداء واللقاء 135
أنس الخولي... الطفل الذي سقاه رسول الله الماء والعسل 139

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مبارك الابتداء ميمون الانتهاء

أحمدك ربّي، وأستعينك، وأستهديك، وأصلّي وأسلّم على سيدي إمام الهدى وقائد مواكب الحقّ، وعلى أصحابه الذين نصروه، وإخوانه الذين اتّبعوه، وبعدُ؛

فقد رغب إليّ سعادة أخي الأكبر الأستاذ الدكتور محسن محمد صالح، مدير مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، أن أوثّق لبعض النماذج التي أثّرت في الناس، وغذّت أرواحهم بسيرتها وبطولتها ومواقفها، وأن يكون هذا التوثيق على النمط الذي أبثّه وأنشره في منشوراتي العامّة، التي تجد قبولاً ورواجاً بين الخاصّة والعامّة في معظم الأحيان على صفحات التواصل الاجتماعي، فاستعنتُ الله على ذلك بالرغم من انهماكي بمؤلفَين أنغمس فيهما معظم وقتي، وقد جعلتُ لنفسي شهرين أنجز فيهما هذا العمل على أن أتوقّف عن الكتابة في كتابيّ الآخرَين، وكنتُ أعلم أن الجانب الأعسر في هذا الكتاب هو توفير المعطيات الموثوقة من مصادر ليست متاحةً بسبب تشرّد مئات الآلاف، واستشهاد أكثر مَن أعرفهم من العلم والثقافة، وذهاب المكتبات العائلية والمراجع الشفويّة، ومع ذلك فقد شرح الله صدري لإنجاز الأمر إذ خشيتُ ألا يجد هؤلاء توثيقاً يليق بهم، ولو في الحدود الدنيا المتاحة، وتمّ الأمر كاملاً في ثالث أيام عيد الأضحى المبارك (12 ذي الحجة 1445هـ) وما تزال معارك طوفان الأقصى محتدمة، وما تزال الأمثال تُضرَب، وما جهلناه منها أكثر مما عرفناه وتبيّنّاه ووثّقناه.

ومن أعجب ما حدث لي أن بعض التراجم التي عملت على التوثيق فيها لنماذج لا تُنسَى من شخصيات هذا الطوفان وأيقوناته في الثبات والفداء من الرجال والنساء قد أرسلوا لي شيئاً من سيرهم وحكاياتهم وبعض خصوصياتهم بأنفسهم أو عبر أصدقائهم وأقاربهم بوصيّة منهم أو عائلتهم قبل رحيلهم.

وقد حرصت في توثيقي لرحلة هذه الأرواح أن تكون حاوية على فئات متفاوتة من المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة، ولا أقول هنا شرائحه فقد وحّدهم هذا الطوفان وقرّبهم بصورة لم يسبق لها مثيل، فستجدون في هذه الأرواح: الأساتذة والأكاديميين، والأطباء والمهندسين، والفنانين والشعراء والمثقفين، وستجدون المبصر والكفيف، والسميع والأصمّ، والرجل والمرأة، والأستاذ والطالب، والشيخ والشاب والطفل، والمقاتل بسنانه ولسانه وفرشاته، وستجدون الإمام والداعية، والطالب والتلميذ، والأم وابنها، والأب وابنه وابنته، والعائلة كلها وبعضها، والمستقلّ وابن التنظيم...

وقد اعتنيت في هذه الرحلة أن أجمع بعض ما أثّر فيّ ابتداءً، ورأيتُ فيه نماذج القدوة، ودواعي الأسوة، وأيقونات الثبات، وأعمدة الصبر، وأمثلة الرضا بالقضاء والقدر، واعتنيت أكثر بأولئك الذين اشتهروا بلقطة الوداع الأخيرة في حياتهم، فلم تعرفهم الشهرة إلا بعد رحيلهم، ورسموا وراءهم دلائل الصادقين، وعلامات الصّدّيقين، هؤلاء الذين عُرفت بطولاتهم في لحظة قدريّة فارقة بينما لم يُسعفنا القدر لمعرفة سير أبطال آخرين ظلّت بطولاتهم سِرّاً لا ندري إن كانت ستظهر أم لا، أو كانت لهم قصص لكنها لم تبلغني.

وجمعت في هذه المدوّنة نوادر الأشعار والآثار التي دونها هؤلاء الشهداء، ونوادر القصائد والمقالات التي أُنشِئت فيهم، وحشدتُ اللقطات الحيّةَ في حياتهم لتكون مادة توثّق لمسيرتهم ومواقفهم وخلاصة حكايتهم، وتسجّل سيرة استثنائيّة مثيرة في خضمّ أمواج هذا الطوفان مما تعلّق بها الناس أثناء انفعالهم بمتابعة أحداث معاركه، ومما اهتزّت الأسافير لدى تلقّيهم لها، وأثّرت فيهم تأثيراً بالغاً.

هذه الحكايات المشهورة في لحظات ظهورها لقيت حظّها من التوثيق والتسجيل على غير تدبير سابق أو قرار مُعدّ من أحد، وهي عينة صغيرة جداً من مشاهد عظيمة احتوت مواقف عظيمة غير مسجّلة وغير محفوظة أو لم يبقَ ثمة شهود يروون قصتها لاستحار القتل في هذه الحرب.

وسيرى القارئ أنني لم أورد قصص الشخصيات الكبيرة والقيادية التي ارتقت إلى جوار الله مقبلةً غير مدبرة، ولديها سجل حافل معلوم لدى الحركات والمؤسسات التي كانت جزءاً منها، فهذه الشخصيات ستجد غالباً من يوثق لها، ويحفظ أرشيفها، ويقدّمها إلى الناس يوماً ما، ولعلنا نسهم في ذلك أيضاً إن شاء الله.

وبما أن أكثر هذه الأرواح ليست من الشخصيات المشهورة التي يمكن معرفة سيرتها بسهولة، فقد حرصت على وضع معلومات مركزة عنهم في صدر كل ترجمة.

من أهم المصادر التي استخدمتها في جمع مادة هذه الرحلة صفحات هؤلاء الشهداء في منصات التواصل، وصفحات أهاليهم المثبتة، وقيمة هذه الصفحات أنها مصادر مباشرة موثوقة لم تتعرض للاستهداف أو التشويه أو التزوير، وفيها العشرات من التوثيقات المؤكدة لصحّة نسبتها إلى أصحابها؛ كما اتصلت بعدد كبير من معارفهم وأقاربهم هاتفيّاً لأحصل منهم على ما يفيد في تقرير اللحظات الأخيرة في حياتهم الدنيا؛ كما اعتمدت على أرشيفي الخاص الذي جمعته على مدار ثلاثين عاماً لإكمال المشهد الكلّي للشخصية التي أترجم لها من خلال ما يحيط بها ومن يحيط بها.

وكان بعضهم رأى في نفسه أن سيرته ستكون دعوةً ملهمة، فأحبّ أن يجعل بعضها بين يديّ لعلها تكون صدقة جارية له، ويستدعي دعاءَهم بتذكّره؛ وقد عجبت لبعضهم الذي أرسل لي حتى صور أطفاله ووثائقه الشخصيّة وذكرياته التي يحبّها، وجعلها عندي قبل وداعه بالرغم من أنني لم ألقَه يوماً.

ويهتزّ بدني عندما أرى أن السِّيَر المجهولة لكثيرين من المشهورة قصتهم المؤثرة الفارقة قد باتت عندي بعد أن رحل أشد الناس قرباً منهم، وكأنّ الله يجعل ذلك عندي أمانةً واجبة الأداء.

هناك ملاحم حقيقية تستحق التوثيق ولا سيّما الملاحم التي سطرها الأطباء والممرضون والكوادر الصحية في المستشفيات التي تعرضت لحملة تدمير شاملة، وملاحم الدفاع المدني ورجال البلديات في رفع الأنقاض وانتشال الشهداء والمصابين في المنطقة الأكثر تعرضاً للكوارث الهائلة على مدى أشهر بلا انقطاع ولو لساعة، وملاحم مجموعات الإغاثة العاجلة والإسناد الأهليّ السريع، وملاحم الإعلاميين والصحفيين الذين واجهوا النار بكاميراتهم وأقلامهم، وملاحم المتطوعين الذين هبّوا لتغطية النقص الحاد في تدبير شؤون القطاع والمساعدة في تسهيل حياة الناس التي نُكبت في كل مرافق حياتها وهُجِّرت.

ومع أن الغالبية العظمة من قصص هذه الرحلة هي لشهداء، إلا أن ثمة استثناء جعلته لنماذج فذّة من السيدات العظيمات الصابرات اللواتي فقدن أولادهنّ وعائلاتهنّ، ولكنهم سرعان ما وقفن على أقدامهنّ، وجعلنَ من هذه المحنة القاسية وقوداً يغذّي إيمانهنّ بحتميّة اللقاء بأحبابهنّ في جنّة عالية، وعدالة قضيّتهنّ في هذه الدنيا التي دفع فيها الأبرياء ثمن وحشيّة الاحتلال وغدره وعنصريّته البغيضة.

ونحن هنا إذ نسجّل بعض اللقطات من حياة هؤلاء الراحلين، فإن ثمة قصصاً عظيمة تروى لمئات الأحياء من أهل قطاع غزّة وأبطالها، ولولا كثرة هذه القصص وتكرارها وتعدد شخصياتها بحيث لم تعُد تصنّف ضمن المشاهد الغرائبيّة أو الخارجة عن مألوف العادة، في ظلّ هذه الملاحم التي تسطرها بطولات الغزّيين، وثباتهم الأسطوريّ، وتعايشهم مع واقع دمويّ مجنون لا تحكمه حدود من الأخلاق أو القوانين أو الاعتبارات.

وكل حكاية وثّقناها هنا تصلح أن تكون مادة لأعمال توثيقية أو دراميّة، وتؤسّس لقصص خالدة تستحق أن تُروَى ويُفاض البحث فيها لوصولها غاية التجربة الإيمانيّة بتسليم الروح لبارئها في قناعة ورضا وإقبال.

د. أسامة الأشقر

إسطنبول 2024/6/18

يسرا وأحمد المقادمة... الدكتورة وابنها الطبيب

يسرى عبد العزيز المقادمة "أم بكر" وابنها أحمد سعيد المقادمة "أبو عمر"

تعود أصول أسرة المقادمة إلى بلدة بيت دراس المهجّرة، وهي بلدة مشهورة بالكرم والعناد وشدة البأس وقوة الشخصية.

الدكتور أحمد المقادمة جراح تجميل يعمل في قسم الحروق بمستشفى الشفاء، وحاز زمالة الابتكار الإنساني من الكلية الملكية للجراحين في إنجلترا.

كان الدكتور أحمد يعمل بهمّة وشغف، ويرى في علاج المرضى والمصابين جهاداً، وقد نشط من قبل في المرافقة الطبية لمسيرات العودة التي كانت تخرج إلى الحدود في حشود كبيرة على طول الحدود المحتلة مع قطاع غزة، وتفرّغ للعمل في المستشفى طيلة حرب 2021، وكان متفانياً في عمله لا يكاد يرتاح، مع ابتسامة دائمة، ولطافة مريحة، وروح جميلة تبعث الطمأنينة في النفوس.

منذ بدء حرب طوفان الأقصى وضع الدكتور أحمد نفسه في قلب الجبهة الطبيّة، فكان ينتقل من مستشفى الشفاء إلى مستشفى القدس إلى المستشفى الأهلي، وترك وراءه زوجته وطفله الصغير في جنوب القطاع ليكونا بعيدَيْن عن مناطق العمليات في بداية الحرب، ولم يرَ زوجته وطفله منذ بداية الحرب لأكثر من ستة أشهر متصلة.

أصرَّ على البقاء في شمال غزة بالرغم من الضغط العسكري العنيف، وتهجير مئات الآلاف من سكان شمال القطاع، وعلى الرغم من قصف منزله وتدميره، وقصف الشقّة التي استأجرها بعد ذلك، وفقدانه الكثير من وزنه في تلك المحنة والحصار والتجويع، وقد وثّق شهادةً بذلك في منشور على حسابه في فيسبوك وضعه يوم 2023/10/10: "الحمد لله في السراء والضراء، في جريمة ضدّ الإنسانية قصف الاحتلالُ البنايةَ السكنية التي أسكن فيها بعد أن هدد عمارة مجاورة لنا بالقصف".

كان الدكتور أحمد شديد الانصراف إلى عمله الطبّي، وكان يوثق لأكثر عملياته الجراحية، ويرسلها إلى بعض زملائه الأطباء ليتعلم أكثر، ويطلب المشورة، إذ ما زال في بدايات حياته العملية التي تتطلّب الكثير من الحرص والدقّة.

بعد اقتحام جيش الاحتلال مستشفى الشفاء هاجم العدو منطقة أنصار التي يسكنها الدكتور أحمد وأمّه.

ظلت الأم وابنها تحت النار مدة طويلة، وعندما كانا ينجوان من الموت كانا يقعان فيه مرّة أخرى، ولكنهم ظلّا ثابتين، ولقيا الله، وهما في صيام ورباط ونزوح قد أنهكهما الجوع، واشتدّ عليهما الوجع ومشاهد القتل والدمار والاعتقال المتعسّف والتهجير المذلّ.

فُقد الدكتور أحمد وأمّه مدة أسبوعين، لم يُعرَف لهما وجود منذ اقتحام جيش الاحتلال لمستشفى الشفاء وارتكاب مجازر فيه، ثم أجبر العدوُّ المئات على النزوح، وكان الدكتور أحمد وأمّه بين النازحين، ولكن جيش الغدر لم يتركهم ليصلوا إلى محل نزوحهم الإجباريّ، فقنصهم واحداً واحداً وأعدمهم جماعياً، وترك جثثهم عند "مول كيرفور" بمدينة غزة.

وكتبت الزوجة المكلومة الدكتورة إسراء محمد في أثناء حصار زوجها نداءً مؤلماً يصف حال زوجها ومن معه، فقالت إن زوجها طبيب في قسم الحروق بمستشفى الشفاء، وأنه منذ 38 يوماً وهو على رأس عمله بعيداً عنها وعن طفله عمر، وأن أيام ابتعاد طفلها عن أبيه أكثر من أيام احتضانه له منذ ولادته، فعمره لا يتعدى الأشهر، وتحدثت في مناشدتها أن المستشفى يتعرض لحصار خانق منذ أيام، وأن المرضى والأطفال الخدّج والنازحين إلى المستشفى والطواقم الطبية جميعهم تحت الحصار، وأنهم لا يستطيعون التنقل بين أبنية المستشفى وأقسامها الداخلية لأن القناصة يصطادون كل شيء يتحرك دون تمييز. وقالت إن المحاصرين ليس لديهم طعام ولا وقود لتشغيل أقسام المستشفى

وقد نفدت جميع المستلزمات الطبية لديهم؛ وختمت مناشدتها بحالة يأس موجعة بأنها لا ترجو من هذه المناشدة أن يستيقظ الضمير العالمي أو يتحرك الأشقاء العرب، أو تهرع المؤسسات الإنسانية والصليب الأحمر لفتح ممر آمن للمحاصرين، وإنما كتبت مناشدتها ليكون الناس مع هؤلاء بدعائهم لأن أحداً سوى الله لن يرحمهم مما هم فيه.

ثمّ كتبت الزوجة مناشدة أخرى عدة مرات تتحدث فيها أنها فقدت التواصل مع زوجها الدكتور أحمد المقادمة وأمه الدكتورة يسرى المقادمة، وذلك بعد احتجازهما من قبل قوات الاحتلال في مستشفى الشفاء، ثم إجلائهما قصراً من منطقة أنصار في غزة؛ وتحدثت أنّ آخر منطقة كانا تواصلا فيها مع بعضهم كانت في منطقة "مول كيرفور" يوم 2024/3/22. وناشدت كل من لديه معلومات عنهم التواصل معها، وكان زملاء الدكتور أحمد ومعارف أمه يعيدون نشر هذه المناشدة باللغتين العربية والإنجليزية رجاء معرفة أي شيء عنهما لا سيّما أن الدكتورة يسرى موظفة أمميّة وابنها الدكتور أحمد ضمن الطواقم الطبية التي تحظى باحترام خاص في المعايير الدولية.

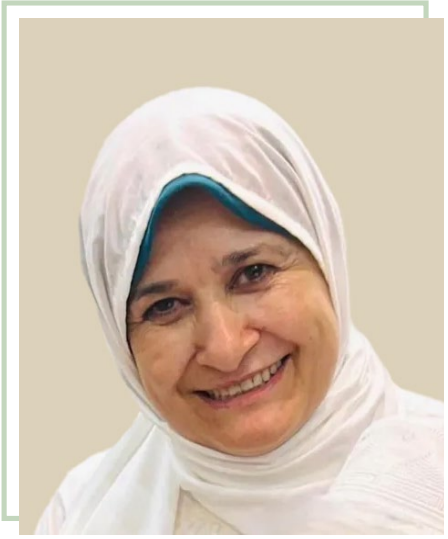

الأمّ الدكتورة يسرى المقادمة كانت معلمة ناجحة لمادة الرياضيات في مدارس وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى (الأونروا)، وكانت كابنها تنتقل من مدرسة إلى مدرسة، التي تحوّلت من مراكز تعليم إلى مراكز إيواء، ثم تحولت إلى مقابر بعد استهدافها. وكانت الدكتورة يسرى تعمل في إدارة عمليات الإيواء في هذه المدارس نظراً لخبرتها وعلاقاتها، وكان عليها أن تكون قائدة ومديرة ومرشدة ومربية وراعية لآلاف العائلات المنكوبة من هؤلاء النازحين الذين كان أكثرهم من الأطفال والنساء الذين يحتاجون إلى الكثير من العون النفسي والمادي، وكانت تقضي أكثر أيامها صائمة بعد الحصار الشديد الذي تعرضت له مناطق شمال قطاع غزة.

كانت الدكتورة يسرى ترفض النزوح وترك عملها في خدمة النازحين، وظلّت على رأس عملها حتى أخرجوها قسراً من مركز الإيواء، وكان إذا نصحها أحدٌ بالنزوح ترفض ذلك بإباء، وتقول إنها لن تنزح من ديارها حتى لو لم يبقَ في هذه المناطق أحد سواها.

كانت تعدّ هذا العمل جهاداً، وكثيراً ما تردد الشعار: "إنه لجهاد نصر أو استشهاد"، وكانت تبيّت في نفسها نيّة الرباط، ونالت الشهادة في رمضان صائمة، وعندما وجدوا جثمانها كانت تحمل كتاب الله بين يديها.

كانت تحب الأيتام، وكانت شديدة العناية بهم في مراكز الإيواء، وتعدّ نفسها أمّاً لهم، وكانوا يحبون لقاءها لحنانها وشدة حرصها عليهم وعنايتها بهم.

كانت منشوراتها الأخيرة في حسابها على فيسبوك تفيض بالوجع والشعور بالخيبة والخذلان، مع الافتخار العالي بالمقاومة:

- "حسبنا الله لا إله إلا الله! هذا حالنا على مدار الدقيقة والثانية؛ والوقود العربي الإسلامي لا ينقطع عن المدمرات الصهيوأمريكية".
- "لا إنسانية ولا قيم... مجزرة المستشفى المعمداني، أكثر من 800 (معظمهم من الأطفال والسيدات)".
- "عادةً تتحرك مؤسسات الأمم المتحدة الإغاثية إلى أماكن الحروب والنزاعات إلا غزة تحركت للهروب منها إلى رفح على الحدود المصرية؟!؟"
- "اللهم ثبت المرابطين وكن عوناً وسنداً لهم، ووحِّد صفوفهم، وانصرهم".
- "حقّاً كنتم أصدق من وعد وأوفى من أؤتمن؛ ومع ذلك وأكثر لا زلنا نشتبك في العمق".

تلقَّت الدكتورة يسرى رصاصة غادرة من قناص غادر حيث كانت تنتقل إلى منطقة أخرى مع ابنها الدكتور أحمد وآخرين، وقتلوا كل من كان معها برصاص قناصتهم، ولم يجد الأهالي جثثهم إلا بعد أسبوعين من البحث قرب "مول كيرفور" بمدينة غزة.

خذلونا ولكن!!

"يا رسول الله لا تشفع لهم لأنهم خذلونا فقط لا غير"...

هكذا كان جواب إحدى النازحات في قطاع غزة عند سؤالها عن رسالتها للدول العربية، وأضافت: "رح نظل صامدين وصابرين بإذن الله عز وجل، ولن نتهاون، ولن نُذل، ولن نُساوم حتى آخر ذرة تراب في أرض فلسطين، حتى لو قصفوا بيوتنا، ودمّروا بلادنا... ربنا هو اللي بطعمي، وربنا هو اللي بشرّب، مش الدول العربية، همّ اللي خذلونا، إحنا كان أملنا بالله عزّ وجل ثم فيهم، لكن الآن خلص".

هاشم غزال... الأب الروحيّ للصمّ

هاشم عبد الله هاشم غزال

الأب الروحيّ للصمّ في قطاع غزّة

مؤسس جمعية المستقبل للصمّ الكبار ورئيس مجلس إدارتها لعشر سنوات

مدرب للصمّ في جمعية أطفالنا للصمّ

مدرس مهنيّ لمهنة النجارة

هاشم غزال ليس رجلاً عادياً، بل هو الأب الروحيّ للصمّ في قطاع غزّة، ولا سيّما أولئك الذين لا يجدون مكانهم في المجتمع، ولم يتأتّ له هذا الوصف إلا لكثرة إنجازاته في خدمتهم، ومعاناته وتجربته ليكون معلّماً ملهماً لهم، ومدافعاً شرساً عن حقوقهم، ولا سيّما أنّه كان عنواناً بارزاً في تطوير لغة الإشارة في فلسطين ووضع قاموسها، وتعليم الأعمال الحرفية لمئات الأطفال الصمّ، وقد شارك في تنفيذ العديد من البرامج التدريبية لتأهيل الكوادر العاملة في مجال تعليم الصمّ، فدرّب المئات من عائلات المصابين بالصمم.

هاشم غزال هو شيخ الصمّ في قطاع غزة، وهو الذي قادهم خلال الثلاثين عاماً الماضية، وأسمعهم نبض الحياة، ووضع قضيتهم أمام المؤسسات الدولية والإعلام العربي والأجنبي، وفتح لهم طريق الإرادة والأمل.

وقد مثّل الصمّ في قطاع غزة لدى العديد من دول العالم، وكان يتابع التكنولوجيات المتطورة في عالم الصُّمّ، وكان يتبنى مقولة أن فاقد الشيء قد يعطيه إذا امتلك العزيمة والإرادة.

وكان يحاول أن يبدع في استحداث طرق تواصل فعّالة بين الصمّ ومجتمعهم السميع، فكان يطلب من الناس أن يَسمعوا هؤلاء الصمّ بأعينهم، ويحاولوا تعلّم بعض لغتهم في مجالات الحياة المباشرة السهلة لِمَن كان في حيّه أو عمله أو بيئته واحد منهم.

عاش هاشم غزال حياة مريرة، فقد ولد أصمّ، ثمّ فقد والده وهو في الثالثة من عمره، وتكفّلت أمه بتربيته ورعايته في بيئة لا توجد فيها مرافق مخصصة للصمّ، وظلّ أكثر مراحل طفولته بلا معلّم ولا مدرسة، وتعرّض للكثير من العوائق في طريق تكيّفه مع المجتمع، وتعلّم النجارة صغيراً لينشغل بشيء يفيده ويتيح له فرصة عمل عندما يكبر، ثم فتحت له أمّه الصابرة منجرة صغيرة يعتاش منها، فكان يصنع الأثاث المنزلي والأرائك، ويصمم المنتجات الخشبية والمنحوتات والرسوم الخشبية.

وجدت له أمّه شريكة حياة، وكانت تشترط ألا تكون صماء، وعلّمتها لغة الإشارة، وكانت الأم وسيطاً بين الزوجين في البداية، حتى صارت الزوجة وريثة أمّه في التواصل مع زوجها ومجتمع الصمّ الذي عاشت فيه معه، وكان التحدي الصعب الأول لهاشم أنّه أنجب ابنته الأولى صمّاء مثله، ولم يجد لها مكاناً تتعلم فيه لغة الإشارة فكاد أن يغادر القطاع، لولا أنّه وجد أخيراً جمعية ناشئة للأطفال الصمّ في غزة فقبلوا ابنته، لتبدأ مسيرة تفاعله الإيجابي مع حياة الصمّ.

رُزق هاشم غزال بتسعة أولاد: ستة منهم من الصم وثلاثة ناطقون، وكان يحفّز أبناءه وبناته على الشجاعة في التعبير بلغة الإشارة، وأنها لغتهم التي يعتزون بها، وأنّها بمثابة لغة أجنبيّة يمهرون بها، وكان من نتائج تعليمه ونجاحاته أنّ ابنته الكبيرة الصماء خطبها رجل ناطق، وهي معلمة في مدارس الصمّ.

مع بداية أحداث طوفان الأقصى كان هاشم غزال وعائلته يعيشان على توقّع الموت، وهم يرون كل هذا الدمار حولهم، لا سيّما أنهم قريبون من الحدود الملتهبة التي كانت دبابات العدوّ الثقيلة تجرّفها تجريفاً، وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا يسمعون أصوات التدمير إلا أن آثاره كانت تملأ أعينهم التي كان عليها أن ترى وتسمع معاً، وإذا عدِموا الرؤية فإنهم كانوا يشعرون بالقصف نتيجة الاهتزازات التي تتموّج في بطونهم عندما تضرب القذائف الجدران والأرض.

فقدت عائلة هاشم منزلها قبل استشهاده، وكانت زوجته أم هيثم تُخلي أولادها بصعوبة بالغة عند كل قصف، وكان أكثر ما تعانيه أنها يجب أن تفعل ذلك يدوياً ومباشرة لأن الصوت المنذِر مهما علَت نبرته فإنه لا يصل إلى آذانهم، وكانت هي لسان هذه العائلة وأذنها، وهي جسر النجاة الوحيد لهم، وكادت أم هيثم تنهار مرات عديدة بسبب التشنجات التي تصيب عائلتها من مشاهد الدمار، وانتظار الموت، ومع ذلك فقد ظلّت هي وزوجها عند أطلال منزلهما المدمّر يحاولان إعادة الحياة له.

فَقَدَت العائلة أيضاً مقر جمعية "أطفالنا" للصم في منطقة الرمال قرب ميناء غزة، وهي الجمعية التي كانت محل عمله وجوهر حلمه وطموحه الكبير، فبكى عليها بكاء شديداً، وأضرب عن الطعام أسبوعاً حِداداً عليها، ثم ضربت المجاعة المنطقة فلم يجدوا إلا علف الدواب وحشائش الأرض المقلوبة بالنار حولهم، فنحَل جسده، وتغيّرت ملامح وجهه المستدير المتلئ، ولكن حلمه لم ينقطع فكان يزرع حول بيته المدمر شتولاً تعتاش منها أسرته، ويتسلّى بحكاية ذكريات بناته الثلاثة المتزوجات التي انقطعت أخبارهنّ عنه بعد نزوحهن إلى الجنوب، قبل أن تضربه القذائف مرة أخرى، وتنهي حياته وحياة زوجته أم هيثم.

ظهر الإثنين 2024/5/13 انكسرت قلوب الصُّمّ بفقد أبيهم وروحهم هاشم غزال ذي الثامنة وخمسين عاماً، وبفقد زوجته أم هيثم التي كانت تتكلم بلسانها ويديها، وكانت وسيطاً لا غنى عنه في نظام التواصل مع المجتمع الذي لا يعرف لغة الإشارة.

ولأن هذا الاحتلال يقتل بلا حساب ولا وعي ولا مراعاة لأي أوضاع خاصّة فإن طائراته ومدفعيته قصفت منزل هاشم غزال، ودمرته عليه وعلى زوجه وأولاده في شارع يافا بحيّ التفّاح في مدينة غزة، ومزقتهم بملابسهم التي استعاروها دون أن يسمعوا صوت انفجارها القاتل، وهدمت بيتهم فوق رؤوسهم، وأصيبت "وعد" وهي إحدى بناته بكسور في يدها وأصابعها ففقدت القدرة على النطق بأصابعها ويديها، وأرسلت أختها المصابة "نداء" نداءً لإنقاذ ما تبقى من هذه العائلة التي تعاني من تلك الإعاقة المستديمة وسرعة التدخّل لمعالجة الإصابات البالغة التي لحقت بهم.

برحيل هاشم غزال اتسع الفراغ لهذه الفئة الرائعة الطيبة في المجتمع الفلسطيني، ولكن ذكراه أشعلت جذوة إلهام لا ينضب في قلوب هذه الفئة وعائلاتهم.

فجعوه بأمِّه!!

يقول الصحفي محمد قريقع إنَّه فَقَدَ التواصل معها بعد اقتحام قوات الاحتلال لمستشفى الشفاء فجر 18 آذار/ مارس 2024، وفرزِهم النساء عن الرجال. ويضيف: "اتصلتُ بها لأطمئن عليها فقالت لي: كيف حالَك يما، ما عندي ميّه [ماء] أشرب الدواء، ما عندي أكل، نمت على الأرض، وينك يا حبيبي؟"، فطمأنها قائلاً: "إن شاء اللّه سنلتقي". انتهت المكالمة مع والدته، واستقبل مكالمة أخرى من رفيقتها في رحلة النزوح داخل المستشفى، تُخبره بفشل كل محاولاتها إقناع أمه بالنزوح معها نحو جنوب القطاع دونه.

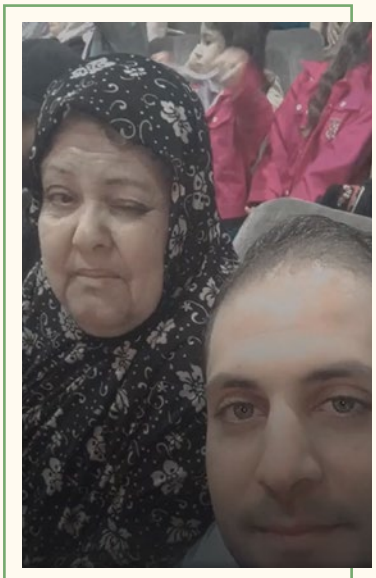

ومع انتهاء الاحتلال من محرقة مستشفى الشفاء وانسحابه منها في الأول من نيسان/ أبريل 2024، بدأ الصحفي محمد قريقع رحلة التفتيش عن أمه، وأطلق مناشدات عبر مواقع التواصل الاجتماعي على أمل أن يجدها، إلى أن وَجَدَها جسداً منتفخاً ومتحللاً بالكامل... "هي أمي" صَرَخَ محمد صرخة ممزوجة بالقهر، وَجَدَها مُلقاةً تتوسطها بقعة دماء كبيرة عند مستشفى الولادة...، "عرفتها من نومتها، عرفتها من أظافرها، عرفتها من شعرها الأبيض... أنا وحيدها، أنا وحيد أمي".

رحلت أمه شهيدة بعمر 65 عاماً بعد إعدام جيش الاحتلال لها بدم بارد، وهي تعاني من مَرَضَيْ السكري والقلب.

الدكتور رفعت العرعير... عبور رائد اللغة الإنجليزية وشاعرها

رفعت رفيق سعيد العرعير

بكالوريوس اللغة الإنجليزية من الجامعة الإسلامية بغزة

ماجستير الأدب الإنجليزي من يونيفرستي كوليدج في لندن

دكتوراه من جامعة بوترا في ماليزيا

عضو هيئة التدريس بقسم اللغة الإنجليزية في الجامعة الإسلامية

مؤسس ومشرف قسم الإعلام الاجتماعي (سوشيال ميديا) في المركز الفلسطيني للإعلام

شاعر وأكاديمي ومترجم

يُلَقَّب رفعت برائد اللغة الإنجليزية في قطاع غزة، وذلك أنّه كتب الرواية والشعر باللغة الإنجليزية، ووصلت أشعاره إلى منصات أدبية كبيرة في بريطانيا والولايات المتحدة، وتُليت أشعاره بعد استشهاده في مناسبات عديدة.

درّس العرعير الشعر والأدب الإنجليزي في الجامعة الإسلامية بغزة، وشرح أعمال شكسبير وتوماس وايت وجون دون ويلفريد أوين...، وقام بتحرير كتابَي "غزة لا تصمت" و"غزة تكتب مرة أخرى Gaza Writes Back"، كتابه الأخير هذا جمع فيه كتابات طلبة فلسطينيين من قطاع غزة كابدوا الألم والمعاناة بأنفسهم، لينقلوها إلى العالم الغربي بلغته. وهي كتابات تفاعلت معها الأوساط الغربيّة المهتمّة، وتداولتها على نطاق واسع.

سردُه القصصيّ بهذه اللغة كان يعتمد على إعادة سرد المرويات الشفوية التي تناقلها الآباء والأمهات والأجداد، فقد كان يخشى أن تنقرض وتنطوي في عالم النسيان بسبب عزوف الجيل الجديد عن الاهتمام بالقصص والمرويات

الشفوية والحكايات السائرة لغلبة الثقافة التكنولوجيّة وطريقتها المعتمدة على القص واللصق والاختصار، وقد كان يتحدث أنه يريد تثبيت رواية فلسطينية للقضية الفلسطينية، ويقدّم للعالم رؤيته لقضيته، يقول:

"أنا الرجل الذي أنا عليه الآن بسبب القصص التي روتها لي أمي وجدتي".

"كفلسطينيين تحت الاحتلال، تتجاوز روايةُ القصص القيمةَ التعليمية إلى الحاجة الملحّة لامتلاك روايتنا، وهو الأمر الذي يعيد القوة للمجتمع بدلاً من النخبة؛ إن القصص التي يمكن أن يرويها الناس عن أرضٍ ما هي إلا دليلٌ على حقّهم في تلك الأرض".

"أجد نفسي تنازعني بين الرغبة في إخراج عائلتي إلى الخارج بسبب الصواريخ والشظايا والحطام المتساقط، وبين البقاء في المنزل لنكون عرضة لقصف الطائرات الإسرائيلية، الأميركية الصنع، وفي النهاية بقينا في المنزل.. على الأقل سنموت معاً".

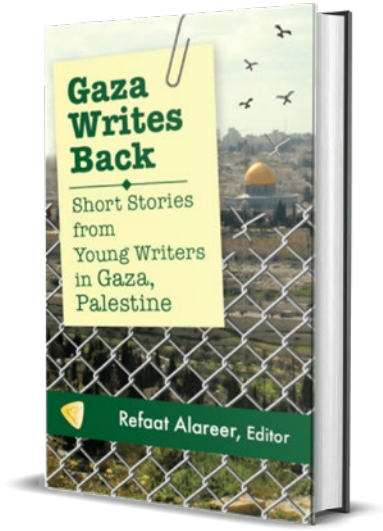

أسَّس العرعير مع زملاء آخرين له أحد مشاريع أحلامه الإنسانيّة الموجّهة للغرب: "نحن لسنا أرقاماً"، وجمع مؤلفين من غزة من الشباب والأطفال بـ"مرشدين" في الخارج يساعدونهم في كتابة قصص عن واقعهم الصعب بالإنجليزية، ليعرف هذا الغرب ماذا يحصل في فلسطين بعيداً عن الدعاية الصهيونية العملاقة؛ ووقف العرعير خلف حساب "شهداء غزة" باللغتين الإنجليزية والعربية، ليترجم قصص الشهداء الفلسطينيين ضمن برامج هذه الحملة، وكانت ترجمة مسلسل "التغريبة الفلسطينية" أحد المشاريع التي كان يتحدث عنها الدكتور قبل استشهاده.

كان العرعير قد بلغ الـ 44 من عمره، واستوى أدبُه وعلمُه وفهمه، وصار قِبلة الإعلام الأجنبيّ، وصارت غزّة حيّة باللغة التي يتقنها، ويتقنها العشرات من طلابه ورفاقه، حتى استوفى أجله بعد ثلاثة أشهر من بدء الطوفان، وتحديداً في 2023/12/7.

أصرّ رفعت العرعير أن يترجم مواقفه الثابتة إلى حقائق واقعة، ورفض بإصرار سياسة تهجير السكان وتفريغ القطاع بغرض إعادة احتلال، وثبت في حيّه الصامد الشجاع حيّ الشجاعية، ولم يأبه لتهديدات الاحتلال، فكان يمشي كل يوم ساعات بين أحزمة النار، ليرصد مشاهد الدمار وحكايات الإبادة الجماعية، وينتظر أيّ سانحة تُطلّ

منها خدمة الإنترنت لينشر الصور والقصص المعبّرة عن وحشية هذا الاحتلال، وكانت تقاريره التي تبثّها المنظمات والأُطُر الطلابية والنقابية الغربيّة السبب المباشر لقرار الاحتلال تصفيته بأيّ طريقة ودون أيّ حدود أو ضوابط.

كان العرعير يتنقّل من مكان إلى مكان كالمطارد مع عائلته، فقد أوى قبل استشهاده إلى مدرسة تابعة للأونروا في حيّ التفّاح في غزة عندما اتصل به ضابط إسرائيلي من هاتف مجهول ليبلغه أنّهم يعرفون مكانه في المدرسة، وأن القوات البرّية في الجيش ستصل إليه، وستقتله، ولن تحتجزه، كما وصلت إليه عشرات التهديدات في منصات التواصل الاجتماعي، ولم يجد الدكتور مكاناً يلجأ إليه سوى شقة أخته أسماء في حيّ الدرج قبل أن تسقط عليه القذائف عمداً، وهو في الطابق الثاني من المبنى المكوَّن من ثلاثة طوابق، وهناك ارتقى الدكتور رفعت شهيداً مع أخيه صلاح وابن أخيه محمد، وارتقت أيضاً أخته أسماء وأبناؤها الثلاثة علاء ويحيى ومحمد؛ وأصيب في هذه المجزرة زوجة شقيقه صلاح وطفلان آخران.

حكاية العرعير مع الموت لم تبدأ يوم استشهاده، فقد ذاق طعم الموت عندما استهدفت طائرات الاحتلال منزله سنة 2014، واستشهد في هذه الغارة أخوه حمادة؛ وكانت العائلة مرة أخرى مع الموت بصورة أعنف عندما استهدف الاحتلال منزل شقيقته الذي أوى إليه مع بعض عائلته فقتلوه، وقتلوا أخاه وأخته وأطفالها.

لم يتوقف مسلسل القتل في عائلة العرعير فبعد أربعة أشهر من قتل رفعت العرعير قتل الاحتلال ابنته الكبرى شيماء بالطريقة الجبانة نفسها في حيّ الرمال بغرب مدينة غزة، وقتلوا معها زوجها محمد صيام وابنهما الرضيع.

وُلِدَ رفعت العرعير في التاريخ الذي استشهد فيه، فقد ظهرت قصته كقصيدة خالدة عنيدة، وتعرّف الناس في الغرب خصوصاً إلى قضيته من خلال ما تركه وراءه من كلمات وأشعار ترثي غزّة وتمجّدها.

حيّ الشجاعيّة كان وطنه الصغير وفخرَه الكبير منذ ولادته فيه في 1979/9/23، وهو الحيّ المجاهد الصلب الذي يعيش فيه نسل من المقاتلين القدماء الذين سكنوا في ثغر غزة في العصور الإسلامية الأولى والتالية، وكان هذا الحيّ المقاتل العنيد يشبه طباع العرعير وقوة شخصيته وصلابة إرادته.

كان سلاح العرعير في لغته الإنجليزية الأنيقة العالية التي اتخذها مدخلاً لكل اشتباكاته الإنسانية التي كان فيها الإنسان هو مزيج الأمل والألم المتفاعل مع المكان الثائر، وعندما استشهد فإن قصة موته تحولت إلى حكاية الإنسان الفلسطيني كما قال في آخر أشعاره قبل استشهاده:

"إذا كان لا بد أن أموت، فليأتِ موتي بالأمل، فليصبح حكاية"

وقد اتخذت اللغة عند العرعير موقعها الهجوميّ والدفاعيّ المعبّر عن قضيته، وكانت أداته التي يهدم فيها المصطلحات الإجبارية التي فرضها العالم على هذه القضية، واستطاع أن يجعل من هذه اللغة صوتاً قويّاً يصرخ بكل ثقة إننا شعب حيّ موجود منذ القدم.

في مطلع قصيدته الأخيرة التي نشرها مطلع تشرين الثاني/ نوفمبر باللغة الإنجليزية كتب حكمته المعبّرة:

"إذا كان يجب أن أموت، فلا بدّ أن تعيشوا، لتروووا قصتي، وتبيعوا ما تبقّى من أشيائي".

معزّز عبيات: من لاعب كمال أجسام إلى جسد مُحطَّم

تسعة أشهر من الاعتقال في سجون الاحتلال الإسرائيلي كانت كفيلة بتغيير كل ملامح الأسير معزز عبيات (37 عاماً) من مدينة بيت لحم، فبعد أن كان لاعب كمال أجسام صاحب بنيان قوي خالٍ من الأمراض قبل اعتقاله، خرج من سجن النقب الصحراوي منهاراً، يتملكه الخوف، عاجزاً عن الحركة دون الاستعانة بأحد، وفي حالة صحية يرثى لها.

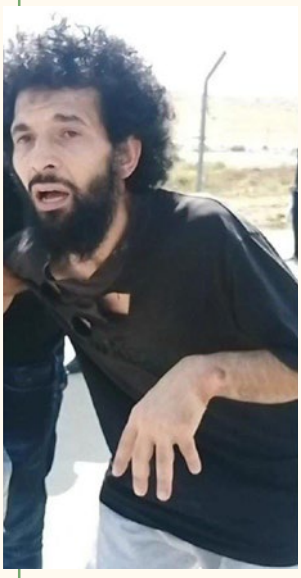

"وضعي صعب جداً.. بن غفير داس على جسدي"، هذا ما قاله عبيات عند الإفراج عنه، وأضاف وهو يبكي: "نحن بنموت كل يوم.. نحن في السجن ألفين واحد، كل يوم بنموت"، في إشارة إلى العدد الكبير للأسرى في سجن النقب، والذين ارتفع عددهم منذ معركة طوفان الأقصى. وقال عبيات: "في 12/4 تعرّضت لعملية قتل في سجن عوفر"، ووضعوا جسده في كيس أسود ونقلوه إلى المستشفى.

لا يتذكر عبيات عائلته ولا أبناءه الخمسة، حيث تُخيِّم صور التعذيب والإهانة والتجويع على ذاكرته، مردداً تاريخ "قتله"، وعالقاً في سجنه على الرغم من خروجه منه.

الدكتور عدنان البرش... صوت الملاءات البيضاء

عدنان أحمد عطية البرش – جباليا البلد

رئيس قسم جراحة العظام والمفاصل في مستشفى الشفاء في غزة

بكالوريوس في الطب من جامعة ياش في رومانيا

البورد الأردني والبورد الفلسطيني في جراحة العظام والمفاصل

الزمالة البريطانية في جراحة الكسور المعقَّدة في لندن

ماجستير علوم سياسية من جامعة الأزهر بغزة

رئيس الدائرة الطبّيّة في الاتحاد الفلسطيني لكرة القدم

هناك أمثلة من الرجال فذّة لا تكاد تتكرر إلا في مواسمهم التي لا تولَد إلا برهةً من الدهر ما تلبث أن تنقضي بعد أن تنقش تذكرتها الخالدة.

إنّه طبيب خمسينيّ نال من شهادات الطبّ أرفعَها، وارتدى القميص الأبيض ليناضل به في جبهة الطب وميدان عمله في الجراحة، وكان آخر ما توسّمه من المناصب أنْ كان رئيساً لقسم جراحة العظام والمفاصل في مستشفى الشفاء الذي كانت فيه ملاحم مشهودة قبل أن يدمّره أوغاد العصر.

اشتهرت صورة الدكتور عدنان البرش وهو نائم جالساً مسنداً ظهره إلى جدار المستشفى، وقد شدّ يديه، وتلطّخ قميصه الطبي الأبيض بدماء كثيرة؛ هذه الصورة للدكتور عدنان نشرها خلال نومه بمكان عمله في مستشفى الشفاء، وأوضح أنها كانت يوم 2018/4/15 في فعاليات مسيرات العودة، حيث أجرى يومها عشرات العمليات في يوم واحد لعدد كبير من المصابين، وقال إن الصورة التقطت له وقتها بعد 16 ساعة متواصلة له في العمل.

منذ اليوم الأوّل للطوفان المجيد كتب في منشور على حسابه في فيسبوك افتخاره بميلاد هذا العصر فكتب يوم التاسع من تشرين الأول/ أكتوبر منشورَيْن مستمدّاً إياهما من القرآن، أولهما: ﴿أَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾، وثانيهما: ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾.

وكان يعلم أنها ستكون ملحمة مختلفة، فاشتكى من خذلان الجيران والأقربين في اليوم الخامس من الطوفان: "إن غزّة لا يُدميها سوط جلّادها بقدر ما يُدميها صمتُ إخوتها، فلطالما كانت غزّة كيوسف في إخوته، ذنبه الوحيد أنه كان جميلاً!".

كان وجعُه يشتدّ فصرخ مرّة أخرى في العالم كله، ووضع الكثير من علامات التأثّر والتعجّب:

"كم نحتاج من الشهداء يا غزة حتى يصرخ التراب فيك... يكفي.

كم نحتاج من دم حتى يُسْتَفز هذا العالم؟

كم نحتاج من جسد محطم ومن أشلاء الأطفال، من دموع الأمهات.. ومن تفجر الدماء في الشرايين حتى نصْحوا !!!!!؟؟؟؟"

في اليوم التاسع من الطوفان وصل إلى توازن النفس، وبدأ يدرك الحكمة الإلهية، ويُقنع نفسه بهذه الحقيقة المتجرّدة التي ترفض الخوف والاستسلام للواقع: "لم نعد نهلع أو نخاف، بدأنا نصافح خسائرنا بطمأنينةِ منتصِرٍ، حتى إن قلوبنا بدت متيقّنة أن خسائرنا نصرٌ".

في اليوم العاشر وصلت نفسُه إلى فلسفة عميقة، وقنِعت بما أدركه صاحبها من حكمة القضاء والقدر: "بعض الأوطان هكذا: الدخولُ إليها صعب، الخروج منها صعب، البقاء فيها صعب، وليس لنا وطن سواها".

اشتدّ وجعه أكثر عند استشهاد اثنين من أقربائه: محمد يوم السابع من تشرين الأول/ أكتوبر، وسامح ابن أخيه يوم التاسع عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر.

كان يرى الموت في المستشفيات التي يحبّ الناس أن يخرجوا منها أحياء سالمين، وفي صباح يوم مجزرة مستشفى المعمداني يوم 18 تشرين الثاني/ نوفمبر كتب أبياتاً من الشعر الحرّ هي في الأساس للشاعر المصري أحمد بخيت:

لدماءِ طفلٍ في غزّة

أقِم الصلاة

فكُلّ طِفلٍ قِبْلة..

وفي يوم 21 تشرين الأول/ أكتوبر، صار يدوّن كلّ كلمة سمعها من هؤلاء العابرين عليه بالدماء في مستشفى الشفاء، وتداخلت روحه في أرواحهم الحزينة الباكية، وسجّل تلك الكلمات كما سمعها، وكأنّها وثائق يسجّلها للتاريخ، ووصفها بأنها كلام ما يزال يتردد في آذاننا، لن ننساه:

- "اسمه يوسف، 7 سنين، شعره كيرلي وأبيضاني وحلو.. بدي يوسف يا بابا"
- "كان يصرخ عليّ يا كمال يا كمال! كان عايش والله.. بدّي أبوسه"
- "الوْلاد وين! الولاد ماتوا بدون ما ياكلوا، يشهد عليّا الله"
- "قوم ارضع حبيبي.. قوم"..
- "بدي شعرة منه، شعرة واحدة بس قبل م تدفنوه"
- "كنت نايم"!
- "يا عمار.. حاسس فيني؟ مش راح أمشي قبل م تطلع من تحت الردم، بستنى ليوم ليومين لسنة لحتى تطلع"
- "والله بنتي عروسة استشهدت، عرسها كان الجمعة الـ فاتت، والله م رجّعنا فستان العرس لصاحبه"!
- "والله عروسة حامل شهرين"
- "السبعة مع أمهم.. السبعة مع أمهم"
- "ثانية بس، ثانية واحدة، سِبت إيدي ليش! يا ريتني متت معك.. سبتيني لمين"!
- "يا عالم جيبولي بنتي"
- "يا جماعة زوجي استشهد، استشهد أبوكي"
- "أربعين سنة بشتغل عشان أبني الدار.. راحت، فدا فلسطين"
- "كنت ناوي أعملّها عيد ميلاد"..
- "يا ريتني أنا أَرَوِّح [أذهب] عند أبوي [والدي] كمان"
- "ما تعيْطِش [لا تبكي] يا زلمة.. كلنا شهداء، كلنا مشاريع شهداء"
- "فدا الأقصى يمّا فدا الأقصى"
- "ماتخافش يابا أنا كويس يابا"..
- "قلبي انقطع عليكي يا أختي، العرب وينهم، المسلمين وينهم؟"
- "بيكفي يا عالم بيكفي"
- "حطي قلبك على قلبي يمّا.. حس فيكي يمّا"

- "والله ما احنا [نحن] منهزّين"
- "هذه مرح بتحب الرسم كانت، وهذه بيسان الدكتورة"
- "رايح أدفن أبويا بسيارتي"..
- "يا عمو ودّيني ع ماما.. بدي ماما"
- "إيش عملتلهم هالبنت الصغيرة؟ عشرين سنة نفسه يخلف.. قعدت شهرين، وراحت"!
- "عمر أحكي بسم الله، حبيبي سامعني قول ورايا: أشهد أن لا إله إلا الله.. علّي صوتك حبيبي"
- "إخواتي إخواتي .. ما فيني شي بدّي أخواتي"
- "دارنا راحت، وين بدنا نقعد؟!"
- "ما ضلّش [لم يبقَ] مكان نشْرد.. وين بدنا نشرد؟ ما ضلش مكان نسكن فيه"
- "ولا مرة كان أي منهم رقم، كان لكلٍّ منهم بيتٌ وقصة وعائلة وحلم وذاكرة وقلب"

وفي اليوم الرابع والعشرين من تشرين الأول/ أكتوبر صار الأمر أشد وضوحاً أنّ "هذه الأرض لا تتسع لهويّتين.... إما نحن أو نحن.... نحن الباقون، وهم العابرون" هكذا كتب بالحرف الواحد.

هكذا كانت شخصيّة هذا الجبل الصلب الذي تماسكت حجارته، إذ كتب بعاميته الدارجة في يوم الثامن من تشرين الثاني/ نوفمبر وهو في أواخر ساعاته بمستشفى الشفاء قبل أن ينتقل إلى جبهة مستشفى آخر: "ما يبقى في الوادي غير حْجارتو..."، وفي العاشر من تشرين الثاني/ نوفمبر ترجم هذه الكلمات: "صامدون، ثابتون، مرابطون... لن نغادر... إلا إلى السماء.. أو إلى بيوتنا كراماً"، وبعد عشرة أيام وتحديداً يوم العشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر 2023 كتب مرة أخرى، وبتوقيع يتحدّى ويعلن أنه الآن في رباطه الصحّي بالمستشفى الإندونيسي: "نموت واقفين ولن نركع، ومثل ما حكيت.. ما يبقى في الوادي إلا حجارتو... واحنا [نحن] حجارتو".

ثبَت دكتور عدنان البرش مع الأطباء في مستشفى الشفاء ثبات أصحاب أُحُد الذين لم يتركوا الجبل، وظلوا هناك حتى آخر لحظة، ولم يتزحزح حتى عندما قصف الاحتلال إحدى غرف المستشفى الإندونيسي، وسَقَطَ الحائط عليه، واستشهد في القصف 12 شخصاً كانوا معه، واستذكر الدكتور عدنان مشهد حصار الشفاء في رسالة كتبها إلى أحد

أصدقائه، وأخبره أن الوضع هنا أسوأ لأنهم في مجمع الشفاء كانوا يستطيعون إيصال صوتهم عبر بعض المنابر الإعلامية، أما في المستشفى الإندونيسي فقد انقطع التواصل إلا بعض المكالمات الهاتفية السريعة واللقطات المسرّبة.

في إحدى المرات كان يُشْرِف على عملية في المستشفى، وعلى الخط تتصل به عائلته، وسمع صياح أولاده من شدة القصف، وكان يدرك أنه لا يستطيع أن يفعل لهم شيئاً، فلم يقل لهم سوى جملة واحدة: "الحمد لله"، وقد امتلأ حزناً ووجعاً!

وآخر اتصال هاتفي له في مستشفى الشفاء كان مع قناة الجزيرة، وهناك أطلق آخر صيحاته بصوت متحشرج، يُشهد الله على أداء الأمانة، ويقول: "والله يا أختي خرجنا من المستشفى بغصّة، لكننا أدّينا الرسالة، واللهِ أدّينا الرسالة، وأجرنا على الله"!

عندما انتقل إلى المستشفى الإندونيسي حاصرته الدبابات من كل ناحية، واستهدفت القذائف جميع أقسام العمليات، وقتلوا 12 جريحاً، وأصيب اثنان من الكوادر الطبية؛ ومن المستشفى الإندونيسي انتقل الدكتور البرش إلى جبهته الأخيرة في مستشفى العودة في تلّ الزعتر بجباليا شمال القطاع حيث طال الدمار كل شيء.

في بداية كانون الأول/ ديسمبر 2023، كان الدكتور منهمِكاً بإجراء عملية جراحية عاجلة لأحد مرضاه في أثناء اقتحام العدوّ لمستشفى العودة، ولم يكترث لتهديدهم بالتوقف عن العملية وترك المريض يموت، فرفض تهديدهم بإباء فأطلقوا النار على قدمه، وتركوه ينزف، وحاول بعض زملائه علاجه على ضوء خافت بسبب انقطاع الكهرباء، وشوهد الدكتور في إعياء شديد وهو يتلوّى من شدّة الألم، ثم جرّه جنود الاحتلال إلى سيارة اعتقال وغادروا المستشفى به مع العشرات من الأطباء والكوادر الطبية والمرضى، وتركوا خلفهم العشرات من الشهداء والجرحى.

كانت جِراح الدكتور عدنان ما تزال رطبة، ولم يلتئم جرحه، ونقله الاحتلال بقسوة وعنف لأحد معتقلات صحراء النقب، وقد شاهده بعض الأسرى، وآثارُ التعذيب بادية عليه، قيّدوه، وغطّوا عينه بقطعة قماش مثل معظم الأسرى الذين ساقوهم من قطاع غزة، وتمكّن بعض الأسرى من تهريب فراش وغطاء وبعض الطعام له حين ألقوا به في الزنزانة القذرة، ولم يلبث سوى يومين حتى نقلوه إلى معسكر اعتقال آخر، وانتهى به الأمر إلى معتقل عوفر السيء السمعة، بين مجموعة من قساة القلوب من المحققين ومتحجّري الأفئدة من الأطباء الإسرائيليين، ليلقى الله شهيداً تحت التعذيب، وشهد الأطباء والمعتقلون الذين رأوه قبل استشهاده أنهم بالكاد تعرفوا عليه، وبدا واضحاً أنه عاش جحيماً وتعذيباً وإذلالاً وحرماناً من النوم، ولم يكن الشخص الذي عرفوه، بل كان خيالاً له.

وقد كان العدوّ يزعم للمحامي الذي لم يُتَح له أن يرى الدكتور البرش في أيّ مرة أن البرش بصحّة جيدة، ولم يكن ثمة سبيل للتأكد من صحته بأيّ طريقة، ولم يكن أمام العائلة إلا أن تضخّم الأمل بهذه الكذبة الإسرائيلية، وتنتظر

من منظمة الصليب الأحمر أيّ جهد للكشف عن حاله ليستبين لهم بعد حين أنّه قد مضى شهيداً، وأن الصليب الأحمر أسهم في تغطية ما جرى بعدم البحث والسؤال؛ وأنّه قضى تحت التعذيب والضرب في قاعدة سدي تيمان وفي سجون العدو دون أن يرفّ جفن أي طبيب إسرائيلي رأى الطبيب البرش تحت التعذيب.

استشهد البرش في سجن عوفر في تاريخ 2024/4/19؛ ولم يُعلن عن استشهاده إلا يوم 2024/5/2، وأصبح همّ العائلة أن يستردّوا جثمانه، ويدفنوه بكرامة في أرضه، لتروي الأجيال قصة الملاءة البيضاء التي ثبتت حتى آخر لحظة.

"شعره كيرلي وأبيضاني وحلو"

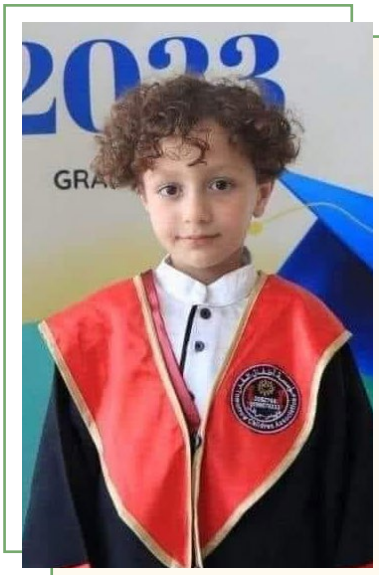

"شعره كيرلي وأبيضاني وحلو"... كلمات لأم تصف فيها طفلها الصغير يوسف ذا السبعة أعوام، آخر العنقود، وهي تركض وتبحث عنه في المستشفى الذي يعمل فيه والده الطبيب محمد حميد أبو موسى، إثر قصف الاحتلال الإسرائيلي لمنزلهم.

وبعد رحلة البحث عنه وسط المصابين والجثث، وجد الأب جثة يوسف، الذي تركته أمه قليلاً لتبحث له عن طعام يسد به جوعه، في ثلاجة الموتى، "وقفتُ ولم أستطع المشي إلا عندما أمسكوني ودخلت... وجدته.... كلّ ما قلته الحمد لله وحسبنا الله ونعم الوكيل"، "يوسف كان حبيب الكل.. الله يرحمه حبيبي"، "أنا خسرت كل شيء.. أقربائي ومنزلي وحياتي.. ولكن الخسارة الأكبر هي ابني حبيبي يوسف.. احتسبه عند الله شهيداً ولا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل".

هبة أبو ندى... أبجدية القيد الفلسطيني

هِبَة كمال صالح أبو ندى

وُلِدَت هِبَة في السعودية في 1991/1/24، واستشهدت في قطاع غزة يوم 2023/10/20.

تعود عائلتها إلى قرية بيت جِرْجة التي كانت تتبع لقضاء غزة قبل النكبة سنة 1948، ولا يبعد عنها إلا نحو 15 كم، وكثيراً ما كانت هبة تنظر عبر الحدود إلى قريتها المهجّرة القريبة، وتنتظر ميعاد العودة.

بكالوريوس الكيمياء الحيوية من الجامعة الإسلامية

ماجستير التغذية السريرية من جامعة الأزهر في غزة

دبلوم تأهيل تربوي من الجامعة الإسلامية، وعملت بموجبه في مركز "رُسُل" التعليمي في قسم مختصّ بالأطفال الأذكياء والمبدعين في مجال العلوم

حازت على عدة جوائز:

- المركز الأول في القصة القصيرة على مستوى فلسطين.
- المركز الثاني بجائزة الشارقة للإبداع العربي سنة 2017 في الدورة العشرين عن رواية "الأكسجين ليس للموتى".

شاركت هبة في عدد من الإصدارات الشعرية المُشتركة، منها: "أبجدية القيد الأخير"، و"العصف المأكول"، و"شاعر غزة".

في كل كتاباتها تجد روحاً باحثة عن العدالة والحرّيّة، وعن النور والأمل والوطن، وهي روح حزينة موجوعة مشحونة بالغضب والثورة، والضيق من الظلم والعتمة.

في كتابتها السرديّة الأولى في رواية "الأكسجين ليس للموتى" اكتشفت طريقة الحياة في عالم الحرب والحصار، وكان بطلَها "آدم" الذي نبع من ذنبٍ قديمٍ منسيّ، وألقت في قصتها عينها صوب ثورة عربيّة تطوي الديكتاتوريات، وتؤمن بالحرّية، تقول: "هنا ستجدُ نفسكَ تبحثُ مع آدم عن قاتل هُلامي، وتعيشُ مع والدته، وهي تفكُّ ألغاز الحبّ المرسومة على البذلة العسكرية، وتحبو مع عزيز نحو النور في آخرِ نفق أحلامه، وستتناولُ جوعكَ مع أولئكَ الذينَ يعدُّون موائدَ أرواحهم على حوافِّ المدن، وستهتف للجموع، ستُغنّي معها، كأنك اكتشفتَ فمكَ قبلَ ثانية، واحذر لأنك ستُحبّ، وتشعر بالأمل".

هذه الكاتبة الشاعرة أعطتنا وثيقة أدبية موجزة عن بدايات المعركة فقد كتبت يوميات 13 يوماً من طوفان الأقصى، وكانت أولى منشورات طوفانها بُعيد ساعات من انطلاقة عملية "طوفان الأقصى" يوم السابع من تشرين الأول/ أكتوبر، وقد أدهشتها عظمة البدايات وجلالتها: "أيُّ كاتب مجنون هذا الذي وضعَ كلّ الأحداث الصادمة في حلقة واحدة، لكنَّ شبابنا لا يُجيدون كتابة المسلسلات الخيالية، يُجيدون كتابة الواقع بالدم والنار! أيّتها الحلقة المهيبة لا تنتهي، كلّنا شهود الدهشة".

وكان آخر كتاباتها يوم 20 تشرين الأول/ أكتوبر وهي تودع صديقتها الشهيدة مريم سمير تنتظر أن تكون شهيدة في هذه الحرب كمريم، أو تظل شاهدة على أمل التحرير المنتظر: "نحنُ في غزة عند الله بين شهيد وشاهد على التحرير، وكلنا ننتظر أين سنكون؛ كلنا ننتظر، اللهم وعدك الحق".

وقبل رحيلها كتبت بعاميّتها المحكيّة في حائطها أمنيتها التي ما لبثت أن تحققت، وهي الأمنية التي بات يتمنّاها كلّ غزّيّ ذاق مرارة الحرب الطاحنة هذه: "الأمنية إللي إحنا أهل غزة عارفينها... كل يوم أنا كنت أختار أواعيك، ليش أنا لابسة جلباب وأنت لابس كفن؟، آه اختلفت المناسبة: أنا رايحة على الموت وأنت رايح ع الجنة!، يا خسارة كان رحنا سوا يا ريت".

وإذا تأمّلنا في وثائقها القصيرة التي كتبتها طيلة أيام الحرب سننظر كيف عاشت حياتها تحت النار والنور، والخوف والأمل، والرهبة والرغبة، والحب والكره، وسنرى كيف فتك بها خذلان الجيران والعرب والمسلمين، وكل كلمة تقولها هنا عبارة عن أحوال مشحونة بمشاعر هائلة موجوعة، وأحاسيس عزيزة غاضبة تستحق التحليل النفسي والبلاغي العميق، تقول:

- "منطقة الزهرة في غزة تهدد كاملة الأربعة وعشرين برجا تقصف الآن، مدينة بأكملها تستشهد برجاً برجاً، يا الله يا الله!".
- "ارتاحت مريم من التعب ارتاحت للأبد، آسفة يا مريم على كل مرة اختلفنا بالرأي أنا وأنت آسفة كتير...".
- "قائمة الأصدقاء عندي تنكمش تتحول توابيت صغيرة تتناثر هنا وهناك، لا يمكنني إمساك أصدقائي وهم يتطايرون بعد الصواريخ، لا يمكنني إعادتهم من جديد، ولا يمكنني أن أعزي فيهم، ولا يمكنني البكاء، لا أعلم ماذا أفعل!".
- "كل يوم تنكمش أكثر هذه ليست أسماء فقط هؤلاء نحن بوجوه وأسماء مختلفة فقط".
- "يا رب ماذا نفعل يا رب أمام وليمة الموت الضخمة هذه".
- "لا توجد أي أيقونة هنا تعيدهم، ولو كذباً...".
- "إذا متنا اعلموا أننا راضون وثابتون وبلغوا عنا أننا أصحاب حق".
- "صورنا العائلية، كيس من الأشلاء، كومة من الرماد، خمس أكفان ملفوفة بجانب بعضها متفاوتة الحجم، الصور العائلية في غزة مختلفة لكنهم معاً كانوا معاً ورحلوا معاً".
- "نحن بالكاد أحياء وبالكاد ننجو، يعلم الله ذلك، لكننا حفظنا عن غيب أسماء الذين خذلونا والذين نصرونا، ليسوا بالذاكرة بل الأبدية، سنحملهم في نعوشنا حين نموت سنحملهم حتى ينهزم الباطل وينتصر الحق".
- "كلّما اعوجّ خطٌّ على خريطة فلسطين بين المدن، صححه الرصاص".
- "المحاة للصغار، المدن تصحح الأخطاء بالرصاص، غزة مثالاً..".
- "البنت إللي انخطبت للشب إللي بتحبّه بعد سنين من العذاب استشهدت، والدار إللي تجهزت للعريس والعروس صار حصى ورمل، الطفل إللي أجا لأبوه وأمه بعد سنين حرمان عجنه الصـ!ر9خ، والأم إللي كانت هي الدار وحسها راحت هي والدار، ولاد الصف إللي كانوا يتخانقوا ع البنك الأول راحوا، والمعلمة والدكتور والصحفي... ضل الصورة والصرخة والدَّم .. ونعوش من أول غزة لآخرها نعُوش، يمكن ما يضل حدا عايش عشان يشيلها!!"
- "إحنا قديه مكلومين بس والله بالخذلان أصعب من الصاروخ والله".
- "من سرعة وفجيعة الموت بغزة ما عاد فيه شهدا يروحو ع المشفى ومنه عالقبر صار الشهيد والمشفى والقبر نفس المكان، يا رب إحنا خلصنا والله خلصنا".

- "يا عالم وين نروح والله لو يقتلونا كلنا مرة وحدة أحسن مش رح نستسلم ولا رح نسلم يقتلونا كلنا مرة وحدة وخلص بدل ما بنشوف موتنا هيك، يا رب عاجزين نعيط حتى من الفاجعة".
- "لما نروح لربنا ما رح نحكيله ينتقم من إسرائيل رح نحكيله يحاسب العرب والإخوة في الشق الثاني من الوطن بالأول".
- "بطلنا [توقفنا عن] نعد بغزة بطلنا نعد شهدا ولا جرحى ولا أيام ما في معنى لشيء، بطلنا نعرف حتى شو ندعي!".
- "حسبنا الله ونعم الوكيل في هذا العالم عرباً وعجماً".
- "بالنسبة لنا لا فرق بين الإسرائيلي القاتل والأوروبي المتعاون والعربي الصامت والآخرين الذين ينظرون لنا كلهم قتلة، كلهم".
- "الأمر كالتالي كلنا في حقل مفتوح سنابل منهكة من الحصار والموت يحمل منجلاً ضخماً ويلوح به علينا يميناً ويساراً، كلنا نموت والحقل يفرغ منا والسنابل تتطاير!".
- "مات أطفال لم يستخدموا أسماءهم بعد!".
- "تحت القصف في غزة من ذروة موتنا نسمع الشعراء، لقد قال تميم بالنيابة عنا كل ما يجب أن يقال، هذا بيان ختم بالدم وثقيلٌ وعالٍ هو الدم، إن عشنا تذكرنا تميم وإن متنا تذكروه بالنيابة عنا والعنوا السياسيين عرباً وعجماً وابصقوا في وجوههم لأننا لن نستطيع".
- "عليك السلام يا غزة..".
- "نحن في الأعلى نبني مدينة ثانية، أطباء بلا مرضى ولا دماء، أساتذة بلا ازدحام وصراخ على الطلبة، عائلات جديدة بلا آلام ولا حزن، وصحفيون يصورون الجنة، وشعراء يكتبون في الحب الأبدي، كلهم من غزة كلهم".
- "في الجنة توجد غزة جديدة بلا حصار تتشكل الآن".
- "سمعنا تصريحات وتضامن من أسماء أجنبية أكثر ما سمعنا من مسؤولينا والله ما رح ننسى والله".
- "هذه الأيام أجسادنا من هواء وذاكرتنا من حديد".
- "الخزي في عصرنا يا سيدنا الفاروق هو خبر على التلفاز عن مسيرات مؤيدة لغزة!".
- "الحمد لله أنك لم تره".
- "الصوت الذي نسمعه هو صوت الموت الذي تجاوزنا ليختار غيرنا، ما زلنا أحياء نسمع صوت موت آخرين نعرفهم نقول: الحمد لله لم يكن آخر صوت سمعوه هو صوت الصاروخ".

- "من يسمع صوت الصاروخ ينجو".
- "ما زلنا أحياء حتى إشعار آخر".
- "الذين هم خارج غزة يعلمون أخبار غزة وصور غزة أكثر منا نحن لا نعلم ما يحصل هنا نحن معزولون عن العالم، ولا نعلم من بقي منا على قيد الحياة، لا تبرحوا مهما حصل ومهما سمعتم عنا".
- "لنا الله".
- "ننقطع فترات طويلة من التواصل كلنا معزول في مكانه، ثم نحاول بمرارة أن نفتح أي وسيلة للتواصل فتصدمنا أسماء الشهداء، الشوارع والعائلات تفرغ من أبنائها يا الله".
- "نودع الجميع على عجل بلا دموع ولا جنائز وندعو بالثبات تحت القصف ونحن لا نعلم من سيلحق بهم، اللهم مدد من عندك".
- "هذه الليلة ستكون صعبة سننقطع من كل أسباب الأرض ولن ننقطع من أسباب السماء، في وداعة الله يا غزة فرداً فرداً".
- "نحنُ ننجو باللحظة هنا مسافةَ وضعِك للايك على منشور ما، مسافة إغلاقك للمنبّه، مسافة مناداتك لابنك قد تناديه ولا يجيب، الموت أسرع بكثير!".
- "اليوم الجمعة، لم يكن أسبوعاً كان يوماً طويلاً مقسّماً إلى عشرات الشهداء والجرحى وكثير من الموت ولا نعلم ماذا ننتظر".
- "في المعارك الصعبة يخسر العقلانيون والعاطفيون، ويثبت المؤمنون فقط".
- "شجر العائلات يتساقط كاملاً لا أفراد ولا فروعاً، تهوي الشجرة بكل من فيها بشكل مفجع، وغزة تتحول إلى يباب المدينة، مقبرة مفتوحة ممتدة من عتبة الجامعة العربية حتى منبر الأمم المتحدة، ونحن نحدق في قبورنا بصمت وثقل وتسليم بالله".

وتكتب هبة أبو ندى بلغة العاقل المدرك الحقيقة التي وصلت إليها عن غزّة الشهيدة الشاهدة، وعن وصولها لفلسفة الشهادة المستقرّة في قلب إيمانها:

- "غزّة فعلت أقصى ما يمكنها فعله في مواجهة هذا الظلم، تجاوزت الخيالات، وارتفعت عن سقف الممكن والمستحيل، حطّمت كل التماثيل واللاءات، واخترعت صموداً سيظل يدرّس في التاريخ، وينسب إلى غزة، وعندما تنسلخ

الأكاذيب، ويتساقط السياسيون المنافقون، وتنهار الإنسانية الزجاجية على نفسها ستبقى غزّة رمزاً أسطورياً غيرَ مفهوم وغير ممكن، رقماً قياسيّاً لا يمكن للمدن والحضارات والجيوش تحقيقه إلا بزمان الأنبياء والمعجزات.

لقد فعلنا ما يجب علينا فعله لنستردّ حقوقنا، ولنقاتل، ونصمد بالنيابة عن الأمة والمظلومين في العالم، لا شيءَ لنندم عليه ولا لنحزن عليه، أمام الله وأمام أنفسنا نحنُ أصحاب حقّ، وجزؤنا من العهد كان أن نصمد ونحاول، وما بعدَ ذلك هو أمرُ الله آمنّا به وعليه توكلنا.

إنْ قضَيْنا فتلك شهادة شرف، وإن بقينا فلِنروي الحكاية، ونضعَ قصتنا في عيون العالم أجمع، وما بين هذا وذاك لنا طقوسنا في البكاء والصبر والحزن والتذكر والأمل واليأس.

وإن متنا قولوا بالنيابة عنا كان هنا أناس يحلمون بالسفر والحب والحياة وأشياء أخرى.

نحنُ تحتَ الطائرات والله أعلى منها ومنهم".

- "يا الله مالنا غيرك يا الله، هذهِ أيامك ونحنُ عبادك وهذهِ أرضك المباركة أنتَ المدد منكَ المدد وفيكَ المدد لا عربٌ ولا أحد".
- "هذه الفاجعة أكبر من أن نكتب عنها وأن تذاع على الإعلام يا رب لا مدد لنا ولا نصير سواك يا الله".
- "مدد يا الله مدد، نحن الفئة القليلة المحاصرة المنهكة الثابتة المؤمنة بك التي تركها الناس وحدها للموت ولا نملك حيلة إلا أنت يا الله".
- "في بداية النهار بعد أن نتأكد من بقائنا على قيد الحياة نبدأ بِعَدِّ بعضنا، من منا بقي ومن منا تحول إلى جنازة، ليس البشر فقط الشوارع والأحياء أيضاً".
- "المدينة كلها تستشهد، الحمد لله!".
- "لكلِّ حربٍ سابقة كان ثمّة نمطٌ معين من الأهداف لدى الكيان، مرة العائلات، مرة المساجد، مرة الشوارع، مرة مناطق حدودية أو مركزية، مرة الأبراج، كانَ ثمة خطة للنار نفهمها نحنُ الذينَ تحتَ النار وبناء عليها نستقرئُ الأهداف والطيران ومدة الحرب المتوقعة.

هذهِ المرة لا يوجد نمط معين، كل شيء تحت القصف كل الحروب السابقة تنعصرُ في هذهِ الحرب، غزة من شمالها لجنوبها تحت النار بشكلٍ عشوائيٍ ومفجع، حالة من الذبح الجماعي والاغتيال العبثي لكل شيء، إنما هو صبرنا وإيماننا بالله الذي يجعلنا ننظرُ للطائرات ونهدأ قبلَ البكاء أو نبكي بعد الهدوء ونقول: يا الله، ما لنا غيرك يا الله!".

- "معتمٌ ليل المدينة إلا من وهجِ الصواريخ، صامتٌ إلا من صوت القصف، مخيف إلا من طمأنينة الدعاء، أسود إلا من نور الشهداء".
- "تصبحين على خير يا غزة".

وظلّت هبة تكتب بلا انقطاع كل يوم وثائقها النفسيّة الخطيرة، وقد وجدت أن قراءة نصوصها كما هي في أيامها القليلة منذ بدء الطوفان ستفتح المجال لدراسات تخصصية جادّة، ومادة لدراسات القيم العميقة التي تمتّع بها سكان قطاع غزة ونخبتها الثقافية زمن هذه المعركة التاريخية، تقول هبة:

- "الأعزاء جميعاً! نحن مقبلون على مرحلة سنُعْزَل فيها عن العالم ليتم إبادة المدينة بأقصر وقت ممكن، لن نستطيع التواصل مع أحد داخل أو خارج المدينة، الليل لم يبدأ بعد والقصف كالجحيم".
- "حتى ذلك الوقت اغمرونا بالدعاء وبلغوا عنا ولو كلمة صمود وحرية".
- "استودعنا غزة بما فيها ومن فيها لله الحافظ الجبار".
- "نحن لا نعلم من منا سيبقى ليروي الحكاية، ربما لن يبقى أحد في غزة ليرويها لكننا مؤمنون بالله، يا رحمات الله علينا وعلى الجميع، الموت ينتزع العائلات والحارات".
- "لا وقتَ للجنائز الكبيرة والوداعات اللائقة لا وقت كثيراً ثمة صاروخ مسعور قادم، سنكتفي بقبلة خاطفة على الجبين ووداع سريع وانتظار الموت الجديد".
- "لا وقت للوداع".
- "من أين تنطلق الرشقات! من قلوبنا، كل رشقة طالعة من قهرِ غزّاويّ".
- "صفحاتنا الشخصية بيوت عزاء، خيام تأبين، جرائد نعي، ننتقلُ من صفحة إلى صفحة كأننا نمشي في ساحة جنائز متشعبة ومفتوحة على بعضها، يا الله ما أثقل هذهِ الأيام!".
- "أمريكا بِدها [تريد] تِبعت [إرسال] حاملة طائرات لمساندة الكيان، يلا منيح [جيد]، إن شاء الله تعالى بس نتحرر بنعمل منها مطعم عائم في البحر".
- "لك الله يا غزة من مكر العالم".
- "طلع النهار بعدَ ليلةٍ جنونية، تصلنا الأخبار من هنا وهناك حول المفقودين والشهداء والجرحى والناجين، ومع أن هذا المشهد مرّ علينا آلاف المرات، وكم حرباً تكررت وكم ليلة كتلك الليلة إلا أنّ الفقد لا يتكرر، كل فقد هو فقد أول،

وكل وداعٍ هو الوداع الوحيد لأهله، وكل فقيد هو حالة فريدة من الفجيعة، هذا ما لا يُعتاد عليه وما لا يمكن تمرين القلب عليه وترويض النفس، هذا مما يشلّعنا [يُمزّقنا] ويحطمنا كلّ مرة كأول مرة! لكِ الله يا غزة ويا أهلها".

وكتبت هبة يوم الطوفان الأول تتوقع ردود أفعال العدوّ على الإهانة التاريخية التي تلقّاها من أبطال الطوفان:

- "أتَى الليل وغزة كلها ستكون تحتَ النار، ووداعةُ اللهِ أعلى وأكبر من نارهم وصواريخهم، لا نعلم ماذا سيحدث! لكن هذهِ المرة مختلفة، نعلم ذلك، وندرك حجم الحدث وثقل اللحظات، هذا تاريخٌ يتغير وجغرافيا تتحول ونحنُ التاريخ والجغرافيا هنا.

جهزنا حقائبَ الطوارئ، شحنّا هواتفنا استودعنا أنفسنا وأهلينا وبيوتنا لله، دعاؤنا في قلوبنا تسابيحنا على ألسنتنا، اسم الله على هذهِ المدينة وما فيها ومن فيها، تذكروا لا تبرحوا مهما حدث، هذهِ مدينة يحبها الله وتحبُّ الله والحمد لله دائماً وأبداً، رحم الله الشهداء وشفى الجرحى وصبّر قلوب المكلومين ونصرنا عليهم بإذنه".

- "أنا بقول ما في وقت كتير لازم الشباب يكملوا باقي المستوطنات ويسيبوا المستوطنات إللي خلصوها مع ولاد المدارس يعني عاشر ب معه سديروت وحادي عشر ألف معهم شاعر هنيف والأسرى مع خوامس وسوادس وهيك...".
- "كلَّما اعوجّ مسار العالم تصحّحه غزة".
- "الآن أين الذينَ راهنوا وشكّكوا؟ لا تسمع لهم رِكزاً".
- "لأول مرة نكون إحنا واليهود بنفس الخانة إللي هي مش مستوعبين ومش عارفين شو إللي بصير بالزبط".
- "الشباب يا هنادي جابولك حقك وزيادة، أحدهم أراد أن يمشي في شوارع بلدته المحتلة لماذا الجميع مندهش هكذا! ونحن أيضاً "يرونه بعيداً ونراه قريباً".

كانت هبة تكتب الشعر أيضاً، ومما وثّقناه لها من مقطوعاتها الشعريّة في شأن الطوفان، وتعليقها على مقطوعتها القصيرة التي لا توازي نثرها:

أعيذكِ أن تصابي أو تموتي ... بعزِّ حصارنا وببطنِ حوتِ

شوارعنا تسبِّحُ كلّ قصفٍ ... وتدعو للمساجدِ والبيوت

فحينَ القصفُ يبدأُ من شمالٍ ... ستبدأ من جنوبٍ بالقنوتِ

نزحت هبة مع أسرتها إلى خان يونس، وفي مساء الجمعة 2023/10/20 اشتدَّ القصف الجوّي على بيوت العائلات في المنطقة، ودمَّرت صواريخ الاحتلال حزاماً سكنياً في حيّ المنارة في خان يونس، وقضت هبة تحت الأنقاض، وقد تكسرّت عظامها وتمزّق جسدها.

قال فيها الشاعر الفلسطينيّ محمد دبابش:

الأصدقـاءُ نَفَائِسٌ وَهـواءُ   والأُمنيـاتُ بِدُونِهـم سَـودَاءُ
يَتَوافدونَ على الحياةِ قَصائداً   ومَنَالُهـم في المُنتهَـى شُـهدَاءُ
مِنهُم بَدَت "هِبَةُ النَّدَى" وكأنَّهَا   شَـجَرُ المَجـازِ ورُوحُـهُ والمَـاءُ
يَجري الخَيالُ على يَدَيْها ناطِقاً   وكأنَّ مِنْهَـا تنبُـتُ الأسـماءُ

"أمانة تعالي خديني"

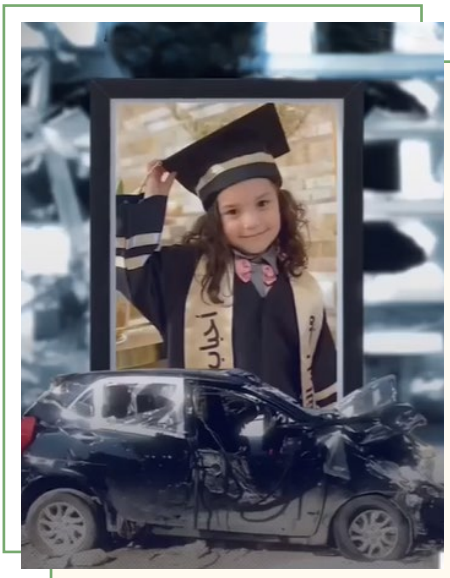

"الدبابة جنبينا... خليكي معي... لما يجيلي حدا بتفصلي [تُغلقين خط الهاتف] طيب؟... كم الساعة؟ ليَّلَت [حلَّ الليل]، بخاف، أمانة تعالي خديني"... تسجيل لكلمات نطقت بها الطفلة هند رجب (6 أعوام) وهي تبكي في أثناء مكالمتها مع إحدى موظفات طواقم الإسعاف في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني قبيل استشهادها، وثَّق لحظات الرعب التي عاشتها محاصرة ووحيدة داخل سيارة تحيط بها الدبابات الإسرائيلية.

وعُثر في 2024/2/10 على جثمان الطفلة هند رجب، وخمسة من أفراد عائلتها، بعد 12 يوماً من فقدان الاتصال بهم إثر استهداف جيش الاحتلال لسيارتهم ومحاصرتها في منطقة تل الهوا جنوب غرب مدينة غزة. كما استهدفت قوات الاحتلال الإسرائيلي مسعفَين من الهلال الأحمر بعدما حاولا إغاثة الطفلة هند، ما أدى إلى استشهادهما.

حمزة عامر... المقاتل الأنيق

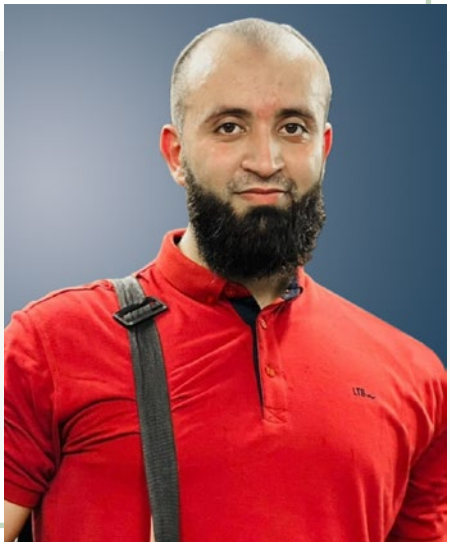

حمزة هشام حسني عامر

من سكان حيّ الأمل في خان يونس بقطاع غزة

ولد حمزة سنة 1991 من أسرة تعود جذورها لبلدة بيت دَرَاس المهجّرة إلى قطاع غزّة

بكالوريوس شرطة، كلية الشرطة الفلسطينية بغزة

نشأ حمزة عامر يتيماً، إذ كان في عامه الأول في هذه الدنيا حين ارتقى والده شهيداً في عملية خان يونس الشهيرة في 1992/10/30، ونشأت معه شقيقته زينب في كنف أمّه وأهله في حيّهم الصامد المشهور في خان يونس، حول مسجد فلسطين ومسجد الشافعي الذي كان يتأسس فيه رفاق والده الشهيد وبيئتهم الحاضنة، وكان شعوره باليتم يتضاءل أمام شعوره بالفخر، لأنّ كل أحد في حيّه يعرف مَن هو، ويعرف قصة والده فيؤدي له التحيّة إكباراً وإعجاباً.

حملته أمّه على عينٍ، وأكملت طريقها بإكمال دراستها الجامعية، والعمل في الجامعة التي تخرجت فيها، وأدت أمانة زوجها الشهيد هشام حتى تخرجّ ولداه في التخصص الذي أحبه كل منهما.

حمل حمزة من والده طول القامة واعتدالها وقوة البنية، وكانت سيرة والده تنطبع على فكره وسلوكه فإذا به ينتظم في سلك والده، ويمضي على سنّته.

كان حيّ الأمل هو الذي جمع والده بيحيى السنوار، المسؤول الأول عن والده آنذاك، وكان السنوار إذ ذاك شاباً منفعلاً متحمساً في منتصف العشرين من عمره، يدير جهاز الأمن الناشئ الذي كلفه بإنشائه الشيخ أحمد ياسين، وهو الجهاز الذي كان يمارس أيضاً العمليات الأمنية التي تتطور لعمليات عسكرية، وكان في هذا الحي أيضاً رفيقه الشهيد

ياسر النمروطي، والقائد الكبير محمد الضيف، والشهيد جميل وادي، وهم من الرعيل الأول المؤسِّس لمجموعات العمل العسكري الإسلامي في قطاع غزة، وكان يتدرّج معهم حينذاك ثلة أخرى أصغر سناً مثل حسن سلامة، قائد عمليات الثأر للشهيد يحيى عياش، وغيره من المطاردين.

كان حمزة في صغره يعيش بذكرى والده، ويتقصّى أخباره وقصصه التي يحاول فيها، إشباع رغبته في التعرّف على والده الذي لا يتذكر منه شيئاً، إذ لم يبقَ له إلا صورة قديمة لوالده عندما كان مطارداً يقف فيها بشموخ متقلِّداً سلاحه، مستعرِضاً به لإغاظة عدوّه، وهي صورة كان يفتخر بها حمزة دائماً، ويُريها لخاصّته ورفاقه المقرّبين؛ وكانوا يحكون له كيف خطط لضرب مركز شرطة للاحتلال في غربي خان يونس مع اثنين من رفاقه بسلاح محدود وذخيرة قليلة فجندلوا الحراسة، ثم انسحبوا لتدركهم دوريّة فأصابته رصاصة دمدم متفجّرة في كبده فمزّقته، ونزف نزفاً شديداً، وظلّ قابضاً على سلاحه حتى أوصله رفاقه إلى المستشفى، وعَلِم أنه سيفارق الدنيا، فسلّم سلاحه إلى رفاقه، واءتمنهم عليه وأن يؤدّوا حقّه، ولم يطُل بقاؤه في العملية الجراحية حتى فارقته الروح، وانتقلت إلى حواصل الطير الخضر التي حملته إلى عرينه السماويّ كما يرجو إخوانه الذين علِموا إقباله على ربّه وسعيه للوصول إليه.

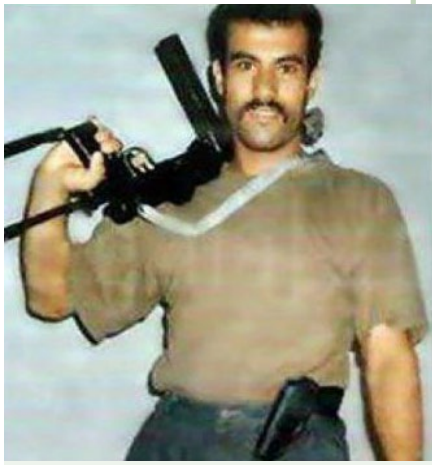

الشهيد القائد هشام عامر

ولهذا كان حمزة يتطلع دوماً أن يكون أحد كوادر كتائب القسام، الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، حيث كان والده من رعيلها الأول حين كانت مجموعات محلية صغيرة تضم مطاردينلا يملكون إلا أسلحة خفيفة محدودة للغاية، وكان حريصاً أن تتوافر فيه شروط الكتائب بالسلامة الأخلاقية والأمنية والالتزام والأهليّة والكفاءة، فكان يبني جسده المقاتل كما كان يفعل والده الذي كان مقاتل كاراتيه ويقوي بدنه بتدريبات كمال الأجسام، وبدا بأناقة الجسم المنحوت الفارع والعضلات المتركّبة المفتولة، واجتاز اختبارات كلية الشرطة الفلسطينية بقطاع غزة سنة 2012، واطمأنّ قلبه بأن رفيق والده ومعلّمه يحيى السنوار قد أُطلق سراحه من السجن في صفقة وفاء الأحرار، واستمع منه إلى سيرة والده كما لم يسمعها من قبلُ، وتعلّق قلبُه بما كان عليه والده أكثر من أيّ وقت مضى، وكان يسرّه أن يقال له: "ما أشْبَهك بأبيك"!

كان يُغضبه ويُحزنه أن يتعامل معه إخوانه ورفاق أبيه باستثناء، فيبعدونه عن المهمات الصعبة والخطرة خشية عليه، رأفةً بأمّه التي لم تحظَ إلا به وبأخته في هذه الدنيا، وكان يزعجه أن يكون على تصنيف "وحيد أمّه"، وكان يقول لهم إن برّه بأمّه هو كبرّه بوصيّة أبيه، وأنّه اختار إكمال برّهما في الآخرة، وبرّ كل أهلهما في شفاعة كريمة ينالها إذا أكرمه الله بشهادة مقبولة عنده. ولشدّة إصراره على ما عزم عليه فإن سلاحه اشتراه من ماله الخاص، وجعل سيارته ووقودها نفقة في سبيل الله لإخوانه المجاهدين.

وبات حمزة بعد ذلك لا يكاد يُرَى في منزل عائلته، وحتى في المواسم والأعياد والمناسبات العائلية، كان يغيب عن أكثرها، حتى إنه لم يكن يُفتَقد إلا قليلاً لشدة ما شاع عنه أنه شخصية لا تحب التجمعات، بينما كان في حقيقة الأمر منخرطاً في المشروع الذي لطالما تطلّع إلى أن يكون جزءاً منه، بل إنه اشترط في أيّ ارتباط زوجيّ أن تكون زوجته مستوعبةً كونَه ملكاً لهذا المشروع الجهاديّ، وأن أولويّته في هذا المشروع، وأن كونه مقاتلاً مقدَّم على كونه زوجاً، وأنّه مشروع شهيد، واختار زوجة كريمة قبلت بشرطه، فهي من أسرة مجاهدة، وقد استشهد أخوها قبل استشهاد زوجها حمزة بشهر. وكوّن حمزة عائلة صغيرة ضمّها إلى أمّه الصابرة الصادقة فابنتُه لانا ذات السبع سنوات تشبه جدتها، وولي العهد الذي اختار له اسم أبيه هشام أصبح في عمر التمييز بخمس سنوات، وبات يعرف أنه من عائلة مقاتلة مجاهدة، والصغير محمد بلغ العامين والنصف يوم استشهاد والده الأنيق.

منذ أن اشتعلت معارك طوفان الأقصى، انغمس حمزة بكلّ قوته فيها، فلَبِسَ لأْمتهُ، واستلّ سلاحه، ولم تكن لأمته سوى معطف أسود طويل أنيق يستطيع أن يخفي فيه قاذف الياسين الطويل في أثناء تنقله بين البيوت في حيّه الذي تولّى مع رفاقه مهمة الدفاع عنه والإجهاز على كل ما يمكن الإجهاز عليه فيه، ولم يكن يدري أن اللقطة التي ظهر فيها وهو يتربّص بدبابة ميركافاه 4 محصّنة، ثم يركض إليها حتى يتوسّط في طريق مكشوفة، ويقف منتصباً دون وجلٍ أو تردد، هو المصاب بظهره من قبل في غارةٍ جويّة، ليجعل من نفسه منصة إطلاق لقذيفة ياسين، ثم يضرب بها الدبابة ويصيبها إصابة مباشرة من مسافة شديدة القرب ويفجّرها، ستشدّ هذه اللقطة عيون الملايين الذين باتوا يبحثون عن أيّ خيط يوصلهم إلى معرفة هذا الرجل الملتحي بلحية سوداء كثّة، ويرتدي معطف الجوخ الأسود الذي برز به كأنه بطل خرافيّ يشبه باتمان في شخصيته السينمائيّة الشهيرة، وبحذائه الرياضي الأبيض الناصع الذي اشترته له زوجته

قبل الطوفان بشهر، وعرفته به، وبما أنّ ذلك سيكون مستحيلاً نظراً لتغطية وجهه في شريط القسام الذي انتشر انتشار النار في الهشيم، فإن معطفه الأسود الذي ظهر عليه كأنه رجل أنيق يعتني بتفاصيل هندامه صار هو العلامة التي تؤشّر إليه، وتدلّ على هويّته المثيرة الغامضة؛ ولم يعرف الناس أن ذا المعطف الأسود الأنيق هو حمزة هشام عامر إلا بعد استشهاده ولحوقه بأبيه، بل إنه لم يكن يدري أن الناس تتحدث عنه أو أنّه بات مشهوراً في العالم كلّه، أو أنّه سيكون مطلوباً أكثر، فقد كان مشغولاً بمطاردة مَن طاردوا أباه في شوارع خان يونس وحاراتها، وكان يلسع كالدبّور في كل ظهور له، ويربض كالأسد بين البيوت المهجورة والأنقاض، وينبعث كالطوفان من بين عيون الأرض وأنفاقها التي يعرف خريطتها ويحفظها كما يحفظ اسم أبيه ومحطات حياته؛ وكان يتقن نصب الكمائن، ويراقب صيده حتى يقع في الكمين، ويكبّر التكبيرات الداوية.

كانت كل عيون المسيّرات تبحث عنه وعن رفاقه، ولم تفتر ساعة واحدة، ورصدوه بعد نحو شهر من ظهوره العظيم في إحدى جولاته، فانصبّت الصواريخ الحارقة على كل ما حوله، وأحيط به من كل جانب، وكعادة هذا العدوّ الذي لا ينال شرف القتال كالرجال فإنّ سياسته الوحيدة في التعامل مع أمثال هؤلاء الأبطال أن يحرق المكان ويدمره، وبذلك نالوا منه، ونال حمزة الشهادة التي سعى لها وتمنّاها في أوائل آذار/ مارس 2024، فكان الشهيد ابن الشهيد، وبقيت سبّابته مرفوعة ناطقة بالشهادة، وظلّ ما تبقى من جثمانه ينزف أياماً تسعةً وكأنه استشهد للتوّ فوق الأرض شاهداً على صولاته وجولاته، حتى وصل إليه رفاقه تحت أحزمة النار، فسحبوه، وواروه الثرى، وودّعوه، وأدّوا له التحيّة اللائقة بفخامته.

وبدأت الناس تبحث في تراثه لتعلم من هو بعد أن كُشفت هويّته، فلم يجدوا له أثراً يدلّ عليه، إلا أنه ترك كلمة وضعها في حساب له على منصة فيسبوك، لم تلبث هذه المنصة المتواطئة مع الاحتلال أنْ حذفته، وقد كتب في التعريف بشخصه فيها رجاءه العظيم وهدفه الذي رهن حياته لتحقيقه: "لئن أشهدني اللهُ قتالَ اليهود ليريّنَ ما أصنع"!

وقد صدق اللهَ فيما نوى وأراد، فصدقه الله، وبلّغه ما تمنّى، وساق له الذكر المبارك الحسن السائر، واستعاد الناس ذكر أبيه بعد أكثر من ثلاثين عاماً من رحيله، فبرّ أباه، واستحقّ أن ينتقل إليه في مصاعد السماء، وزرع وردةً زاهية في ذاكرة الأمّة.

رثاه الشاعر الفلسطيني سعيد يعقوب:

هَذِي طَرِيقُ الصَّاعِدِينَ إِلَى العُلَا ... الرَّافِضِينَ الهُونَ وَالإِذْلَالا
المُطْلِعِينَ النُّورَ مِنْ قَلْبِ الدُّجَى ... وَالبَاعِثِينَ بِرُوحِنَا الآمَالا
وَالمَجْدُ فِعْلٌ، لَيْسَ قَوْلًا فَارِغًا ... فِعْلٌ يُزَلْزِلُ مِنْ صَدَاهُ جِبَالا
يَا قَاهِرًا قَلْبَ العِدَا بِسِلاحِهِ ... امْلَأْ بِهِ قَلْبَ العِدَا أَهْوَالا

روح الرُّوح...

يحتضنها، يداعبها تارة، وينظر إلى وجهها تارة أخرى، يفتح عينيها ويقبلها كما لو أنّها على قيد الحياة، يحاول أن يتحدث معها، لكنها لا تنطق، يهزها ثم يحتضنها بشدة، وينظر إليها قائلاً إنها "روح الرُّوح".

هو خالد نبهان (أبو ضياء) جدّ الطفلة ريم التي أسلمت روحها إلى بارئها هي وشقيقها الصغير طارق، عندما قصف الاحتلال الغاشم منزلهم.

وبعد تكفينهما، حاول أن يمسح عن وجههما غبرة القصف بالمحلول الملحي، سرَّح شعرهما كما يُحبان، سقط حَلَقٌ ريم من أذنها، علَّقه في جيبه، فهو آخر ما تبقى من ريم.

لم يصدّق أبو ضياء أن ريم وطارق استشهدا، وقال "إلى أن وضعتهم في القبر وأنا أشعر أنهم أحياء، خلال الليل أقول لنفسي ربما هم أحياء، لا أعرف".

هذا المشهد الصادق تردَّدت أصداؤه في كافة أنحاء العالم، وكان مقطع الفيديو الذي يظهره ضمن المقاطع الأكثر تأثيراً وانتشاراً.

محمد عبد الرحيم صالح... شاعر المقاومة الصغير

محمد عبد الرحيم جبر صالح

ولد في 2003/8/7 في غزة، وتسكن عائلته في معسكر جباليا، وهو من عائلة تعود جذورها إلى قرية برير المحتلة سنة 1948

نال الثانوية العامة في آب/ أغسطس 2021 متفوقاً بمعدل 93.4 الفرع الأدبي

مقدم برامج وخطاط ودارس للإخراج

شاعر، أصدر ديوانه الشعري الأول والأخير قبل استشهاده وتحديداً في شباط/ فبراير 2023، واحتفى به أهله ومعسكره وقريته المهجّرة ومجلس طلبة الجامعة الإسلامية بغزة وعدد من المؤسسات الحكومية والثقافية مما أشعره بالثقة الكبيرة والرغبة في أن يكون صوت المقاومة في غزة وفلسطين وصوت جماهيرها.

كان يستعدّ للزواج، ويعدّ حفلَ إشهاره، وكان يحب أن يكنى بأبي مصعب، وافتتح متجراً صغيراً يرتزق منه.

جمع في ديوانه الذي سماه "سقطت يده" بين شعر الغزل وشعر المقاومة، وتأثر بطريقة الأولين في النظم والتركيب؛ جمع فيه بين شعر التفعيلة والشعر العمودي.

وكان له طريقة في الإلقاء تجذب الأنظار لفخامة صوته ونقاوته، وحُسن أدائه، وجمال تعبيره.

أحبّ محمد الشعر منذ نعومة أظفاره، وكان يحفظ الأبيات المفردة والأمثال السائرة فيها، وكان يحب طريقة المتنبي وفخامة تعبيره، كما تعلّق بفن المديح النبوي وطريقة بنائه.

وقد رأيتُ في شعره نفَس الأوائل فهو ذو قصائد طويلة، ولديه ثراء لغويّ في مادة قصائده تَشِي باتساع قراءته وتعدّد مصادره، وأن هذا الشاعر الشاب كان سيشقّ مساره بسرعة في سماء الشعر، ويحلّق فيه.

لا يعرف الناس عنه أنه كان مقاتلاً قسّامياً ذا بندقيّة، وكان يحب أن يعانق بندقيته التي كانت حبيبته الحقيقية، وكان يطمح أن يكون شاعر المقاومة الفلسطينية، بعد أن نال لقب أصغر شاعر فلسطيني يطبع ديوانه في قطاع غزة وهو في سنّ مبكرة، إذ لم يصل عمره إلى العشرين عندما ارتقى شهيداً. وتجد في شعره شعوراً عالياً بالفخار وامتلاء النفس بالعزّة، وتعاظُم روح التحدي، ولا شكّ أن انتماءه إلى الخط العسكريّ المقاوِم قد جعل شعره المقاتل أقوى تعبيراً وأشدّ تصويباً، والجميل أنّ هذه التجربة العسكرية له قد أدخلته في مجال الحكمة التي يختص بها الشعراء الكبار الناضجون أو يتدرّب عليها الشباب المحنّكون من الشعراء المميزين أوّل أمرهم؛ وانظر مثلاً إلى هذه الحكمة المتحدّية في قوله:

لا يَتَّقِي لُقْيَا المكَارِهِ ضَيْغَمٌ إنَّ الرَّدَى عِنْدَ الكِرامَ مُرَحَّبُ

وكان يعدّ الشهادة في سبيل الله أعلى مراتب الإنسانيّة، وأنّ من اختاره الله للعيش في أرض فلسطين ثم مات على غير شهادة مستحقّة فكأنه خان وطنه:

والموتُ في هذه البلاد خيانةٌ إن لم تكُن عند الممات شهيداً

ويقول:

ولا تُنِلْ ظالماً ما قد ألمَّ به والصبرُ إلا على الظُّلّام محمودُ

وكان يعلم أن حياة المجاهد قصيرة لأن حياته ليست في دنياه وإنما في آخرته:

يا صاحبي

إنَّ الحياةَ مريرة، إنَّ الحياةَ قصيرةٌ

محْضُ اختبار

أو كراحة عابرٍ، أفضى إلى ظلِّ الشجيرةِ

وانتهى نحوَ الطريق

هي بِضْعُة أيامٍ، وبَعْضُ دقائقٍ

فحذارِ ثُمَّ حذارِ إنَّا لنْ نُطيل

وكان له غاية يسعى إليها صوب تحرير المسجد الأقصى وتطهيره والشهادة في حِماه:

لَنا في الحربِ والهيجَا بيوتٌ وإنَّا نستزيدُ ونستَميتُ
ويكفينِي من الدُنيا فخارٌ بأنِّي في حِمى الأقصَى أموتُ

وكان يضرب برجله الأرض، وهو صاحب الثأر الساعي للانتقام من عدوّه، ويترنّم بهذه الأبيات التي كتبها بشموخ:

واللهِ لا يبيتُ الدّمْ نحنُ أبناءُ الحممْ
نحنُ أحفادُ الأسودِ ونحنُ من قادَ الهرمْ
يا فلسطينُ اشهَدِي أن ثأرَ القومِ تمْ
واعلَمي أنّي هُنا خيرُ من حفِظَ القَسمْ
سيدٌ وسطَ الحُروبِ الموتُ لي خالٌ وعمْ

وتبدو روح الانتقام الثائرة كثيراً في شعره، يقول:

قم واستمع ما جاءَ في أخبارِهم فالردّ فوراً زلزلَ الأرجاءَ
وبه نردُّ على الكلابِ بحقدِها: إنَّا نُلبّي للحُرُوبِ نداءً
يا أُختَنا بالمسجِدِ الأقصى إذا نزفوا دماكِ، سيغرقون دماءً
وسنعتَلي جُثثَ الكِلابَ منابِراً فترقَّبوا... الثأرُ فينا جاءَ

وهذا الشعور الجامح في الثأر والانتقام كان وليد غضبٍ وانفعال لكثرة من فقد من أصحابه وإخوانه وقدواته الذين أكثر من بكائهم ورثائهم؛ وقد سبق لأخيه الصغير أدهم أن أصيب إصابة بالغة في رأسه قبل طوفان الأقصى، ولم يمضِ عليه وقتٌ تعافَى فيه قليلاً بعد عملية جراحية صعبة حتى أصيب إصابة بالغة للمرة الثانية في عملية الاستهداف التي استشهد فيه أخوه محمد.

وكان شديد التعلّق بهؤلاء الأجناد الذين يتدرّبون في جوف الليل وباطن الأرض، ويتوعّد بهم يوماً قريباً:

وإنَّ لَنا بعُمق الليل جُنْدا ستَفْتح في بِحار العزِّ بابا
ستُشعِل في شواطئهم لهيبا وتُلْقي في منازلهم عُبابا

وكان يرى في صورة الشهداء الشباب نفسه، وكان يعجبه أن يكون فيهم، فقال مثلاً في الشهيد عدي التميمي الذي استشهد قبل عام من طوفان الأقصى مساء 8 من تشرين الأول/ أكتوبر 2022 حيث ترجل عدي من سيارة أجرة بكل هدوء على حاجز مخيم شفاط قرب القدس، وامتشق مسدسه ليوجه رصاصات مسدسه من مسافة قريبة جداً على رؤوس جنود الاحتلال، فقال فيه:

بعينِكَ لم يرَوا إلّا الثبَاتَا ... فأرهبتَ الأعاديَ والغزاةَ
ستدحرُهم لأنك نسلُ قومٍ ... يحبُّونَ المنيَّة لا الحياةَ
ويا شعفاطُ فيك عُدَيٌّ فخرٌ ... وقد نال الشهادةَ لا المماتَ
تصبَّح في بلادِ العزِّ عزّاً ... وبين مكارمِ الرحمن باتا
فهاكَ الجَمعُ لمّا كان فرداً ... وهُمْ في جَمعِهم كانوا شَتَاتَا

وفتح الناس ديوانه بعد استشهاده ليجدوه يتحدث عن ألا تحرير دون تضحيات، وأن المرء يجب أن يتخلى عن الحياة لتوهب له، وتكون الحياة بعد ذلك أهلاً له:

نَمتطِي الموتَ افتخارا
للمعارك نبتَسم قد سئمنَاه انتظارا
وهو فينَا قد هَرِم
بلْ وأسهَرناه دهرًا بلْ وضَرَّجْناه دم
يا فلسطين اشهديني
إنَّني أفدي الحرم
واعلمي أني بأرضي
خير من حفِظَ القَسَم
سيِّدٌ وسطَ الحُروب
الموتُ لي خالٌ وعم

وكان غزله في حقيقة الأمر بوطنه وبندقيته، وما "ليلى" التي يحبّها ويفتديها إلا إحداهما:

مالي أُصبِّر نفسي كلَّما خَطَرَتْ ليلى وما يَنْبَغي صَبرٌ ولا سَكَنُ
أُحِبُّها فوقَ نفْسي بل أُقَدِّسُها وما يُفارق عيْني طيْفُها الحَسَنُ
تَكَاد لو سألتْنِي الرُّوحَ لافْتلتَتْ ولاستجابَ لها من فَوْرِه البَدَنُ

في اليوم الثالث من بدء معارك طوفان الأقصى يوم 2023/10/10 كانت طائرات العدو تغطي سماء قطاع غزة وتضرب أهدافاً مفتوحة بعينين مغمضتين محمّرتين، واستهدفت إحدى هذه الطائرات منزل أسرة محمد في معسكر جباليا فأصيب والده وأخوه وتهدّم المنزل الذي احتاج والده عشرين سنة ليسدد أقساطه، ويرتقي محمد شهيداً وهو يتوضأ لصلاة الفجر.

رثاه أحد أصدقائه مع العديد من الشهداء، وجاء في قصيدته:

الأصدقاءُ نَفَائِسٌ وَهواءُ والأُمنياتُ بِدُونِهم سَوداءُ
يَتَوافدونَ على الحياةِ قَصائداً ومَنَالُهم في المُنتهَى شُهدَاءُ
مِنهُم "مُحمَّدُ صالحٌ" في خُلقِهِ سَقَطَت لَنَا "يدُهُ" فَحَلَّ إبَاءُ
ما زلتُ أذكرُ كيفَ يكبُرُ شِعرُهُ وتَنالُ مِن إشراقِهِ الأضواءُ

وبكاه صديقه الشاعر محمد دبابش:

نعاكَ القلبُ يا قلبي وخِلِّي تفجَّرتْ العيونُ عليكَ دمعَا
محمدُ يا رفيقَ الدربِ مهلاً نزعتَ الروحَ من دنياكَ نزعَا
بكيتُكَ هل لمثلِكَ مِن بديلٍ فلا واللهِ في الخلانِ قطعا

وقال فيه أيضاً:

الشوقُ إليكَ أضناني يراودني وأعياني
أهدَّ القلبَ وانسلَّتْ بنبضٍ منه أحزاني
ويقرأُ من رأى عيني رثاءً فيكَ أشجاني
أحاولُ أنْ أجمِّدَها فلا آتٍ ولا آني
يسيطرُ سكبَها حتى تدَفَّقَ غيرُها ثاني

وكان آخر بيت كتبه إلى صديقه في رسالةٍ يومَ العبور أول أيام الطوفان:

خذ ما تبقى من دمائي وارتحِلْ فالموتُ أمنية بهذي الدارِ

"ربما هذا شيء خاص بشعب فلسطين"

"دعوني أخبركم بشيء مثير للاهتمام، أنا أمارس مهنة الطب منذ سنوات عديدة، لم أرَ من قبل مرضى بهدوئهم، لم أرَ أي شخص يصرخ أو يبكي بسبب الألم الناتج عن جروحه، لقد قطّبنا جراحهم بعشرات الغرز، في بطونهم وأذرعهم ورؤوسهم، ولم نسمع شكوى من أي مريض، ولم نسمع صوت صراخ، حتى الأطفال كانوا هادئين، كان هذا مفاجئاً للغاية بالنسبة لي، لقد أظهر هؤلاء الأشخاص هدوءً وصبراً لا يصدق..... . في أجواء الحروب يكون الناس في حالة اكتئاب واضطراب نفسي، ولكن ما أدهشني هو أنني لم أرَ أي شخص يعاني من اضطرابات نفسية، أو يظهر عليه علامات الاكتئاب في الخارج.... ربما هذا شيء خاص بشعب فلسطين، ربما هم هكذا بسبب الحروب التي عاشوها لسنوات. ومع ذلك، كان من المدهش رؤية مثل هذا المستوى العالي من الصمود والهدوء والمثابرة لدى المصابين الذين كانوا يُعانون من إصابات خطيرة".

هذا ما قاله الطبيب التركي تانر كاماجي، وهو جرّاح أطفال من مدينة ديار بكر التركية، تطوّع للعمل في غزة لمساعدة المصابين، وهو الطبيب الوحيد الذي وافقت مصر ومن ثم "إسرائيل" على السماح له بالسفر من تركيا إلى غزة.

هل من تفسير إلا أنها السَّكينة والطمأنينة التي أنزلها الله على قلوبهم؟!!

تيسير أبو طعيمة... الشهيد الساجد

تيسير محمد أبو طعيمة

بكالوريوس هندسة

إمام مسجد فلسطين في بني سهيلا بمحافظة خان يونس

أمير نخبة في لواء خان يونس التابع لكتاب الشهيد عز الدين القسام

لم يمضِ خمسة أشهر على افتتاح مسجد فلسطين في بني سهيلا وبدء النشاطات القرآنية والعلمية فيه حتى بدأ طوفان الأقصى، ولم يمضِ أسبوع من هذا الطوفان حتى استُهدِف مسجد فلسطين للمرة الأولى وتضررت نوافذه ومواضع فيه، فأصدر القائمون عليه تعميماً بأن يصلّي الناس في رحالهم بسبب خطورة التجمعات في المساجد، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى انقضّت طائرات الاحتلال على هذا المسجد ودمّرته في اجتياحها الكبير لخان يونس، ودمّرت كل الدور والمنازل العامرة حوله، وهجّرت كلّ سكانها، وقتلت إمام المسجد الشاب الشيخ تيسير أبو طعيمة.

لم يكن يعلم أهل مسجد فلسطين أن إمامهم الشاب ذا الصوت الندي الخاشع بقامته النحيلة ووجهه الصبوح وطلّته الملتحية الغضّة وابتسامته البريئة تخفي قلباً جسوراً جعلته أمير فصيل من أمراء النخبة القسامية المدرّبة، وأن هذا الشاب ذا الثانية والثلاثين عاماً سيكون ملء السمع والبصر وسيتحدث عنه الناس بإعجاب شديد، وسارت قصته في الآفاق، وعلِموا أنّ إمامهم في وقت السلم قد أصبح إمامهم في وقت الحرب أيضاً:

مَن لم يكن أَمامَنا في الصفِّ فلا يكن إِمامَنا في الصفِّ

تلقب تيسير بكنية أبي عبيدة، وأحب أن يكون على سيرة أبي عبيدة الأول عامر بن الجرّاح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتزهّد زهده، وتمثّل أخلاقه، وسار على سيرته في الأمانة والانتظام في سلك الجنديّة والعمل العسكريّ، وكانت مجالسه

تنفح بالمدارسات الإيمانية والتلاوات المتحزّنة والأناشيد المتطلعة إلى الجِنان، وكأنّه يزفّ نفسه إليها، ويتحرّى أخصر السبل الموصلة إليها.

كان الشيخ تيسير شديد الاعتزاز بسلاحه، وكثيراً ما يحتضن قاذفه الذي ينتظر أن يرمي به قذيفة الياسين الشهيرة المحلّية الصنع التي تستعيد ذكرى الشيخ المؤسس أحمد ياسين رحمه الله، وتولى الشيخ تيسير مع نفر من أصحابه مهمة استهداف أرتال الدبابات التي تحوم حول منطقته وتقتحمها بغضبها الغبيّ، وكثيراً ما كان الشيخ تيسير يؤدّي المهمات القتالية والاستطلاعية بنفسه لصعوبة التواصل مع رفاقه، أو قرب الفرصة التي قد لا تتكرر ثانية، فبدا كأنّه يقاتل وحده في تلك الجبهة.

كان تيسير يحب حديث الشهداء، وكان يتغنّى بسيرتهم، وقد نشر له رفاقه فيديو وهو يترنّم بفرح بأبيات قصيدة:

فديتك روحاً تراءت ضياءً ... تعالت فضجّت ملاك السماء
وراح يُحلق تحت الإله ... يطير بفردوسه حيث شاء
ويلقى الأحبة في جنة ... يُناغي بها ثلّة الشهداء
يقلِّب طرفاً له في الجنان ... أحقاً رحلْنا وزال العناء
أحقاً لفحت رياح النعيم ... وخلّفت خلفي رياح الجفاء
أحقاً سألقى حواري الخلود ... ويُطربني لحنها بالغناء
ويلتف غصني على غصنها ... فيورق زهر الهوى والهناء
فطلّت بثغر كدرِّ الجمان ... هلمّ لجيد كبدر المساء
وضمّت فؤادي وقالت بدمعٍ ... لقد طال عهد انتظار اللقاء
وجفّت ينابيعنا لهفة ... فإنا لفيض الغرام ظماء
نذوب اشتياقاً إلى ضمّة ... تُريح الفؤاد وتجلو العناء
مرضت وما بي من علّة ... فشوقي دائي وأنت الدواء
أُربّى لأجلك في الخِدر دهراً ... كلؤلؤة حفها الكبرياء
تضرّم صدري شوقاً إليك ... ومازلت أكتم شوقي حياء

وأرمُق خطوك في المعمعة فيزداد شوقي هوىً واشتهاء
فلمّا استقرت رصاص العداة بروحك أرسلتها للسماء
وذلك ما كنت ترنو له فأملاك مولاك ذاك الرجاء
يُعَزون فيك ولم يعلموا بماذا أُعدّ لكم من عزاء
وقد آن للثغر أن يرتوي ويلثم ثغراً نقي البهاء
وهبت لمولاك روح الفداء فكنتَ المجازى وكنتُ الجزاء
فذابا عناقاً وهاما وصالاً وأُسدل ستر الأسى والشقاء

انتشر ذكر الشيخ تيسير عندما أرادت القيادة العسكرية لجيش الاحتلال إظهار الشماتة بمقاتلي القسام، وإظهار عنف الجيش في التعامل معهم، وبثّ الرعب في نفوس الفلسطينيين، وتوجيه رسالة لهم أن هؤلاء المقاتلين هم صيد سهل لطائراته ومسيّراته، وأنهم تحت المراقبة والرصد، وأنه لا رحمة في التعامل مع فلسطيني يختار هذا الطريق، فأظهرت لهم فيديو سجلته طائرة مسيّرة كيف استهدفته الطائرة وأصابته في ظهره فسقط يتلوّى من الألم ثم حاول الاحتماء واستعمال سلاحه لكنه مال ووضع جبهته على الأرض، وظنّوا أن هذه الحركة تمثّل مشهد خضوع وذلّ ففرحوا بها.

لم تكن تدري هذه القيادة أنها منحت العالم فرصة ليرى كيف يودّع هؤلاء المقاتلون حياتهم في عزّة ورضا وإيمان بالتضحية، وأن هذه المشاهد قد جعلت الناس على امتداد العالم يقفون إجلالاً لهذا المقاتل الوحيد في الميدان تحت مرمى النيران المحيطة به بين المباني المدمّرة:

لَعَمْرُكَ هذا مماتُ الرجال فمَن رامَ موتاً شريفاً فَذَا

في التاسع والعشرين من كانون الأول/ ديسمبر 2023، وقبل أن يختم العالم عامه الميلاديّ، أعاد الناس قراءة هذه اللقطات بعيون مفتوحة مشدودة، ورأوا مقاتلاً بلباسه المدنيّ يحمل سلاحه وينطلق به في خفة ورشاقة وسرعة

حاملاً حقيبة بيده اليسرى فيها ذخيرته وزاده بينما ترصده المسيّرة المذخّرة، وعندما انفتح له الطريق أطلقت عليه صاروخاً قاتلاً صغيراً فتح ظهره، وبدت خريطة الدم النازف بسرعة تنتشر على قميصه، فزحف إلى جدار قريب حتى أعياه بدنُه المصاب، وقد أدرك أنّها لحظة النهاية والبداية، ولا بدّ أن يكمل مهمته، وحاول مراراً أن يكون في وضعٍ قتاليّ ليتمكّن من إصابة العدوّ مواجهةً، ولكن قواه خارت بالرغم من تكرار المحاولة، فاستجمع ما تبقى من قوته في أثناء خروج روحه المسرعة إلى حواصل الطير الخضر التي تحوم عنده ليشكر الله على تلك الخاتمة التي تمنّاها وسعى لها، فرفع سبابته اليمنى بإلحاح وتكرار يتحدى مكبّراً بكلمة التوحيد، ثمّ خرّ ساجداً شاكراً، فبعث الله ذكره عند خاتمته، واشتعل الحديث عنه وانتشر انتشار النار في الهشيم، فكتب فيه الأدباء والشعراء، وأطلقوا عليه لقب "الشهيد الساجد"؛ ولم يستطع الناس الوصول إلى جثمانه إلا بعد أربعة أشهر، فنقلوه إلى مقبرة في بلدته بني سهيلا، ودفنوا جسده الطاهر الشريف.

أبهر هذا المشهد العميق فؤاد الشاعر السوري أنس الدغيم كما أدهش الملايين، فقال فيه أبياتاً فخمة:

لم يقتُلوا فيكَ الشّهيدَ العابِدا ... قتَلوا مزاعِمَهم، وكُنتَ الشّاهِدا
ما زال في الرّمَقِ الأخيرِ بقيّةٌ ... تكفي لتحكي للرِّفاقِ قصائدا
ما زالَ جُرْحٌ منكَ يوقِظُ للمدى ... شعْباً غَفا، ويُثيرُ جيلاً قاعِدا
قتلوكَ، لكنْ بَعْدَ أنْ لقّنْتَهم ... درْساً، ولقّنتَ الحياةَ مَحامِدا
وخَفَضْتَ رأسَكَ لا لِتَخفِضَ هامةً ... لكنْ لِتلقى اللهَ حُرّاً ساجِدا

وكتب فيه الشاعر محمد شاهين:

اسجد لربّك واقتربْ ... فجنانُ ربّي ترتقبْ
هذا الصّدوق بعهدِهِ ... هذا المُسجّى من ذَهَبْ
نال الشّهادة ساجداً ... والقلبُ يخفقُ من طَرَبْ
هذا النّعيم يلفُّني ... قد زال عن قلبي التّعبْ
(تيسير) قد نال الطّلبْ ... ابن الكتائب والنّخَبْ
غاظ العدا وعصابةً ... ترميه حقداً من لهبْ
أعلى الإلهُ جبينَه ... وحباه في أعلى الرّتبْ

وكتب فيه الشاعر والروائي الأديب الدكتور أيمن العتوم قطعة نثريّة فريدة:

"بسمته الساحرة، نظرته العميقة، روحه المُحلّقة، وعيناه الصافيتان كأن نهراً أشهب من أنهار الجنة يملؤهما، ثُمّ تلك السجدة الأخيرة التي أظهرت خارطة الدم على هذا الجسد الطاهر، ثم تلك الروح التي في حواصل الطير، تصعد إلى السماء... مشهد لن تجده إلا في غزّة، مشهد يمكن أن يكون خيالاً، أو مقطعاً من فيلم سينمائيّ؛ لكنه كان حقيقيّاً، وكان طريقةً مُثلى في العُروج إلى الخلود.

أراد أعداؤه أن يقتلوه لكنه قتلهم، أرادوا له الموت لكنهم وهبوه الحياة، أرادوا له الفناء لكنهم منحوه الخلود... كانت سجدته على الأرض التي أنبتته تقول: نحن الباقون وأنتم الزائلون، نحن أهلها وبنوها وأنتم الطارئون، نحن نبتُ الرُّبا والغَمام فيها، وأنتم نبتٌ هجينٌ غريبٌ، ستلفظكم الحقول والطيور والرياحين من بلادنا.. نحن الذين نتشبّث بترابها المُقدّس، وأنتم الراحلون، أنتم تطيرون خوفاً مع أول هيعة حرب، ونحن نطير فرحاً بلقاء الله في هذه الشهادة؛ حين تقطعون حبل الحياة من أجسادنا وأرواحنا وأشلائنا نكون على موعدٍ تائقٍ مع الله انتظرناه، ويا لَطول ما انتظرناه! ويا لَشَدِّ ما هتفنا: واشوقاه... واشوقاه... غداً نلقى الأحبّة... محمّداً وصَحبه.

إنه البطل تيسير أبو طعيمة، كانت طائرات الصهاينة الغاشمة تُصوّره من برجها العالي، تريد أن تقول للعالَم: إننا قادرون على قتل هؤلاء الذين وقفوا في وجهنا، ونقنصهم من بين الدُّور والحواري والأزقّة، وسنصل إلى أخفاكم وأبعدكم... أرادت بذلك أن تُرعِب أهل غزّة خاصّة والعالم عامة، فقدّمتْ أجمل مشهدٍ يمكن أن يحثّ الشباب على الإقدام، ويبعث فيهم حُبّ الشهادة من جديد، ويؤسّس لهم معالم الطّريق في هذا الصراع الطويل الذي لا ينتهي حتى يزول آخر مُحتلّ، ويرحل آخر صهيوني عن هذه البلاد الطاهرة؛ لستم أيها الصهاينة أوّل الطغاة الذين يفعلون ذلك بأولياء الله، من قبلُ فعلها فرعون، أقسمَ حين آمن السحرة: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فردّوا عليه: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.. وفعل، قَتَلَهم من أجل أن يستأصل روح الإيمان التي سرتْ في قلوبهم، فكان تخويفه إياهم بالقتل سبباً في إيمانهم، وانقلاب الناس على الطاغية، وسحْب بساط القوة والمُلك من تحت قدميه.

إن الموت ليس النهاية، بل إنه يبدو في القصتين البداية، البداية لتحرير العقول والأجساد من رِبقة الخوف، وتحريرها من رِبقة الظلم، ثُم انهيار مملكة الظلم والاستبداد هذه...."

وكتب أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر الدكتور محمد صلاح عبده:

"محمد الساجد، كان السجود مفتاح شخصيته، سجد بروحه بقلبه بل طوّع الله نفسه فانقادت له ساجدة، سجدت جوارحه سجدت خلاياه؛ سجدت دماؤه في عروقه تجاوب الكون معه فرآه ساجداً، أينما يمّم وجهه رأى كل ما تقع عليه عيناه في حال السجود؛ مثلما تجاوبت الجبال مع داوود عليه السلام فأوّبت معه، ومثلما سبح الحصى في يد محمد ﷺ، سجدت المخلوقات كلها تأييداً للحال الذي ميز محمداً الساجد: سجد الشجر والحجر والليل والقمر والطير والوحش وحيتان البحر.

كان محمد الساجد كأنه درويش جلال الدين الرومي اختزل الله العالم كله له عند جبهته.

أعطي محمد قوة خارقة فكان يواجه جنود الاحتلال بسجدته لا بحجارته زمن انتفاضة الحجارة، فأعياهم وهزمهم وأخافهم، فكانوا يفرون من طريقه كالجرذان المذعورة.

لم يجمعه بهم طريق واحد ولا شارع مشترك.. كان حضوره يلغي وجودهم، وطلته تحذف انتشارهم حتى سبَّب لهم فزعاً دائماً، وأصابهم برهاب السجود.

اجتمع مجلس الحرب وقرّر مواجهة الساجد من وضع الطيران لاستحالة المواجهة على الأرض ولا من خلف الجدر كعادتهم.

فرد واحد تطارده طائرة! الساجد في حال سجود روحيّ في أثناء المطاردة، الشوارع خالية من البشر والحيوانات، فسجد الهواء وسجدت الرياح وسجد النور والنهار والليل.

ضبط الوغد الجبان بوصلة المدفع على ظهر البطل وأطلق ذخيرته فهبط إلى الأرض صاعداً للسماء كان وقتها على قوة الملأ الأعلى بعدما انقطعت صلته بعالم المحو وسُجِّل اسمه في قائمة الإثبات على رأس قائمة الخلود.

تلقى الطلقة كوخزة إبرة، يكره الموت وربه يكره مساءته، هبط جالساً اعتدل نحو القبلة سجد بتمكن واقتدار وهدوء السجدة الأخيرة، والمسك يفوح من جرحه، فكان العمر سجدة".

"الطفلة المعجزة"... لم تستطع الصمود بعيداً عن حضن أمها وفارقت الحياة

ارتخى رأسها وجسدها على السرير الطبي، بثوانٍ اتَّسعت بقعة الدماء تحتها ليغرق باللون الأحمر، تملأ شظايا صاروخ إسرائيلي كل موضع في جسدها، ينخرها ألم الولادة وألم جروح ناجمة عن شظايا الصاروخ، وهي تلتقط أنفاسها الأخيرة التي بدأت تخفتْ، تغمض عينيها وكأنَّها غادرت الدنيا، وبقي جزء منها يقاوم الموت ويتشبث بالحياة، تجمَّع الأطباء حولها محاولين إنقاذ جنينها وإخراجه للحياة بعملية ولادة قيصرية طارئة تمت دون تخدير، بينما استعد آخرون لوضع الأم في الكفن ووقف النزيف. وُضِعتْ الرضيعة "صابرين الروح" على كفي الطبيب لحظة نجاح عملية الولادة وسط تهليل وتكبيرات الحضور، ليركض بها من غرفة العمليات والطوارئ نحو قسم الحضانة؛ بينما حملَ الأقارب جثمان أمها صابرين السكني (27 عاماً) وغطوه بالكفن وساروا به نحو ثلاجة الشهداء والموتى، وهناك اصطفت بجانب جثة زوجها الشهيد شكري الشيخ (29 عاماً) وطفلتهما ملاك (3 أعوام).

لكنّ صابرين الروح لم تستطع الصمود بعيداً عن حضن أمها لأكثر من أسبوع واحد فقط، وفارقت الحياة، بعد أن وصفها الأطباء بـ"الطفلة المعجزة" التي حمتها أمها بجسدها من الشظايا والحجارة والركام الذي تساقط عليها، فكانت في "أكثر الأماكن أمناً"، وبذلك جرى مسح أسرتها من السجل المدني.

الدكتور محمد أبو زور... البصير المعلّم

محمد محمود يوسف أبو زور

دكتوراه من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في السودان سنة 1997، وكان عنوان أطروحته: "عيون التفاسير للفضلاء السماسير: دراسة وتحقيق من سورة الأعراف إلى آخر الفرقان"

ماجستير من كلية الشريعة قسم أصول الدِّين في الجامعة الأردنية سنة 1993، وكان عنوان أطروحته "منهج القشيري في كتابه (لطائف الإشارات)"

أستاذ في كلية أصول الدِّين بالجامعة الإسلامية بغزة

عضو رابطة علماء فلسطين

الشيخ محمد أبو زور رجل كفيف آتاه الله بصيرةً واسعة واجتهاداً في التحصيل، كان من حفظة القرآن، ومن أهله المعظِّمين له المكثرين من تلاوته وختمه في صلاتهم وقيامهم؛ واصل دراسته الجامعية، ثم سافر إلى الأردن لينال الماجستير من الجامعة الأردنية، ثم سافر إلى السودان لينال درجة الدكتوراه، وقد حظينا بلقائه هناك، وتعرّفه عن قرب.

كان صاحب همّة في العمل والدعوة، متين الديانة، كثير الدعاء والقنوت، ذا صلاح وخير، يحبّه كل من جلس إليه لِما يراه من تديّنه وعبادته، وعفافه وورعه، وسلامة صدره، وعفة لسانه، وجوده وإنفاقه على المجاهدين المحتاجين، وكان يتجنّب مجالس النميمة والغيبة، ولا يقبل أن يُذكر أحدٌ بسوء في مجلسه.

وهو من علماء غزّة المعدودين في التفسير وعلوم القرآن، ومن أوعية العلم، ووُصِف بأنّه من أقوى من درّس التفسير في الجامعة الإسلامية بغزّة، ولكنّه لم يأخذ حظه من الانتشار بالرغم من سعة علمه ومتانة معرفته، وقد أفنى

عمره في التدريس وتعليم الناس وتربيتهم، وكان خطيباً مفوّهاً ينصت الناس لموعظته وصدق لهجته، كثير الاعتكاف في المسجد، وكأنّ قلبه معلّق فيه؛ وكان إذا افتتح أيّ درس من دروسه يدعو بهذا الدعاء الذي حفظه عنه تلاميذه وخاصّته "اللهم إني أسألك قلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، وجسداً على البلاء صابراً".

وهو ذو شعبية كبيرة مجمع عليها، وله نفوذ كبير في أوساط الناس، وكان موضع ثقتهم، ولديه هيبة كبيرة في نفوسهم.

وهو أحد رواد الصحوة وشيوخها في شرق غزة ولا سيّما حيّ الزيتون، ومن القيادات التاريخيّة هناك، وله تأثير كبير على الشباب الملتزم وعامّة الناس، لا سيّما جيل انتفاضة الأقصى سنة 2000، وكان الشباب المجاهدون أكثر مَن لزِمه من التلاميذ، وكانوا يكنّون له احتراماً كبيراً، إذ كان لهم والداً ومرشداً.

تزوج الشيخ من امرأة صالحة هي أم زكريا كشكو، حملت معه هموم الدعوة، وكانت عينه التي يبصر بها، ورزقه الله من الذريّة إيمان وزكريا وآلاء وعبد الله وعبد الكريم.

وما تزال ذاكرة مدينة غزة تتحدث عن واحد من مآثره المذكورة وأحد مواقفه المشهودة يوم جاء نبأ استشهاد ابنه القسّامي زكريا وهو في محاضرة له فتلقّى الخبر بثبات ورباطة جأش، وأكمل محاضرته، ثم ذهب إلى بيته ليتلقّى وفود المهنّئين باستشهاده؛ ويروي آخرون أنهم ظنّوا أنّه لم يُبلَّغ بخبر استشهاد ولده عند عودته للبيت، ولم يخبر أحداً أنّه يعرف، وتلقّى الخبر مجدّداً بفخر واعتزاز ورضا، ولم يهتزّ، ولم يتسخّط، ولم يجزع، ووقف صابراً محتسباً فِلذةَ كبدِه الذي أعدّه لمثل هذه المواقف.

كان ابنه زكريا شاباً قد بلغ الـ 19 عاماً يوم استشهد، وكان عضواً في وحدة الضفادع البشرية، ويلقّب بحوت البحر القسّامي لإجادته السباحة كأنه سمكة حوت؛ وقد اقتحم زكريا بصحبة زميله وجاره الفدائي القنّاص إسحاق فايز نصّار مستوطنة تل قطيف على شاطئ دير البلح، وهذه المستوطنة هي إحدى مستوطنات تجمع جوش قطيف الصهيوني في قطاع غزة، وكان ذلك يوم 2004/3/25، واقتحما المستوطنة عبر البحر مدججين بعدد من قذائف آر بي جي وقنابل يدوية وأسلحة رشاشة، وباغتوا العدوّ بالرصاص والقنابل والقذائف

نصف ساعة قبل أن تنفد ذخيرتهما، وأَسَرا أحد المستوطنين، وكادت عمليتهم أن تنجح لولا دخول دورية عليهم اعترضتهم، وأصابتهم في مقتل، فارتقيا شهيدَيْن، وقُتِل معهما الأسير.

كان الشيخ الدكتور محمد أبو زور شخصية وطنيّة، غيوراً على وطنه ودينه، يحكون عنه أنّه رفع راية سوداء على منزله يوم توقيع منظمة التحرير الفلسطينية على اتفاقية أوسلو سنة 1993 احتجاجاً على تفريطها بأرض فلسطين، واستسلامها للعدو، وتنازلها عن أكثر من 70% من أرض فلسطين.

مع اشتعال أحداث طوفان الأقصى لم يخرج الشيخ محمد أبو زور من منزله على الرغم من شدّة القصف وإحاطة النار من حوله وفرض أطواق من الحصار، فقد كان يعلم أن دائرة النار ستظل تلاحقهم أينما ارتحلوا داخل قطاع غزة، وحتى لو أرادوا الخروج فإن العدوّ لن يدَعْ للناس مخارج آمنة، فعقد مع أهله وجيرانه نية الثبات والرباط، وأيقنوا جميعاً أن موعد شهادتهم قد اقترب، واستعدوا لها بالدعاء والتصبّر والصيام والتعبّد، بينما كانت المجازر تستفحل من حولهم، ولو كان معهم سلاح لكانوا مِن أهله؛ وفي يوم الأربعاء السابع من كانون الأول/ ديسمبر 2023 انقضّت طائرات الاحتلال بصواريخها وأحزمتها النارية على حيّ الزيتون، واستهدفت كل إشارة إلى حياة متحركة داخل بيوت المحاصَرين، وأسفر القصف الذي مسح منزلَيْن كبيرَيْن في المنطقة عن نحو 55 شهيداً قضت فيها عائلة الشيخ أبو زور، ولم يستطع أحد استخراج جثامينهم، ودفنوا تحت الأنقاض، ولم تسجّل وفياتهم في السجلات الرسمية للشهداء حتى بعد مضي تسعة أشهر لأنّ تسجيل الوفاة يتطلب وجود جثمان، فقضى هؤلاء جميعاً بصمت دون أن نعرف أسماء كثيرين منهم على جهة التحقيق، ولكن الجميع عَلِم أن الشيخ محمد أبو زور وعائلته وجيرانه قد قضَوا جميعاً هناك.

"الفلسطيني يعرف ذلّ اللجوء، ويعتبره أصعب من الموت"

بعد قضائه 43 يوماً في قطاع غزة تحت الحصار والقصف، قال اختصاصي الجراحة التجميلية والترميم الفلسطيني غسان أبو ستة إنّ "العدو خلق الكارثة في قطاع غزة، دمّر كلّ شيء. وترك للكارثة أن تغذّي نفسها، الناس، الأطفال سيموتون لاحقاً من البرد، بسبب الظروف التي خلقها الاحتلال"، وأضاف لكنّ "الصامدين في القطاع لن يخرجوا منه... الفلسطيني يعرف ذلّ اللجوء، ويعتبره أصعب من الموت، وهذه تجربة بنيوية حفرت عميقاً في وجدان الشعب الفلسطيني".

عبد الله علوان... أوتار المقاومة

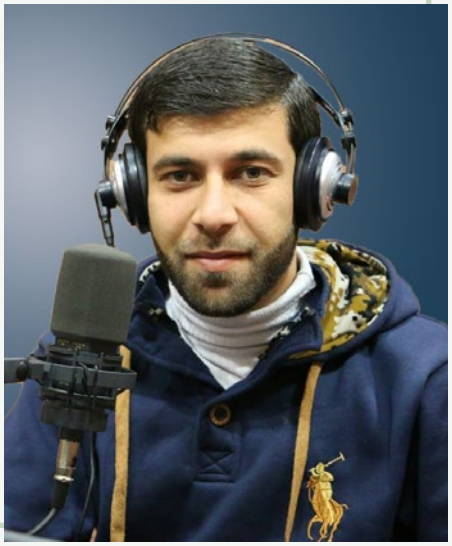

عبد الله شكري علوان

صوت المقاومة الفخمة

معلق صوتي محترف أتقن كافة أشكال التعليق الصوتي

معلق قناة ميدان "الجزيرة"

معلق صوتي لدى شبكة الجزيرة

معلق صوتي لدى منصة إيكاد

مذيع راديو ومعلق صوتي محترف ومدرب في المجال

بكالوريوس التربية من الجامعة الإسلامية بغزة 2005–2010

هذا الصوت الجزل الفخيم ما زال محفوراً في الذاكرة السمعية لكثيرين ممن أَلِفوا صوته في الوثائقيات في قناة الجزيرة الوثائقية، وفي منصة ميدان، ومقاطع الريلز الكثيرة التي كان يبثها، وما زال صوته حاضراً ممن يتابعونه في الإذاعات المحلية الغزّية، وقد كان له مدرسته في التعليق الصوتيّ بأكثر من أداء وطريقة، وكانت له موهبة صوتيّة مميزة جعلته واحداً من أفضل الأصوات الهادئة الدافئة ذات الرنين المريح للأذن الجاذب للانتباه، حتى إن بعضهم كان يستمتع بإغلاق عينيه إذا استمع إليه وكأنه يعاينه لشدّة إتقانه لتقريب المشهد المصوّر المتحرّك أو النص الحيّ بصوته؛ وهذا ما كان يفعله حقّاً فقد كان علوان يُعرِّف التعليق الصوتي بأنه "بث الروح في الكلمات وتحويلها عبر إسقاط الصوت إلى صورة في أذن المستمع من خلال قراءة وأداء مميز، وربط الكلام ببعضه البعض بشكل مؤثر"؛ ومع أن ثمة العديد من الأصوات الفذّة من الفلسطينيين في عالم التعليق الصوتي فإن هذا المجال لم يكن معروفاً في قطاع غزة، وعندما أدرك عبد الله علوان أن لديه هذه الموهبة عند عمله متدرباً في إذاعة البراق سنة 2009، وفي أثناء دراسته الجامعية في الجامعة الإسلامية بغزة من خلال المناشط والفعاليات، لا سيّما عندما فاز بالمركز الأول لمسابقة مذيع الجامعة في ختام فعاليات مشروع "المواهب والإبداعات الطلابية"، الذي أقامه مجلس طلاب الجامعة الإسلامية

بغزة سنة 2011، وأدرك أنه بالإمكان أن يعمل فيها ويكون فيها رزقه ومورد دخْله، كان عليه أن يضع قواعدها ومفاهيمها وطرائقها بالتجريب والقياس وتمارين النّفَس وملاحظة الأثر بالاعتماد على نفسه كثيراً وطلب النقد من ذوي الرأي والنظر، وكنتُ أعطيه رأيي في كيفية أداء المقاطع الشعريّة بأن يجعل خصوصيّة الإيقاع الداخليّ للشعر جزءاً من أسلوبه في الأداء، يقول عبد الله: "كانت الموهبة وخامة الصوت موجودتَيْن، لكن لم أكن مطَّلعاً على كيفية أداء أشكال التعليق الصوتي المختلفة، وكيفية بثّ المشاعر على اختلافها من خلال الصوت، كالفرح والحماسة والحزن، وهذه الصعوبة بدأت بالزوال بالتوازي مع الممارسة والتدريب والقراءة المستمرة".

وكان ينغمس في التعليق باعتدالٍ ورفق، وكأنه يشارك في أحداثه ومشاعره لحظة حدوثه واستيلاد مشاعره، ويستطيع تغيير نمط الصوت ووتيرته ليخدم أهداف التعليم والدراما والسرد والشعر والإعلان وتسجيل الكتب والردود الآلية؛ ولديه ميزة متفوقة في ضبط مواضع الوقوف والصمت بين الكلمات ليكون الصمت المدروس جزءاً من جوّ النص.

حاول العيش خارج غزّة لكنه لم يألف الغربة، وعاد إلى جباليا حيث ينتمي، ويشعر بهويته.

كان صوته يعبر عن شخصيته القويّة وتواضعه الدافئ ومبادرته الدافعة، وكان وقته غامراً بالأعمال والمشاريع التي يتعامل معها بعشق وشغف.

كان مدهوشاً مليئاً بالفخر وهو يتلقى أخبار بداية الطوفان، يقول: "من لم يعش هذه اللحظات فقد فاته كل شيء، لحظات العزة التي نعيشها لا تقدّر بثمن"، وكتب أيضاً: "﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ﴾، غزّة تصنع ما عجزت عنه جيوش المسلمين اليوم". وظهر عبد الله في تسجيل ليلي مصوّر بصوته يفتخر بميلاد هذا الطوفان بالرغم من بروز صعوبة الأيام الأولى في عينيه ووجهه الشاحب: "نحن بخير رغم المجازر، نحن بخير رغم الاستهداف المباشر للمواطنين، نحن بخير رغم استهداف البيوت على رؤوس ساكنيها، والمساجد على رؤوس مصليها، نحن بخير لأننا أوجعنا هذا المحتل وصمدنا وثبتنا وصبرنا وكسرنا شوكة هذا المحتل، لكن أمتنا الإسلامية والله ليست بخير"، وختمها بتوقيعه الصوتيّ الدائم: "نحن صامدون ثابتون رغم العدوان".

وبعد ثلاثة أيام من الطوفان كتب ملخصاً سريعاً للوضع الذي يعانونه: "أحياء كاملة أبيدت، عشرات العائلات مسحت من السجل المدني، انقطاع تام للكهرباء والماء والوقود، المستشفيات لا تستطيع التعامل مع مئات الجرحى".

وبعد خمسة أيام من الطوفان كان القصف العنيف يغطي كل شيء في جباليا، وكتب عبد الله دعاء قصيراً يصف فيه رائحة الموت: "يا رب! نسألك منخفضاً جوياً ماطراً تطهّر به الأرض، الجو أصبح مسمّماً بفعل الدخان والفوسفور".

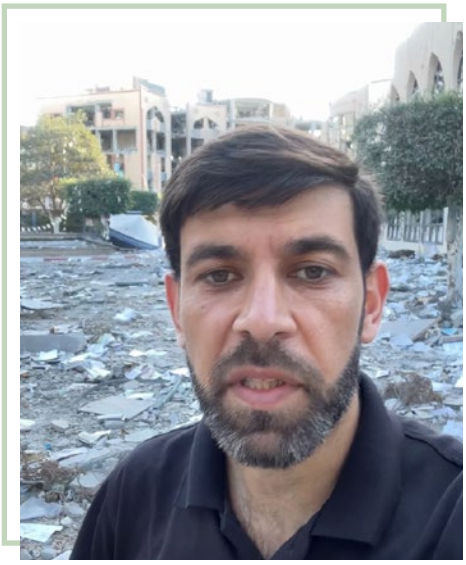

في 2023/10/12، وثّق لتدمير الجامعة الإسلامية بغزة بالصوت والصورة، وتحدث بثقة أنهم سيعيدون بناءها قريباً، فيما كان يبدو الإرهاق والتعب قد أكل منه نضارة وجهه الثلاثينيّ.

في أواخر تشرين الأول/ أكتوبر وبدايات تشرين الثاني/ نوفمبر كان يكتب بحيوية:

- "عدنا بعد عزلة تامة عن العالم، رغم المآسي فإنا صامدون، نحن شعب لا يلين، ننتصر أو نموت".
- "تخيل أننا في كل لحظة نفقد حبيباً أو قريباً، ومن كثرتهم أصبح خبر استشهادهم أمراً طبيعياً، فلا وقت للنعي أو التعبير عن الحزن، فالقافلة لا تتوقف، ونزيف الدم مستمر".
- "مات الكلام، وانحبست الأنفاس، وانخنقت العبرات".
- "أيها المسلمون! انزلوا في الشوارع والميادين، أشعِرونا أننا منكم".
- "إن الكاميرا التي يحملها المجاهد قد تكون أهم من سلاحه الذي يضرب به ويدمر، فلولا التوثيق لغابت كل هذه البطولات عنا، ولولا التوثيق لساق علينا العدو الكذب والتضليل ولم يعترف بخسائره، ولولا التوثيق لما رأيتَ هذه النشوة والمعنويات التي تناطح السحاب في نفوس الناس".
- "بتعرفوا يا جماعة شو أكثر شيء بيزعلنا؟ لما نشوف إنجازات المقاومة العظيمة بنتحسر إنّو ما عندنا سَند يحمينا أو على الأقل يدعمنا بالدواء والغذاء لتزداد قوتنا وصمودنا ويكون لضربات المجاهدين الأثر الكبير، آاااخ بس على حال أمتنا".
- "قريباً بمشيئة الله نحتفل بانتصار المقاومة الشعبية والعسكرية غير المسبوق.. لغزة العزة والفخر.. نحتفل معاً ع الأرض. ويحتفل شهداؤنا في السماء".

ثم تحوّل شهر تشرين الثاني/ نوفمبر إلى ضغط نفسي شديد لشدة القصف والحصار والتجويع المفروض على جباليا، وقد كتب لنا عبد الله مشاعره بكل تجرّد، ويبدو في كلماته الأسى الشديد الممزوج بالغضب والشعور المشبع بالخيبة من الخذلان:

- "الحمد لله على كل حال، لا زلنا أحياء، آاااخ بس!".
- "اللهم إنا راضون بقضائك، اللهم إنا نحتسب عندك صبرنا وثباتنا، فاجعل عاقبة أمرنا رشدا، ما وهنّا وما جزعنا".
- "باختصار: إن كنتم لا تستطيعون نجدتنا فلا تتحدثوا عنا، لا تحزنوا علينا، لا تفرحوا بإنجازاتنا وانتصاراتنا!".
- "كل الذين استشهدوا كانت لهم آمال وطموحات، كانت لهم أحلام و أمنيات يمنّون النفس بتحقيقها، أعرف أناساً منهم، مبدعين ومميزين، كنت أرى مستقبلاً مشرقاً في عيونهم ولكن... وضَع أعداء الحياة حداً لكل ذلك، عزاؤنا أنهم ذهبوا إلى ما هو خير لهم من الدنيا وما فيها".

وكان في كل مرة يخرج فيها يظهر الثبات والتماسك، ويبثّ رسائل إيجابية تدعو إلى الصبر ورفع مستوى الاحتمال، ويدعو كل من رزقه الله نعمة الأمن أن يشكر الله على هذه النعمة ويحافظ عليها، وينصح يوم الثالث من كانون الأول/ ديسمبر 2023:

"نصيحة من تحت القصف: جربتُ آلام الحياة فلم أجد أشد ألماً من الخوف؛ قد تتكيف مع الفقر أو الغربة أو مرض معين أو الفقد، لكن لا يمكن أن تتكيف مع واقع يكون فيه الأمن منعدماً خاصة إن كان الخوف الذي يهدد حياتك أو حياة أحبابك.

نصيحتي لكل من يقرأ هذا الكلام: إن كنت تعيش في مكان آمن فأنت في نعمة عظيمة، لا تنسَ أن تشكر ربك عليها".

وكان شديد التأثر بتخاذل الأمة وعجزها الفاضح عن وقف القتل المروع الذي تمارسه قوات الاحتلال، وكان يتوسّل بوجع إلى ربّه أن يكشف هذا الكرب، وحوله عشرات الأطفال والنساء المحاصرون في جباليا، والذين تتعالى أصواتهم الخائفة في كل دقيقة تهتز فيها الجدران وتخترق أصوات المدافع والصواريخ آذانهم المتشنّجة، فيكتب لنا مدى ما وصلوا إليه يوم 2023/12/14: "يا رب! هذا حالنا لا يخفى عليك: جوع وقتل وتشريد".

كانت تتسرّب إليه مشاعر لا يمكن تمييزها فهو يريد أن يثبت، ولكنه خائف، وهو يريد أن يطمئن، ولكنه ما زال خائفاً، وهو يريد أن يظلّ يشعر بالفخر وهو خائف، وكان يحاول إقناع هذا العالم الذي يفتخر بهم وهم في أمن وسلام

أنّ شعورهم هذا يأكلهم، وأنهم يفنون، وأنّهم قدَّموا أكثر بكثير من حدود الاستطاعة، يكتب يوم 2023/11/30 وهو يوم عصيب لحق الدمار فيه بأجزاء من بيته واستشهد فيه اثنان من أبناء إخوته:

"هل يمكن لغزة أن تستريح قليلاً؟

هل يمكننا أن نأخذ حظنا من العيش في هذه الحياة!

ما بينفع غزة لوحدها تدافع عن الضفة وعن الأقصى وعن العرب والمسلمين، غزة لا تستطيع لوحدها.

إخواني العرب!

ارحموا غزة من كلامكم!

فأنتم تبالغون كثيراً في وصفكم وفي تقييمكم، غزة مدينة صغيرة جداً، غزة قدَّمت ما لا تستطيع قوى عظمى أن تقدِّمه، ولكنها وحدها لا تكفي، لذلك دعونا نعيش".

وقبل يوم من ارتقائه شهيداً كتب في منشور له: "والله لولا ثقتنا المطلقة بالله لتملكنا اليأس والجزع مما نلاقيه، ولاعتقدنا أن هذه الإبادة لن تتوقف مطلقاً؛ كيف لا يجزع من فقد خلال 70 يوماً متتالية كل شيء! ولكن نحمد الله على نعمة اليقين بالله والأمل به".

وفي ظهوره الأخير كتب في آخر منشوراته حكمة بالغة تفيد أن طول الكارثة يجعل أيامها متشابهة، وتنحدر في مستنقع السوء كل يوم، يقول: "70 يوماً مضت، وكل يوم نستقبل صباحه بكلمة "كانت هذه الليلة أصعب ليلة في الحرب"، كل الأيام والليالي تشبه بعضها في المأساة والمعاناة، بل كل يوم يأتي أسوأ من الذي قبله، هذا هو الوصف المختصر لأيام الحرب".

كان رفاقه يلحّون عليه أن يرحل لرفح أو خان يونس في الجنوب فكان يقول بثبات: "العدوّ يريدنا أن نرحل بعيداً عن ديارنا، وليس لنا إلا هذه الديار، لن نتزحزح من بيوتنا".

استشهد عبد الله علوان في اليوم العالمي للغة العربية في 2023/12/18، وهي لغته التي كان يحرص على ضبط كلماتها، وصحة أسلوبها، ومراجعة سبكها وأصواتها مع المتخصصين، وكان يراسلني بين الحين والآخر بتهذيب رفيع لأبيّن له بعض وجوه الصواب في بعض العبارات التي تُشكل عليه، كما شرفني بالاستضافة ببرنامج له في إذاعة القرآن الكريم التابعة للجامعة الإسلامية بغزة.

في هذا القصف الذي استهدف مربعاً سكنياً تسكنه عائلتا علوان والبرش وعائلات أخرى نازحة انهمرت صواريخ طائرات أف 16 الأمريكية على ثلاثة منازل من بينها منزل الشيخ فتحي علوان المكوّن من أربعة طوابق، كان فيه عبد الله علوان فطبَّقته ودمَّرته، واستشهد نحو مئة شخص أكثرهم من النساء والأطفال أو أكثر، وأصيب مثلهم أو أكثر.

وبذلك أعدم المحتلّ أفخم الأصوات الغزّية الذهبيّة، كما أعدم الحياة.

ملابس العيد تتحول إلى أكفان في أول أيام عيد الفطر

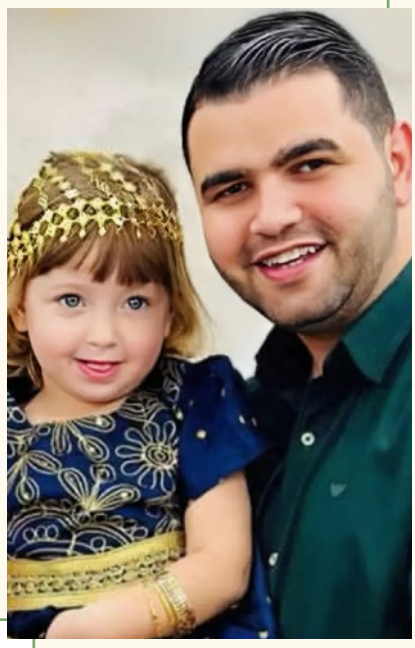

في أول أيام عيد الفطر، ارتَدَت ملاك محمد إسماعيل هنية، ابنة الثلاثة أعوام، أجمل ما لديها من ملابس، وجلست في حضن والدها داخل سيارة المعايدة، التي ضمت عمها أمير وأطفاله خالد (7 أعوام) ورزان (5 أعوام)، وعمها حازم وأطفاله آمال (10 أعوام) ومنى (9 أعوام)، ولكنّ الاحتلال باغتهم بصاروخ استهدف سيارتهم، وحوّل فرحة العيد التي أرادوا انتزاعها من بين براثن الحرب والموت إلى مأتم.

كانت الطفلة ملاك تنظر إلى الأعلى، لعل طائرات المساعدات تُرسل طحيناً أو ما يسد جوعتها هي وعائلتها وأهل منطقتها في شمال غزة، غير أنّ الطائرات الإسرائيلية أرسلت لها صاروخاً ملأ جسمها الصغير بجروح خطيرة وحروق وكسور، ثم توقفت بعد أقل من أسبوع آخر نبضاتها وارتقت شهيدة، كباقي عائلتها التي كانت ترافقها في السيارة.

الدكتور رزق الغرابلي... إعلاميّ المقاومة

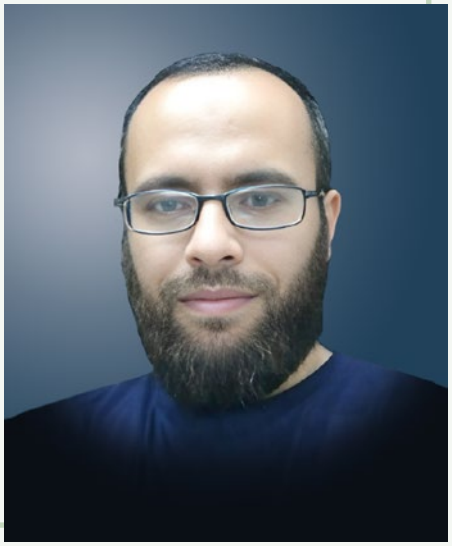

رزق محمد غازي رشدي الغرابلي

بكالوريوس الصحافة والإعلام من الجامعة الإسلامية بغزة

بكالوريوس العلوم الإسلامية من جامعة القدس المفتوحة بغزة

ماجستير الفقه وأصوله من جامعة الأزهر بغزة

دكتوراه في الفقه وأصوله من الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا

مراقب شرعيّ في العديد من المؤسسات الاقتصادية، وأسس مركزاً للتدريب في المجال الاقتصادي

محاضر جامعي "عن بعد" في الجامعة الإسلامية بولاية مينيسوتا الأمريكية منذ 2022/1/1 وحتى اغتياله

تعود أصول عائلة الغرابلي إلى مدينة يافا الساحلية، وهم من سكان أحيائها القديمة، وقد اندفع آباؤهم في رحلة قاسية أيام النكبة حتى استقروا في وسط خان يونس جنوب قطاع غزة، وهناك نشأ جيل جديد حمل شعار العودة والتحرير.

كان رزق الغرابلي ذا صوت نديّ وقراءة خاشعة وتلاوة مجوّدة، وشارك في فتوّته وأول شبابه في العديد من المسابقات التي يتنافس فيها أفضل القراء، وكان مسجد الرحمة في حيّ الأمل بغرب خان يونس ميدانه الذي يرتّل فيه إماماً وخطيباً؛ وكان قد تلقّى التلاوة عن أحد أعلام فلسطين وقادتها المؤسسين للعمل الإسلامي الثوريّ وهو الشيخ أحمد نمر حمدان أواخر التسعينيات، وكان رزق شديد التأثر بأخيه الأكبر الخطيب والداعية الشيخ بلال الغرابلي الذي رحل بعد علّة لم تمهله طويلاً سنة 2021، فأخذ مكان أخيه في الإمامة والخطابة مع آخرين.

وقد انغمس رزق الغرابلي بمزاج غزة وطبيعتها وظروفها، ولم يكن ينسى كيف أن مولوده الأول أطلّ على الدنيا من ثنايا الحرب في عاشر أيام العدوان على غزة في الحرب التي بدأت أواخر 2008 وشهراً وزيادةً من صدر

سنة 2009؛ وحتى عندما اغترب لنيل شهادة الدكتوراه في ماليزيا فإن غزة لم تكن تغيب عنه، وكان يقول إن جسده في ماليزيا لكن روحه ما زالت معلقّة بغزة، وكان عندما يشاهد مسيرات العودة يهتف مع الهاتفين وهو في مهجَره البعيد، وكان يتشوّق لمشاركتهم في هذه المشاعر الثوريّة الجامحة؛ ولهذا لم يتفاعل مع أيّ دعوة تَعْرض عليه البقاء في الخارج بالرغم من توفّر الفرصة لعمل مستقرّ حيث هو.

كان ذا طاقة متجددة وروح منطلقة، وكان معروفاً بمبادراته وأعماله التطوعية الكثيرة منذ يفاعته، ويذكر له رفاقه في ماليزيا كيف شارك في تأسيس مدرسة عربية، وشارك محاضراً في مدرسة الأقصى التكاملية في ماليزيا خلال الفترة 2018–2021 حيث بقي رئيساً لمجلس إدارة المدرسة بعد مغادرته إلى غزة، وقد ظلّت المدرسة وفيّة له فأعلنت عن مسابقة سنوية (رمضان 1445 الموافق آذار/ مارس 2024) سمتها "مسابقة الشهيد رزق الغرابلي لحفظ القرآن الكريم – تاج الوقار".

اشتهر الدكتور رزق الغرابلي بإدارته لمكتب قطاع غزة التابع لأحد أهم المراكز الإعلامية التي ارتبطت بإعلام المقاومة الفلسطينية وهو المركز الفلسطيني للإعلام منذ سنة 2015، ومن هنا غلَبت عليه الصحافة التي كانت هواه القديم، وتخصّصه الجامعيّ الأول، وهو المحبّ للأدب والتحرير إذ سبق له الفوز بمستويات متقدمة في مسابقات محلية للقصة القصيرة؛ وبات يجاهد هذه المرّة في ميدان الإعلام، وصار هدفاً من أهداف الاحتلال في كل مرة تشتعل فيه الأحداث.

في اليوم الذي قضى فيه رزق الغرابلي شهيداً يوم السادس من شباط/ فبراير 2024 كان قد أتمّ عامه الأربعين، إذ هو من مواليد هذا اليوم والشهر من سنة 1984 في خان يونس، وهو توافق غريب يجمع بين الموت والميلاد في يوم مشهود.

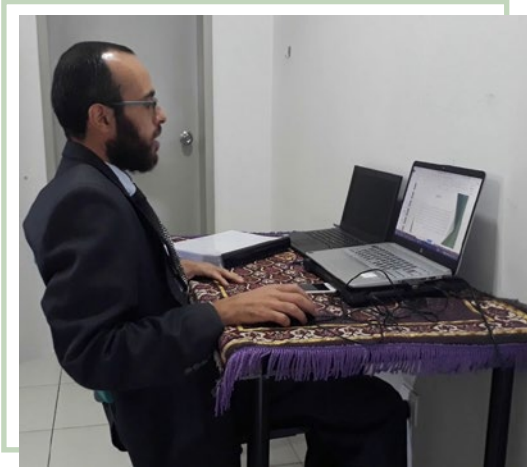

منذ بدء أحداث طوفان الأقصى واكب رزق الغرابلي عبر مكتبه الصغير، الذي كان يناضل للبقاء بسبب الظروف الصعبة التي تمر بها جميع الأعمال في قطاع غزة، أحداث الطوفان، وكان يغطّي بعض الأحداث، ويدوّن التقارير، ويستعيد روح فريقه على الرغم من انقطاع الكهرباء التام، وخطورة الوضع، ووقوع قطاع غزة كله تحت أحزمة النيران. وكان يعلم أنّ قضاء الله قادم، وأنّ عليه الثبات وأنْ لا مفرّ من قدر الله إلا إلى قدره، فرابط في محلّه

بينما يشتدّ القصف حوله، وظلّ يحاول التواصل مع فريقه الذي تشتّت، وفقد كل إمكانيّة للاتصال. وكان يتحيّن أيّة فرصة محدودة تعود فيها الشبكة ليبعث بعض مشاهداته على الأقل، ولكن مجرد استخدام الجوال والإنترنت كان يتسبب بتحديث إشارة العدوّ فيضرب موضع الاستقبال بلا رحمة، فكان الغياب أكثر من الحضور.

لم تهتزّ ثقته لحظة بنصر الله ومعيّته لعباده، وكان يبث هذه المشاعر في كل من حوله، وتحدث عن ذلك أقرب الناس إليه وهو في ذروة الحصار، وتتحدث زوجته الدكتورة وصال أنهم لمّا كانوا محاصرين في منزلهم بحي الأمل لمدة شهرين متصلين، وكانوا نحو 25 شخصاً من العائلة، كان الدكتور رزق يخطب بهم الجمعة في غرفة خصصت للذكر والعبادة، ويستصحب في خطبته معاني التوكل والثبات والصبر والتحذير من اليأس والقنوط، ومع أنّه لم يشهد هذا النصر عند استشهاده فإن روح هذا الشعور بقي سارياً فيمن حوصر معه.

كانوا في أثناء حصارهم الطويل لا يستطيعون الظهور على السطح لنشر الملابس، بل كانوا يخشون إشعال نيران الفحم نهاراً لئلا يرى العدو الدخان فيقصف المنزل، وكانوا يقسمون الرغيف المتوفر أربعة أقسام، ويوزعون لكل عائلة في المنزل زجاجة ماء واحدة في اليوم والليلة، وكانوا يلبسون الجوارب طوال اليوم بغرض المسح عليها لأن ماء الوضوء غير متوفر غالباً، والأولويّة للشراب، وكان زادُهم من الماء يأتي من حصاد الأمطار فيستخدمونها للشرب والغسيل والجلي والطهارة، وبما أنه كان يتوفر لديهم لوح طاقة شمسية فقد كانوا يشغّلون التلفاز ليشاهدوا ما يجري في الدنيا، ويتابعون عمليات المجاهدين فتنشرح صدورهم، ويجددون ثقتهم بهؤلاء المجاهدين.

وهم في هذا الحصار كان لا بدّ من مشروع يشغل الأولاد الكثيرين في المنزل، أولاد الشيخ رزق وأولاد شقيق زوجته الشهيد، وأولاد أختها الذين استشهد والدهم، وأولاد أختها الأخرى؛ وتولى الشيخ رزق تأهيل الكبار في فنّ التلاوة والتجويد وتحسين الأداء.

كانوا يجتمعون على قراءة القرآن وقراءة رياض الصالحين للإمام النوويّ، ويحرصون على القيام كل ليلة قبل الفجر، وكان بعضهم يصلي على فراشه لضيق المكان؛ كل ذلك بينما كانت الطائرات تمسح محيط مستشفى ناصر وتضرب حيّ الأمل بقوة، وتبث الرعب بكثرة المجازر التي ترتكبها على مدار الساعة.

كان الشيخ رزق وحَماه "والد زوجته" قد قررا الصيام كل يوم بنيّة تفريج الحال، وتوفيراً للقليل من الزاد، وجعلِ أكثره للمحتاجين معهم من الصغار والمصابين المحاصرين في المنزل، وقبل استشهاد الشيخ رزق بعدة أيام كتب تحديثاً أخيراً على وصيته التي يحدد فيها ما له وما عليه من حقوق، وكان يسجّل أي تحديث في وصيته لئلا تفوته، ووجّهها إلى عائلته من أمّه وأبيه وزوجته الدكتورة وصال وأطفاله الأربعة، وختمها بالدعاء: "اللهم إنا عبيدك

بنو عبيدك بنو إمائك نواصينا بيدك ماضٍ فينا حكمك عدل فينا قضاؤك؛ نسألك اللهم رحمةً ونوراً لنا في قبورنا، وجنّة ونعيماً في أخرانا، وأن تدخلنا الفردوس الأعلى بغير حساب ولا سابقة عذاب، اللهم آمين"!

في أوائل شهر شباط/ فبراير 2024 تعرضت خان يونس وحيّ الأمل لاجتياح برّيّ مصحوب بقصف عنيف طال المنزل الذي يتواجد فيه الشيخ رزق، فتهدّم المنزل عليه وقتله.

وبعد 42 يوماً استخرجوا جثمان الشيخ رزق من تحت الأنقاض، ودفنوه مؤقتاً في مقبرة الكلية الجامعية بمواصي خان يونس، ثم نقلوه إلى مقبرة أهل يافا وراء مستشفى ناصر المدمّر في خان يونس.

في معظم منشوراته كان يتبنى شعار: "صبر ساعة"، وكان آخر منشور كتبه هو منشور كتبته أنا في صفحتي على فيسبوك فشاركه من صفحتي، وهذا المنشور كان يحمل عنوان: "باب اليقين إلى يمينك".

كان الدكتور رزق يكتب بلغة الواثقين في صفحته على فيسبوك:

- "ستزهر من جديد".
- "أوَيغالَبُ الله!".
- "حاوَلوا دفننا ولا يعلمون أننا بذور".
- "نحن ملحُ الأرض".
- "نحن الذين نخرج من تحت الركام لنبني حياة".
- "حنعمّرها وستُزهر من جديد غزّتنا الجميلة".
- "لن نضعف ولن نهون".
- "حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله إنا إلى الله راغبون".
- "لا يفل الحديد إلا الحديد، نقطة وسطر جديد".
- "والذي نفس محمد بيده هاااااانت".

كان الشيخ رزق ممتلئاً بمشاعر النصر واليقين، ويستعدّ للشهادة، ويرفض اليأس والقنوط، ومن كلماته الباقية:

- "لو كانت كل خفقة قلب بحسنة، والحسنة عند ربنا بعشر أمثالها، والكريم يضاعف لمن يشاء، فكيف سنخرج من هذه الحرب، وقد ألقيت علينا مئات آلاف الأطنان من المتفجرات؟".
- "أتظنون أن الله يمكن أن يضيع أجوركم ويخذل نبض قلوبكم؟ حاشاه!".

- "صبر ساعة!".
- "سنُزهر رغم أنف المُحبطين، إننا عقدنا صفقة مع الله، فالله اشترى النفوس والأموال ووعدنا بالجنة، وكفى بالله وكيلاً وكفى بالله شهيداً".
- "يتعاظم عندنا اليقين بنصر قريب ليس عاديّاً، نصر يعز الله به المؤمنين ويذل به السافلين، لن يكون نصراً معتاداً، سيكون نصراً تتلألأ معه قلوب المؤمنين فرحاً بوعد الله الذي لمسوه بأيديهم وأبصروه بأعينهم".
- "واهمٌ من يتصور أن طول الحرب يضعفنا أو ضراوتها توهننا أو تخاذل العالم عنا يحبطنا، والله إننا نستشعر معية الله في كل لحظاتنا، ونرقب نصره وإعزازه من فوهات البنادق والراجمات، نحنا صامدين، واصلوا نومكم واطمئنوا".
- "البعض قد يظن أنا مللنا، وفقدنا القدرة على الصبر والرضا في أوج حرب الإبادة؛ ولا يدري هؤلاء المساكين أن كل ساعة تمر تزيدنا صبراً وثباتاً ورضاً وتسليماً؛ ليس هذا فحسب، بل وتصميماً على الطريق الذي اخترناه لتحرير أرضنا واسترداد حريتنا".
- "والله العظيم سننتصر نصراً يدهشنا نحن ويذل به العدو أيما ذل، الأبطال يواصلون في الميدان، وأنتم واصلوا صبركم يا إخواني وانتظروا كرم الكريم".
- "مساكين! يظنوننا نضعف مع طول الوقت أو تعاظم الكرب، لا يدرون أننا نستند إلى وعد من الله بالنصر والتتبير، إننا فقط ننتظر ذروة الذلة لأعدائنا لنعلن انتصار الأخلاق والمبادئ والحق والعدالة".
- "الابتلاء وسُنَّة الله في الأرض، خَلَقنا ليبتلينا: أنصبر أم نكفر، وإن الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه، وأمرُ المؤمن كله خير؛ التربية على الإيمان واليقين والرضا والتسليم لأمر الله والعزم على الاستجابة لأمر الله بالجهاد صمام أمان للخروج من الفتن والكروب وتجاوز الخطوب".
- "مهما كان الألم ومهما بلغت التضحيات لدينا شعور بأن الأدب يقتضي أن نُسلّم أمرنا لله، ونرضى بأقداره وألطافه الجميلة، بل ونوقن أن فيها الخير كله، فاللهم إنا راضون عنك فارضَ عنا، وبرحمتك التي وسعت كل شيء عجّل لنا بنصر يعزنا ويذل أعداءنا يا حبيبنا".
- "ما أعظمك يا شعبنا!".
- "العظمة نفسها تتواضع أمام صبرك وصمودك وتضحياتك؛ وإن الذي كتب علينا كل هذه التضحيات هو ذاته الذي وعدنا أن نصره آت؛ أما الذلة منا، فهيهات هيهات".

- "أقرأ كلام المرتجفين فأحزن عليهم: أنَّى لنفوسٍ تتأمل آيات القرآن أن ترتعد أمام عدوّ جبان؛ وعدُ الله بنصرنا ودحر عدونا سيتحقق بعون الله وهو قريب قريب، وحينها سيفرح المؤمن وسيبقى المرتجف حزيناً".
- "نحن أمام خيارَيْن: إما أن نرضى ونصبر ونؤمن ونقاوم وننتصر، وإما أن نضعف ونهون فنُهزم نفسيّاً وميدانيّاً، وأقسم بالله العظيم أنه سيرى منا ما يحب، وإنا لمنتصرون".
- "نؤجر على كل هذا البلاء، وأيامنا الصعبة ستمضي، وستحل رحمة الله وبركاته".
- "قولوا للعالم أجمع: لغير الله لن نركع".
- "سبحان الذي أعزّنا وأذلّهم، اللهم قد أخذت من دماء شعبنا، وإنا قد سلمنا أمرنا إليك ورضينا، فارض عنّا، ونجِّنا، وارحمنا إنك أنت الرحمن الرحيم!".

وما زال يحاول إخراج جثمان ابنته من تحت الأنقاض لكن دون جدوى...

"ألو كيف حالَك يا بابا وكيف ماما وإخواتي سلملي على الجميع سأشتاق لكم وسامحوني"... كانت تلك الكلمات القليلة جزءاً من مكالمة هاتفية دارت بين نور أبو نوفل، ووالدها إياد قبل أن ينقطع الاتصال بينهما بشكل مفاجئ، ويكتشف الوالد بعد ساعات أن ابنته وطفليها التوأمين وزوجها وعدد من أقاربه استشهدوا، فيما أُصيبت ابنتها سدين ذات الثلاثة أعوام، بجروحٍ أدت لتهتك وقصور في ساق رجلها الأيمن جراء قصف استهدف منزلهم في مخيم الشاطئ غربي مدينة غزة في 2023/10/15.

يحكي والد نور بلوعة الفقد، أن ابنته، التي ما زالت عالقة تحت أنقاض منزلهم، كانت طيبة القلب تتصل به بشكل مستمر وتطمئن دائماً على أشقائها.

يقطع أبو نوفل، بين الفينة والأخرى، نحو خمسة كيلومترات ليصل لمنزل ابنته المدمر محاولاً إخراج جثمانها من تحت الأنقاض لكن دون جدوى. ويُفضل الجلوس قرب منزلها وحيداً بعيداً عن الأنظار خشية أن تسقط دموعه عند استرجاع بعضٍ من ذكرياته معها.

علاء الدين زهد... شهيد دون داره

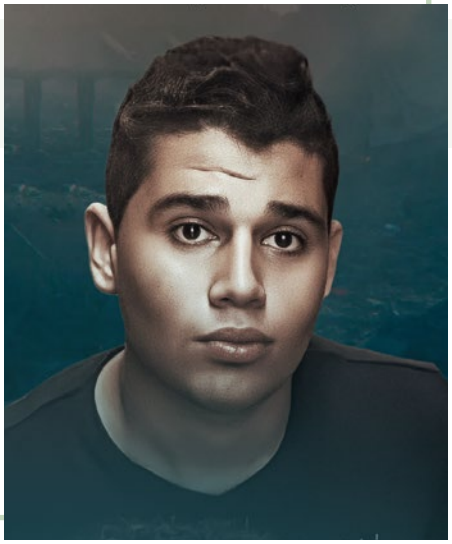

علاء الدين عائد أحمد زهد

كانت واحدة من أضخم العمليات الإرهابية التي ارتكبها جيش الاحتلال بمشاركة مباشرة من القوات الأمريكية بغرض تحرير أربعة أسرى جرى تحديد موقعهم في مخيم النصيرات بعد رصد استخباريّ مجنون، وكعادة هؤلاء الأوغاد فإنهم يحرقون مناطق واسعة بأحزمتهم النارية ليُنفِّذوا عملياتهم، وقد كانوا في هذه العملية بحاجة إلى تدخّل بشري مباشر بعدد كبير من العناصر، وبعنف ناريّ غير مسبوق لتوقّعهم الفشل الكبير لعمليّتهم الخطيرة، وقد ظهر لنا في نهاية هذه العملية كيف قتلوا نحو 300 من السكان بدم بارد فيهم الأطفال والنساء والشيوخ والعابرون والنازحون والساكنون، وجُرح المئات دون أن يطرف لهم جفن أو يبدو منهم أسفٌ...

تسللت المجموعة الرئيسية المكلفة بتحرير هؤلاء الأسرى يوم 2024/6/8 عبر شاحنة تُقلّ لاجئين في الظاهر، ولكنهم في حقيقة الأمر قوات نخبة مدرّبة، وما لبث الأهالي أن تنبّهوا للخديعة في لحظاتها الأولى، وهم الذين تمرّسوا في الملاحظة الأمنيّة، فصرخوا في الناس: "قوة خاصّة، قوّة خاصّة، قوّة خاصّة"! فارتعبت هذه القوة المهاجِمة ومن يساندها، واشتعل القصف فوراً، وانفتحت النيران من كل جانب، وبدأت ملحمة مرعبة سالت فيها دماء هائلة.

كان رجال المقاومة في الميدان، ولكنهم قلّة موزّعة أمام هذه القوة الهائلة المدرّعة، وليس من عادة شباب غزّة أن يفرّوا أو يغادروا مواقعهم إذا كان بيدهم ما يذودون به ويقاتلون، وفي سرعة خاطفة سجّلتها كاميرا مثبّتة على نافذة أحد الجيران وثّقت لنا خروج شاب بلباسه الخفيف الذي يصل إلى ركبتيه، حافي القدمين، وكأنّه لم يجد سعة من الوقت للبحث عن حذائه أو جزمته، وقد حمل رشاشه الخفيف بيده اليمنى، وصار في وسط المعركة المحتدمة، فواجه

بسلاحه الخفيف القوّة الخاصّة المدجّجة التي فوجئت به يطلق النار عليها من حيث لا تحتسب، ويبدو أنّه أصاب منهم مقتلاً، ولكن نيران العدوّ أدركته فوراً عند منزله الذي نزل منه، وثقّبت جسده برصاصها المجنون، وارتمى شهيداً عند شاحنة القوة الخاصّة التي بقيت شاهداً على استبسال المقاتلين وشدة دفاعهم.

شهود العيان أكدوا أنّه لاحق السيارة التي أخذت الأسرى، وتسبب بإعاقتها، وانكشاف أمرها وسرعة التصدّي لها؛ وأشادت الناس به لمبادرته الاستشهاديّة الشجاعة حيث لم ينتظر تكليفاً، ولا أمراً تنظيميّاً، بل لبى نداء الواجب من تلقاء نفسه دون تردد.

ظهرت الحكاية بعد انسحاب العدو وانكشافه حاملاً أربعة من أسراه وعدداً غير معروف من قتلى جنوده الذين سقطوا في هذه المعركة، فرأينا جسد الشهيد "علاء الدين زُهد" حافي القدمين ممدداً في الطريق، ووجدنا جسد أخيه بهاء الدين، وليس بعيداً عنهما جسد أختهما المتزوجة رُبا.

لم يكن علاء الدين المتخرج من كلية التجارة قسم المحاسبة في جامعة فلسطين منتمياً إلى أيّ تنظيم يوم نفَر هذا النفير، ولبّى داعي الدفاع، وأجاب الصرخة، وأغاث اللهفة المستنجِدة، ولا بدّ أن نزوله المَهيب المفاجئ هذا قد غيّر ميدان المعركة، وبدّل مسارها المخطّط، ولا بدّ أن ثمة آخرين في المكان مثله قاتلوا قتالاً مريراً، وبعضهم من أهل المنطقة الذين أبَوا أن يشاهدوا العدوّ يقتحم منطقتهم فحمل كل من يمتلك سلاحاً ما توفّر له منه، وقاتل بلا أدنى خوف أو رعب في مواجهة مكشوفة مباشِرة:

إِذا القومُ قالوا: مَنْ فَتَىً! خِلْتُ أَنَّني عُنِيتُ، فَلَمْ أَكْسَلْ، ولم أَتَبَلَّدِ

نعاهم والدهم الدكتور المهندس عائد أحمد زهد بفخر وثبات، وكتب على صفحته مُشيداً بهم، مهدِّداً بالحملة على قاتليهم، ومنذراً معلناً بوجوب جهادهم: "وترجَّل الأُسُود أولادي عن صهوة جوادهما مقبلين غير مدبرين: الشهيد الأسد م. بهاء الدين عائد زهد، والشهيد الأسد أ. علاء الدين عائد زهد، وقصفوا بيتي، واستشهدت ابنتي رُبا، والحمد لله الذي شرّفني باستشهادهم، وثابتون مُصرّون على طريق ذات الشوكة، لم نجلب الأنجاس لديارنا،

ولكنهم غزونا، وأخذوا من مائنا وأرضنا وهوائنا، فوجب قتالهم بكل ما أوتينا، فإن مِتنا متنا شهداء، وإن عِشنا عشنا أعزّاء".

هؤلاء الرجال ليسوا أساطير في الخيال، بل هم أبطال من لحم ودم كأنهم الخيال؛ وقد كتب شقيقهم الأكبر في رثائهم قطعة تستحقّ التدوين لعمق المشاعر التي فيها، وقوة التصبّر التي يتحمّلها أهل غزّة في مثل هذه الظروف، يقول المهندس ضياء عائد زهد:

"نمتَ يا أخي نومة اللحود، وذهبتَ بلا رجعة فآهٍ لو تعود.

أخي الشهيد كل يومٍ أُعِيد بأن يجعلنا الله من السبعين شهيداً الذين تشملهم شفاعتكَ يوم الوعيد.

يا ربّ لا تجعل شهيداً بذل حياته في سبيل الحق إلا وقد جعلت له من المسك والعنبر في جنانك العلا.

إني لأعلم أن للشهيد فضلاً عند الله، وأنه ما مات، وإنما حيٌّ يرزق، فيا رب اجعلني أراه لو حلماً بعيد المنال.

الحب أخي، والسلامُ أخي، والدمعةُ والحسرة والفقد أخي.

لا تلُم نحيبي يا أخي، فأنا بدونك خالي الروح والفؤاد.

متى تعود البهجةُ لأيامنا، وأرى ابتسامتكَ مجدداً حتى تصير الدنيا عيداً.

ربي إني قد مددتُ يدي إليك بالدعاء أن ترحم أخي، وتسقيه من نهر الكوثر.

هل علمت يا أخي أنني أحتاج إليك كما يحتاج الطفل لأمه.

أسأل ربي أن يجعلَك يا أخي من أجر عباده المكرّمين.

أكرِم أخاك ما استطعتَ، فلا تدري أيّ المسافات تحول بينكما.

كم أرغب بالكتابة عنك يا أخي، ولكن دموعي تسبقُ كلماتي ويقيدني الألم.

لا ألم كألم فقد الأخ، ولا لوعة كلوعة الحرمان منه، وكأن جزءاً منك ضاع.

يتجدد ألم الفراق كل يوم ويزداد، وكأنك يا أخي بكل صبحٍ تغيب.

بكيت حتى جفت دموعي، وصبرتُ حتى ذاب قلبي بين ضلوعي.

إن الشهادة عند الله غالية، ولكن كيف لقلبي أن يحتمل فراقك يا أخي.

أخي شهيد وبعيد، وأنا حزين على فقده، فيا رب اجعل له الجنة مثوى وارزقنا الصبر والسلوان.

إن للشهيد مكانة عند الله تجعلنا ذوي صبرٍ عظيم على ما أصابنا من فقد أخي الغالي.

لا شيء في الدنيا يعادل وجود أخي في حياتنا، ولكن ما يؤنس قلوبنا على فراقك أنك كنت شهيداً في سبيل مرضاته.

يا رب ارزقنا الشهادة لنلحق بأخي ونجتمع في جنانك فنحن لا نقوى على فراقه.

يا شهيد الحق أضنانا فراقكَ وأتعبنا البُعدُ عن حياتنا، فيا رب اكتب لنا جنات العلى بصبرنا على فراق أخي".

شهيد سياسة التجويع شمال غزة

يوزَّع آدم أبو قمر (16 عاماً)، الأبن الأكبر لعائلته، نظراته المليئة بالحسرة نحو أفراد عائلته الشاحبة التي نهش بطونها الجوع لعدة أيام، نتيجة سياسة التجويع التي تنتهجها سلطات الاحتلال الإسرائيلي في مناطق شمال قطاع غزة. لم يحتمل آدم الذي ينحدر من مخيم جباليا شمال غزة، ذلك المشهد الموجع، فحزم أمتعته في 2024/2/20، مع ساعات الفجر الأولى، وقرَّر الذهاب إلى مفترق النابلسي في حي الشيخ عجلين، لإحضار الطحين لهم، لكنّه لم يدرِ أنّ تلك الرحلة سيكون ثمنها "إزهاق روحه وارتقائها نحو بارئها".

انتَظَرَ إلى جانب عشرات آلاف المواطنين الذين يصلون الليل بالنهار هناك قدوم المساعدات، حتى طلّت تلك الشاحنات وهي محملة بـ"الدقيق والمُعلبات". همّ آدم باستقبال تلك الشاحنات وراح يجري مُسرعاً نحوها والأمل يراود تفكيره بجلب بعضاً من تلك المساعدات، لكنه قبل أن يصلها فتحت دبابات الاحتلال الإسرائيلي وطائراته المُسيّرة نيرانها صوب المتواجدين هناك "بلا رحمة"، فاستشهد آدم وترك خلفه أمه وشقيقه الصغير وخمسة من الأخوات "بلا مُعيل"، حيث إنّ والده كان يعمل في فلسطين المحتلة 1948 قبل بداية العدوان في 2023/10/7، وحتى الآن لم يتمكنوا من التواصل معه، ولا توجد معلومات عنه.

الشيخ أحمد الصفدي... الإمام الحافظ

أحمد فوزي الصفدي "أبو البراء"

إمام مسجد الحسَايْنة "مسجد الميناء"

لم يكن أحمد الصفدي شيخاً مشهوراً، ولكن نجمه لمَعَ ثلاث مرات على غير ترتيب أو إعداد، فأمّا المرة الأولى فقد كانت في سنة 2015 عندما كان الشيخ يصلي وحيداً في مسجده البحريّ فأتت قطة فَتيّة اعتادت منه الإحسان فاصطفّت إلى جانبه، وصارت تؤدي حركات الصلاة معه فالتقط أحدهم صورة للشيخ في سجوده وهذه القطّة تحاكيه، واشتهرت قصته في محيطه القريب.

والمرّة الثانية في إتقان حفظه عندما سرد القرآن غيباً من ذاكرته عند مشاركته في مشروع صفوة الحُفّاظ في نسخته الثانية، إذ كان ضمن أكثر من 1,470 حافظاً متقناً للقرآن سرَدوا كتاب الله تعالى كاملاً في مجلس واحد، ولم يفعل الشيخ الصفدي هذا طلباً للسُّمعة، إنما أراد تشجيع الناس وإنجاح هذا البرنامج وإحياء شعائر القرآن في النفوس وتعظيمه بينهم.

سرد الشيخ الصفدي كتاب الله كاملاً في مجلس واحد من بعد الفجر حتى العصر لم يخطئ في حرف واحد كما أخبرني بذلك الشيخ الجليل الدكتور محمّد خالد كُلّاب الذي سرد أمامه القرآن، وقد كان صوته حين انتهى من آخر آية في سورة الناس قد يبس تماماً فبكت عينه، وأبكى الناس الذين كانوا ينتظرون بركة هذه الختمة.

وأمّا المرة الثالثة فقد أكرمه الله بالذكر بعد استشهاده وقتل عائلته وهدم مسجده، إذ مرّ شابٌّ على أنقاض برج الأندلس الذي كان يسكن في شقة منه فكتب على جدارٍ متهدّمٍ بخط عريض أحمر قانٍ بلون الدم: هنا تحت الأنقاض، الشهداء: أحمد الصفدي وعائلته: أمّه وأولاده وزوجته.

هذه الكتابة أشعلت وسائط التواصل، وبدأت تستدعي ذاكرتها، وتتعرّف شيخَ الميناء الحافظ المتقن صاحب الهرّة، وبدأ الناس يحكون قصة الشيخ، ويستنطقون حجارة الميناء المتهدّمة.

كان الشيخ أحمد الصفدي إماماً لجامع جميل مطلّ على البحر يقع في ميناء غزة الصغير، الذي لا تأتيه إلا زوارق الصيد الصغيرة بعد أن كانت تأتيه قبل الاحتلال سفن بلاد المغرب العربي الكبير والأندلس وجنوب أوروبا وبلاد شرق المتوسط.

هذا المسجد في غربيّ مدينة غزة هو من أجمل المساجد وأحدثِها معماراً، وأحسنها زخرفة، وهو من أشهر معالم غزّة الحديثة لارتباطه بالميناء وسوق السمك ورحلة الزوارق، وكانت له ساحات واسعة تُطلّ على الميناء، وله حديقة خضراء يحبّ الصغار اللعب فيها، ولا ينسَى الغزّيّون أجواءه الرمضانيّة المفعَمة بالروحانيّة المزوجة بصوت هدير البحر وهواءه العليل، ويستذكرون صلاة العيد في ساحاته المحيطة القريبة من كورنيش غزة وأماكن السياحة المحدودة فيها، وقد بُني بتبرعات ذوي الخير والإحسان سنة 2017، وهذا المسجد الجميل ارتبط اسمه أيضاً بشيخه وإمامه ذي الصوت النديّ الجميل، والذي تحوّل إلى منبر وعي وتعليم وذكرٍ، فكانت تأتيه الخطباء والمدرّسون والمحاضرون، وكانت لجنته من أنشط اللجان التعبوية والتوعوية، وكان رائدهم الشيخ الصفدي.

بعد ميلاد معارك طوفان الأقصى جنّ العدو الإسرائيلي، وشرع في أضخم حملة إبادة جماعيّة طالت كل شيء، فاقتحمت الدبابات في منتصف تشرين الثاني/ نوفمبر من سنة 2023 رصيف الميناء ومحيطه واقتحمت أحياءه القريبة بعد أن دكت طائراته ومدفعيّته وبوارجه البحريّة المكانَ بأحزمة ناريّة، فتهدم مسجد الميناء، وتبعثرت حجارته، وتهدّم كل شيء حوله، وسوّت المنطقةَ الأجمل في غزة بالأرض، وحوّلت شوارعَه المسفلتة الزاهية إلى

ممرات ترابية، ونالت طائرات الاحتلال من المنازل والأبراج السكنية المُشرِفة على الميناء، وسوّته بالأرض، ولم تُبالِ بأي شخصٍ كان فيه، فقد صرَّح قادتهم أن جميع الفلسطينيين حيوانات ووحوش وحشرات، ولهذا كان قتلُهم مشروعاً في عقل هؤلاء المجرمين وسياستهم.

ومضى الشيخ أحمد الصفدي مع كل أسرته: أمّه وزوجته وأولاده إلى السماء مودّعاً أمّة خذلتهم، وبقي ذكرُه خالداً باقياً.

أُفضِّل الموت في غزة على أن أخرج من بوابة الاحتلال

قَدِم الشهيد إيهاب ربحي الغصين (أبو العبد)، وهو من مواليد الكويت 1979، إلى قطاع غزة من الولايات المتحدة الأمريكية، تاركاً حياة فارهة، وعيشاً رغيداً، ليلتحق بجامعات غزة؛ حيث تخرج من كلية الهندسة المدنية في الجامعة الإسلامية، وينشأ في مساجدها، ويلتحق بركب انتفاضتها، ساحراً في أدبه وخُلُقِه، في صمته وكلامه، وفي كل صفاته.

تدرَّج في العمل التنظيمي الحركي والحكومي، فكان ناشطاً في الكتلة الإسلامية التابعة لحماس، ثم ناطقاً باسم وزارة الداخلية، ثم رئيسا للمكتب الإعلامي الحكومي، وليس انتهاء بوكيل لوزارة العمل، وهو أصغر وكيل وزارة في السلك الحكومي في قطاع غزة.

ابتُلي الغصين بورم سرطاني خبيث في رأسه قبل عدة سنوات، وكان معبر رفح حينها مغلقاً، فتدخل بعض الوسطاء للتنسيق له للسفر عبر معبر إيريز كحالة انسانية إلا أنه رفض ذلك، وقال إنني أفضل الموت في غزة على أن أخرج من تحت بوابة الاحتلال، كان عظيماً في صحته وفي مرضه، في قوته وفي ضعفه.

استشهد الغصين في 2024/7/7، وهو بين أبناء شعبه رئيساً للجنة طوارئ مدينة غزة، بعد أن استشهدت زوجته وبناته وجمعٌ من عائلته قبل أسابيع، ليلتحق بهم للرفيق الأعلى شهداء على سرر متقابلين.

معين عياش... رجل الإصلاح الصالح

معين محمود مصطفى عياش

ولد الشيخ معين في 1963/4/30

دبلوم العلوم الأمنية من كلية العودة بغزة

إمام وخطيب ومؤذن

رجل إصلاح اجتماعي

نائب مختار حمولة آل عياش المكوّنة من عائلات عياش وهنية وأبو جياب وبصلة

تعود أصول عائلة أبي محمود معين عياش إلى بلدة الجورة في عسقلان شمال قطاع غزة، وولد في محل اللجوء بقطاع غزة، ونشأ، وتربّى، وسكن في المحافظة الوسطى "مخيم النصيرات"، وكان له من الأبناء ستة، ومن البنات اثنتان.

وثّق الأستاذ محمود ابن الشيخ معين عيّاش شيئاً من سيرة والده وأرسلها لي، وقد أعدت كتابتها لتستبين أكثر.

آتاه الله صوتاً نديّاً فجعله للقرآن والنداء للصلاة، واعتنى بالقرآن عناية عظيمة، وكان يجمع الفتيان والصغار في أحد المساجد ليعلّمهم التلاوة، ويدرّبهم على الحفظ، وكان يطوف على الناس ليدفعوا أولادهم إليه ليعلّمهم، ولمّا كثر هؤلاء في المسجد الصغير توالت عليه المضايقات من عيون أجهزة السلطة الفلسطينية التي كانت تضيّق كثيراً على هذه المحاضن، كما حرّضت عليه بعض الكبار ليُخرجوه من المسجد، فانتقلت حلقته إلى منزله قبل أن تنفتح له فكرة جديدة.

لم يستسلم أبو محمود لهذه المضايقة فعزم على الاستقلال بمسجد يسخّره للعبادة وخدمة القرآن وتحفيظه، فاشترى قطعة أرض، وبنى قواعد المسجد ورفعه، وأسّس مسجد عمر بن عبد العزيز في منطقة الزوايدة – السوارحة

سنة 1999، وكان مسجده من أوائل المساجد في المنطقة التي انتشر فيها العمران بعد ذلك، وهناك أسّس أول حلقات تحفيظ القرآن في منطقة الزوايدة، وسعى بكل طريقة ممكنة لحث الناس على إعمار المسجد وإلحاق أولادهم في مركز التحفيظ، وكان مشهوراً بتنظيم الرحلات التي تشجع الأهالي على مساعدة أبنائهم في التزام المساجد والحلقات، وأنشأ روضة قريبة ساعدت الناسَ كثيراً على تنظيم أمورهم وإيداع أولادهم في أماكن آمنة واعية.

كان شخصية اجتماعية مشهورة بالإصلاح بين الناس، وكان مقصوداً منهم لحلّ مشكلاتهم والفصل في خصوماتهم، وكان يقابلهم بوجه بشوش وابتسامة ساحرة، وكثيراً ما يتحدّثون عن طِيب معشره وحُسن معاملته وجميل تسامحه، ويأتي إليه المُعوِزون والفقراء العفيفون فيطرقون بابه ويجدون عنده مبتغاهم في خفاء وستر.

ويحكي مصطفى معين عياش، مدير موقع غزة الآن، طرفاً من سيرة والده الشيخ معين بتفاصيل أوسع، فيقول: "في عام 1999 كانت منطقتنا تفتقر للمساجد، وكان في المنطقة مسجد واحد وهو عبارة عن مصلى صغير اسمه "الصراط"، حينها قرر والدي الشهيد الحبيب الغالي معين محمود مصطفى عياش "أبو محمود" بناء مسجد سمّاه "عمر بن عبد العزيز" في منطقة "السوارحة غرب الزوايدة وسط قطاع غزة، وبدأ بإنشاء أولى حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتأسيس جيل من حفظة القرآن الكريم، وبدأ بإقامة الرحلات لتشجيع الأهالي على التزام المساجد وإرسال أبنائهم إلى المسجد الجديد في حيهم، وأصبح والدي إماماً وخطيباً ومؤذناً ومشرفاً بشكل كامل على المسجد حتى عام 2015 قبل أن يودع المنطقة، وينتقل إلى النصيرات وسط قطاع غزة.

كان أهالي المنطقة يَرَوْن في والدي، رحمه الله، بأنه من الذين أسسوا أجيالاً كبرت على يديه، ويعتبرونه والدهم وأخاهم الكبير، وعندما كان والدي يصلي بالناس إماماً في رمضان في ليلة القدر كان يُسمع صوت بكاء المصلين في الشوارع المجاورة من شدة تأثرهم بدعائه رحمه الله.

كان يجمع الناس، ويطرق أبوابهم فجراً، وكان يُجهز السحور في بيتنا للمعتكفين، ونقوم بإرسال الصحون والشاي والعصير إلى المسجد.

كان والدي يُعِدّ أهالي المنطقة أكملهم أهله وإخوانه، وكان حريصاً عليهم كحرصه على

أبنائه وعائلته، وكان أهالي منطقتنا لا يقبلون أن يتدخل أحد في شؤونهم ومشاكلهم وحلّها من أيّ أحد في المنطقة سوى والدي، إذ كانوا يشكون مشاكلهم وأمورهم الشخصية العامة والخاصة لمساعدتهم في حلها".

عندما اندلعت معارك طوفان الأقصى نزح الآلاف إلى المعسكرات الوسطى من الشمال، وقسّم منزله بينه وبين أقاربه النازحين، وكان يقدّم لهم كل احتياجاتهم، ولا يبالي أن يأخذ من حاجته فيضعه في حاجتهم، وكان له محل ملابس يرتزق منه، ففتحه بعد شهر من إغلاقه، وصار يبيع الناس بسعر الجملة، ثم لمّا رأى البرد يفتك بالناس الذين تركوا بيوتهم المهدّمة وليس معهم ما يدفئهم صار يوزع الملابس للناس مجاناً لعدم توفّر المال عندهم، وكان يطوف على النازحين يثبّتهم، ويصبّرهم على المكاره، فتهدأ نفوسهم لموعظته وسَكِينة كلماته.

كان يوم 22 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023، بعد نحو شهر ونصف من ميلاد طوفان الأقصى، يوماً حزيناً باكياً، وكان صوت القذائف رعباً لا يتوقف في تلك الليلة، وفي تمام الساعة الثانية والنصف فجراً سمع الناس أصوات انفجارَيْن هائلَيْن متتاليَيْن على منزل كبير من خمسة طوابق في شارع العشرين بمخيم النصيرات وسط قطاع غزة، يأوي فيه نحو 95 شخصاً من النازحين أكثرهم من كبار السن والأطفال؛ الانفجار الأول تطاير فيه بضعة أطفال إلى منازل مجاورة بإصابات طفيفة قبل أن يسقط الصاروخ الثاني فينسف المكان تماماً، ويقال إن ثمة صاروخ ثالث كان مع الثاني. ولأن الظلام دامس، ولا كهرباء في المكان، وما تزال طبقات الغبار والدخان تحجب الرؤية فلم يستوعب الناس ما جرى، ثم لمّا انكشف الدخان، وبدأت خيوط الفجر بالانتشار، فوجئ الناس بما رأوا فتقاطروا بين النار والبرد والدخان وسموم الردم وأصوات القصف المستمر القريب ليُخرجوا الناس من بين الأنقاض، وكانت الفاجعة كبيرة، والمصيبة فوق الاحتمال، فقد سحقت الأنقاض أجساد نحو أربعين شخصاً من العائلة، وفتّتتهم، وقذف الانفجار أجساد الشهداء إلى عدة أمتار، وتطايرت الأشلاء في المنازل المجاورة، وتبين استشهاد الشيخ أبي محمود معين عياش ذي الستين عاماً، واستشهاد زوجته نجاح كامل مصطفى عياش، واستشهد ابناه الصحفيان في موقع "غزة الآن" أحمد ومحمد وزوجاتهما ابتسام الشعراوي وريم نطط، واستشهدت ابنته فاطمة، ومعاذ زوج ابنته،

واستشهد أحفاده معين وملك وكريم وهبة وليان وخليل ومحيي الدين، واستشهدت أخته سحر وزوجها أبو خليل وأولادها من عائلة "أبو علي": خالد ومحمد وإسراء وآلاء وفاطمة سهيل أبو علي، ومحمد النجار وزوجته وأولاده وآخرون... وبقي الدمع ينزف بغزارة على خدود من تبقى من العائلة على قيد الحياة، لا ينسون تلك الليلة الدموية، ولا ينسون أصوات المدفونين تحت الأنقاض الذين ظلوا يعطون إشارات خافتة أنهم أحياء تحت الردم المتراكب حتى لفظوا أنفاسهم الأخيرة بسبب عجز الأدوات المتاحة عن الوصول إليهم في الوقت المناسب وعدم توفر الإمكانات المناسبة، وعدم توفر الوقود اللازم لتشغيلها.

كلهم استشهدوا.. أحضر الخبز لعائلته فلم يجد من يأكله

لم يتخيل المواطن نعيم أبو الشعر (58 عاماً)، أن مأساة كانت تنتظره عند عودته إلى المنزل بعد شراء الخبز لإطعام أفراد عائلته، جراء غارة شنها طيران الاحتلال الإسرائيلي استهدفت منزله في دير البلح وسط قطاع غزة.

ففي ساعات الصباح الباكر، خرج أبو الشعر وحيداً في ظل أجواء من البرد، ليحضر القليل من الخبز من أحد أفران المدينة، ليتناول طعام الإفطار برفقة أبنائه وزوجته. لكن عندما عاد إلى منزله، وجد نفسه أمام مشهد لم يكن يتخيله، فالمنزل قد تحوَّل إلى ركام وأنقاض واستشهد وأصيب من فيه، بفعل غارة إسرائيلية عليه.

وعندما ذهب أبو الشعر ليتفقد ما حصل بعائلته، وجد بين الركام بجانب منزله جثمان ابنته، فاهتزت كلماته بالحزن وهو يصرخ، "أمل يابا.. أمل يابا، طولها (أخرجها).. يابا، أين أولادي؟، كلهم كانوا بالدار".

وعندما وصل إلى المستشفى، اكتشف أن كل من في المنزل قد استشهدوا بينهم أطفال ونساء ومسنون، حيث بلغ عددهم 15 شهيداً من عائلة أبو الشعر والعائلات التي تسكن في الأبنية الملاصقة.

الدكتور عمر فروانة... رائد الطب الخيري وابنته الـ"آية"

عمر صالح عمر فروانة

رائد الطب الخيري

ولد الدكتور عمر في حي الصَّبْرة بمدينة غزة في 1956/2/7، وكانت عائلته تسكن من قبل في حيّ التركمان بحيّ الشجاعية بغزة

بكالوريوس الطب من جامعة القاهرة

دكتوراه في تخصص وظائف الأعضاء من جامعة ليدز في بريطانيا

عميد كلية الطب البشري بالجامعة الإسلامية في غزة، والأستاذ المساعد فيها

هو أحد أشهر أطباء النساء والعُقم في غزة

والده الشاعر صالح عمر فروانة، له ديوان "مفردات فلسطينية"

من مؤلفاته:

سيناريو الحياة: جولة علمية بين الإنسان والكون

غزّة وإرهاصات النصر

اعتقلته سلطات الاحتلال في الضربة الأولى لحركة حماس بعد الانتفاضة الأولى عقب عملية أشرف بعلوشة، وكانت هذه الضربة في 1989/5/7، واعتُقِل معه نحو ألف شاب من حماس، واعتُقِل مرة أخرى بعد الإفراج عنه.

حرمته سلطات الاحتلال والسلطة الفلسطينية بعد ذلك من ممارسة الطب في مستشفيات غزة، ومن العمل في عيادته الخاصة لعلاج الضعف الجنسي والإنجاب وأطفال الأنابيب بأوامر عسكرية.

أبعدته سلطات الاحتلال إلى مرج الزهور في جنوب لبنان مع أكثر من 400 ناشط وكادر من حركة حماس والجهاد الإسلامي في 1992/12/18.

كان من مؤسسي كلية الطب في الجامعة الإسلامية بغزة، وابتُعِث إلى بريطانيا للتخصص في وظائف الأعضاء للعمل على تأسيس هذه الكلية.

أسس الدكتور عمر مشروع بنك الدم الإسلامي كما شارك في تأسيس مستشفيَي "الخدمة العامة" و"أصدقاء المريض" في غزة.

كان رجلاً خيّراً صاحب حسبة، حتى إنه تنازل عن مبلغ 352 ألف شيكل (نحو 100 ألف دولار) دَيْن له على جيرانه بسبب ظروفهم الصعبة سنة 2020 في ذروة جائحة كورونا.

والده صالح عمر فروانة، ولد في حيفا ونال درجة البكالوريوس في اللغة العربية من جامعة عين شمس، وعمل معلماً للغة العربية في وكالة الأونروا وله ديوان شعر.

ومما دوّنه من أشعار من نظم التفعيلة في مذكراته هذه الأبيات، وأغلب الظن أنها من نظم والده الشاعر صالح فروانة، وهي أبيات كانت تتوقع ما جرى في طوفان الأقصى بلمحة مباشرة:

وكل من يقبع خلف ظلمة الأحزان

ينتظر الأسيرَ أن يعود

ولا يعود

ينتظر القعيدَ أن يسير

ولا يسير

وكل مَن يبحث في الأنقاض

عن جثّةٍ لأخته الصغيرة

وبعدَ أن يدمّر المحتلُّ بيتَه

ومن يموت طفلُها الوحيد

ومن يموت زوجها الحبيب

ومن ومن ومن

ينتظر الشهادة

ليس لنا خيار

في أيار/ مايو سنة 2023، أي قبل الطوفان بثلاثة أشهر، نشر كتيباً يتنبّأ فيه بما ستفعله غزة سمّاه "غزة وإرهاصات النصر"، وهو كتيّب صغير الحجم يبين العلاقة بين غزة ومعارك مفصلية مرت على المنطقة، وكانت غزة في قلب تلك المعارك، وكان النصر حليفها، لذلك ارتبط اسم غزة بالنصر عنده.

وكتب الدكتور صالح على صفحته يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر مستدعياً تاريخ الفتح الصلاحيّ الأيوبيّ:

"هادي غزة جبارة، ما هو السبب وراء القوة والصمود عند رجال غزة؟

قبل 10 سنوات كتبت المقال الآتي "هادي غزة جبارة" وقد كانت كلمات ميس شلش في أنشودة "غزة في يوم الانتصار" هي المحرك للمشاعر والكتابة، أما اليوم فإن المحرك مختلف لأنها تقف وحدها إلا من دعاء الصالحين في كل العالم الإسلامي، ولأن "طوفان الأقصى" رفع رؤوس الأمة جمعاء.

بدأتُ أعود إلى الجغرافيا والتاريخ وعندها أدركتُ الحقيقة، بالفعل "هادي غزة جبارة". تبدأ الحكاية مع الفتوح الإسلامية حيث كانت غزة أول مدينة في الشام يدخلها جيش الفتح عنوة بعد معركة "الدميثة"، فقد أرسل الخليفة أبو بكر الصديق ومن بعده عمر بن الخطاب من يرغب من القبائل العربية للانتقال إلى أرض الفتوح في الشام لينشر فيها الإسلام ويُعلِّم الدِّين لأهل هذه البلاد، ومن هنا دخل العرب إلى غزة وفلسطين ليضافوا إلى العرب الأنباط والعرب المتنصرة الموجودين هناك من قبل.

وبعد معركة حطين والانتصار العظيم على الصليبيين، قام السلطان الناصر صلاح الدين بإقطاع أراضٍ من شرق مدينة غزة لصالح الجند الذين انتصروا معه في فلسطين، فكان حيّ "التركمان" للجنود التركمان. وللعلم فقد فعل صلاح الدين نفس الشيء في الخليل فأعطى الجنود الأكراد إقطاعيات هناك وكان جبل الأكراد.

وبعد صلاح الدين بخمسين سنة تقريباً، عاد الصليبيون للقدس وفلسطين وخرج لهم الملك الصالح نجم الدين أيوب من مصر لملاقاتهم وهزيمتهم في معركة غزة المعروفة باسم "حطين الثانية"، حيث تمّ دحر الصليبيين من معظم فلسطين ومن بيت المقدس فلم يعودوا لها إلا بعد 700 سنة، بعد هزيمة الأتراك في الحرب العالمية الأولى.

ومثل ما فعل صلاح الدين فقد قام الملك الصالح نجم الدين أيوب بإقطاع بعض الأراضي للجنود التركمان وغيرهم من الذين قاتلوا معه ليكونوا بجوار التركمان السابقين الذين سكنوا نفس الحيّ. لذلك نجد أن هؤلاء الجنود المنتصرين بقوا في غزة ولم يعودوا إلى بلادهم، واختلطوا بأهلها وتزاوجوا من بعضهم البعض، وأنجبوا أجيالاً جديدة اختلطت فيهم الدماء العربية في غزة مع دماء جنود حطين، ومن هنا نرى أن الدماء التي تسري في أهل غزة الآن هي خليط مع دماء هؤلاء المنتصرين الذين هزموا الصليبيين من قبل مرتين، وهم الذين يقفون الآن صامدين

أمام الصلف الإسرائيلي والظلم العربي والحصار طويل الأمد. هم الذين يبتكرون ويبدعون في وسائل المقاومة، لم لا ودماء صلاح الدين تسري في عروقهم. بالفعل "هادي غزة جبارة"".

وكتب مجدداً يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر أبيات والده الراحل الذي وصفه بأنه شاعر الأقصى قصيدة يهدي فيها أبياته إلى الاستشهادية آيات الأخرس:

يا أيها البرابرةْ
عَزائمُ الرِّجالِ لا تُحاصرْ
إصرارُ شعبنا على البقاءِ
لا يُقاومْ
فَلتقتلوا مِن غَيظِكُم مَن تقتلونْ
وَلتذبحوا مِن خَوفِكُم مَن تَذبحونْ
لكنَّنا لَن نلبِسَ الحِدادْ
حتى الهواءَ سَمِّمُوه
حتى الطعامَ صادِرُوهْ
حتى زُجاجةَ الحليبِ مَزِّقوها
لِيَرضعَ الصِّغارُ كُرهَكُمْ
فإنَّكُم
لَن تكسِروا صُمودَنا
أو تمنعوا صَبيَّةً لم تبلغِ الحُلُمْ
يَقِلُّ عمرُها
عن عُمرِ (آياتِ) البطولةْ
أن تحثُوَ التراب في وُجوهِكُمْ
أن تقتُلَ الحياءَ في عُيونِكُمْ
أن تحشُرَ النِّعالَ في عُقولِكُمْ
فقد أظلَّها الصَّدأْ
فَصعِّدوا جُنونَكُمْ

وصدِّقوا افتِراءَكُمْ وعَسفَكُمْ
لكِنَّكُمْ
لن تقدِروا أن تقبُروا الحقيقةْ
هل تملِكُ الفَزَّاعةُ الصَّفيقةْ
أن تقتُلَ الحقيقةْ؟
في كلِّ شِبرٍ في بِلادي
ينبُتُ الغضبْ
وإنَّنا لَننتظِرْ
فَلتثبُتوا يأيُّها البرابرةْ
فَلتثبُتوا
لن يفلحَ اجتياحُكُم لأرضنا
لن تشطُبوا وُجودَنا
فإنَّنا على صُدوركمْ
وفي قُبورِكمْ
ستخرجونَ مِن بِلادِنا
مِن الجليلِ للنَّقب
يأيُّها العصابة
فإنَّ لحمَ طفلةٍ صغيرةٍ مِن شَعبِنا
أقوى مِنَ الدبابةْ
أمضى مِنَ الشُّهُبْ
وإنَّنا سننتصرْ
بِضعفِنا وجُبنِكمْ
سننتصرْ
لا تقلقوا يا سادةَ العربْ
فإننا بِدونكُم سننتصِرْ

كانت ابنته الدكتورة المتفوقة آية فروانة مثل أبيها في الصبر والثبات فكتبت يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر:

"لا يهم ما يحدث بعد ذلك... نحن واثقون بنصر الله ومعيته لمجاهدينا... لكن دفعت غزة كفارة الذلة والمهانة عن الأمة لعقود وأعادت لنا مجدنا السليب... اللهم تمكيناً ونصراً وفتحاً من عندك عاجلاً غير آجل يا الله...

صاحب الحق ليس لديه شيء يخسره...

أمر لا رجعة فيه... البحر أمامنا... والعدو خلفنا... على بركة الله...

اليوم نغزوهم ولا يغزونا...

الأرض أرضنا والبلاد بلادنا

والله بقوته معنا".

وبعثت آية لأسرتها في أثناء القصف المرعب وقبل استشهادها بأيام رسالة صوتية مسجّلة، وذلك يوم 10 تشرين الأول/ أكتوبر، بثّت فيها مضامين الطمأنينة والثبات، وأكدت فيها أن الله أنزل السكينة عليهم، وأنهم يمتلئون باليقين ومعيّة الله، وتحكي عن المطر الذي صبّه الله عليهم ليطمئنهم، وتتمنى السلامة للمجاهدين ليحكوا لهم وهم يقاتلون بصحبة الملائكة، وسردت آيات الصبر والثبات، وحكت عن أصوات الطائرات الكثيفة، وأن غبار الأنقاض والركام يخنق كل شيء، وحكت أن هذا الغبار في سبيل الله.

وكتبت الدكتورة آية مجدداً في صفحتها يوم 12 تشرين الأول/ أكتوبر قبل استشهادها بثلاثة أيام:

"هذه معركة الله عز وجل، والنصر يأتي منه وحده سبحانه... فإذا تدخل فلان أو علان... لربما وقع في نفوس بعض ضعيفي الإيمان أن النصر جاء لدخول هذه الفئة وغيرها... والله يغار على نصره، ينصرنا حينما تنقطع أسباب النصر إلا منه... حتى يدخل الناس في دين الله أفواجاً بعد أن يأتي نصر الله والفتح...

فعلِّقوا قلوبكم بالله وحده، ولا تعوّلوا على أحد... انتهى".

لقد كانت آية عمر فروانة جيشاً في الثبات، فقد كتبت يوم 11 تشرين الأول/ أكتوبر بلغة هتافيّة متحدّية عالية مرددة النشيد السائر:

"منتصرون نصرا...

لو كلنا أسرى...

لو جسدي يُذرَى...

فالموت ميلادي...".

وكتبت أيضاً في فلسفة الثبات الذي جرّبته بنفسها وشعرت به يتحرّك في داخلها: "فإذا احتدمت المعركة بين الحق والباطل حتى بلغت ذروتها، وقذف كل فريق بآخر ما لديه ليفوز، فهناك ساعة حرجة يبلغ الباطل فيها ذروة قوته، ويبلغ الحق فيها أقصى محنته، الثبات في هذه الساعة الشديدة هو نقطة التحول، والامتحان الحاسم لإيمان المؤمنين سيبدأ عندها، فإذا ثبت تحول كل شيء عندها لمصلحته، وهنا يبدأ الحق طريقه صاعداً، ويبدأ الباطل طريقه نازلاً، وتقرر باسم الله النهاية المرتقبة".

كتبت زوجة أخيها الأستاذة سُرَى فروانة عنها بعض ما تميزت به فقالت: "كانت أيقونة بالصبر والثبات والجهاد، كانت جيشاً بأكمله، عنصر القوة في بيتنا وأهم مراكز التثبيت؛ لم نرَ منها يوماً يأساً، ولم يتخلل قلبها يوماً فتور، إنْ قابلتَها شَعَرْتَ أنها من زمان الصحابيات؛ طبيبة ناجحة حصلت على شهادة البورد في طب العائلة قبل شهور من استشهادها، أمّ عظيمة ترى غرسها في بناتها اللواتي كنّ يتميزن في كل موضع ومكان، يتسابقن على حفظ القرآن وعلى لبس الحجاب؛ كنا نسميها في ما بيننا "بسّامة جرار"، فكانت مؤمنة إيماناً مطلق بقرب تحرير فلسطين وأن صلاتنا في الأقصى أقرب من أي وقت مضى؛ كانت تردد دوماً: إما نصر وإما شهادة، فنالت ما تمنت تقبلها الله".

كان الدكتور عمر يرسم صورة قريبة من لحظة استشهاده، ولكنه لم يستطع أن يتخيّل أن قتله سيكون بطريقة وحشيّة بشعة في مجزرة ستقضي على أسرته بكاملها، قتلوا فيها 15 شخصاً هو أولّهم، ومعه زوجته وأبناؤه وبناته في غارة جوية إسرائيلية على منزلهم في حيّ تلّ الهوى جنوبي مدينة غزة في منتصف ليل 2023/10/15، أي بعد نحو أسبوع من انفجار عمليات طوفان الأقصى، حدَث هذا بعد عودته من عمله في مجمع الشفاء الطبي، في وقت كُتبت فيه النجاة لطفلة واحدة من العائلة الممتدة.

وكتب سجلّ شهداء مجزرة آل فروانة هذه الأسماء:

الشهيد الدكتور عمر صالح فروانة

الشهيدة صباح نهاد خليل فروانة (زوجته)

الشهيدة الطبيبة آية عمر فروانة

الشهيدة رغد صالح فروانة

الشهيد عبد العزيز عمر فروانة

الشهيدة سندس منار صالح فروانة

الشهيدة مريم عبد العزيز فروانة

الشهيدة آيات عبد العزيز فروانة (رضيعة)

الشهيدة بسملة صالح فروانة

الشهيد عماد صالح فروانة

الشهيدة علا فروانة

الشهيدة إسراء عمر فروانة "أم عبيدة"، وهي زوجة الباحث والإعلامي أحمد سمير قنيطة وأولادهما الأطفال: رهف وعبيدة وريما.

قادة وأبناء حماس يعانون ويستشهدون أيضاً

إسماعيل هنية راثياً أبناءه الشهداء: "دماء أبنائي ليست أغلى من دماء شعبنا"

بعد العملية الجبانة والغادرة التي استهدفت ثلاثة من أبناء إسماعيل هنية، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، في 2024/4/10، وسقوط السردية الإسرائيلية، التي تلقفها كثير ممن وافق هواهم هوى الدعاية الصهيونية، من كون حماس تدفع بالمستضعفين من النساء والأطفال إلى المحرقة، في حين أن القادة وأبناؤهم ينعمون بالعيش الرغيد في فنادق الدوحة وغيرها، فإنه من المفيد أن نذكر كل من ألقى السمع وهو شهيد بلائحة الشهداء التي قدمها قادة حماس من أنفسهم وأبنائهم وبقية عائلاتهم.

ومن المهم الإشارة في هذا السياق، إلى أن الجيش الإسرائيلي ادَّعى في 2024/7/16، القضاء على نصف قيادات كتائب القسام، زاعماً أنه قتل أو أسر ما يقرب من 14 ألف مقاتل منذ 2023/10/7، من بين نحو 30 ألف مقاتل، وإن كنا لا نثق إلا بالأرقام التي تصدر عن قيادة القسام، فإن ما هو مؤكد وواضح للعيان أن الآلاف من قيادات حماس وكوادر وعناصر القسام ما زالوا في الخطوط الأمامية للمواجهة، يضحون بأنفسهم ويواجهون العدو بكل بسالة واقتدار، وقد ارتقى الكثير من قادة حماس والقسام شهداء نذكر منهم:

- رئيس المكتب السياسي للحركة: إسماعيل هنية
- نائب رئيس المكتب السياسي للحركة: الشيخ صالح العاروري
- نائب رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني المنتخب: أحمد بحر

- عضو المكتب السياسي: زكريا معمر
- عضو المكتب السياسي: جواد أبو شمالة
- قائد لواء الشمال: أحمد الغندور، و3 من أبنائه
- قائد لواء الوسطى: أيمن نوفل
- المدير العام للعمليات المركزية في وزارة الداخلية في قطاع غزة، والقيادي في حماس: اللواء فائق المبحوح
- عضو المكتب السياسي في قطاع غزة: جميلة الشنطي
- رئيس مجلس شورى حركة حماس في غزة: أبو همام المزيني
- أحد المؤسسين لكتائب القسام، وأحد مبعدي مرج الزهور في لبنان: عزام الأقرع
- قائد المنظومة الصاروخية في كتائب القسام: أيمن صيام
- قائد كتيبة بيت لاهيا في كتائب القسام: وائل رجب (أبو صهيب)
- القيادي في كتائب القسام: رأفت سليمان

الشهداء من أبناء وأحفاد القادة:

- رئيس المكتب السياسي للحركة إسماعيل هنية (ما يقارب 60 شخصاً من عائلته بينهم: شقيقته، و3 من أبنائه، و7 من أحفاده)
- رئيس المجلس التشريعي بالإنابة: أحمد بحر (ابنته، و8 من أحفاده)
- عضو المكتب السياسي: فتحي حماد (ابنه، وابنته، وزوجها، وأخته، وحفيدته)
- عضو المكتب السياسي: ياسر حرب (2 من أبنائه)
- عضو المكتب السياسي: نزار عوض الله (ابنه)
- عضو المكتب السياسي: محمود الزهار (ابنته، وحفيده)
- عضو المكتب السياسي: باسم نعيم (والدته)
- نائب القائد العام لكتائب القسام: مروان عيسى (ابنه)
- عضو المكتب السياسي: كمال أبو عون (3 من أبنائه، و8 من أحفاده)
- عضو المجلس العسكري للقسام: عماد عقل (ابنه)
- عضو المجلس العسكري للقسام: أبو عمرو عودة (ابنه)
- قائد لواء رفح: أبو أنس شبانة (2 من أبنائه)
- عضو المكتب السياسي: أبو جهاد الدجني (زوجته، وكافة أفراد أسرته)

الشاعرة آلاء القطراوي وأطفالها الشهداء... الخنساء الحزينة

شاعرة وكاتبة فلسطينية

وُلِدَت آلاء القطراوي في مخيم النصيرات للاجئين في 1990/11/3

دكتوراه في الأدب والنقد من الجامعة الإسلامية بغزة

ماجستير آداب لغة عربية من الجامعة الإسلامية

معلمة في مدارس وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى (الأونروا)

حازت آلاء على جائزة فلسطين للإبداع الشبابي، والوسام الذهبي في أفضل مجموعة شعرية سنة 2011، ولها ديوان شعري بعنوان "حين يرتجف الهواء"، ولها ديوان "ساقية تحاول الغناء" نالت عليه لقب أفضل ديوان شعر فئة الشباب وفازت بجائزة سعود البابطين الثقافية الدولية، ولها كتاب "من المسافة صفر – رسائل تحت الحرب" كتبتها مع رنا العلي عن حرب سنة 2014.

انفعلت آلاء القطراوي بمشاهد الطوفان الهائلة، وسخّرت مواهبها الشعريّة في تصوير أمواج هذه الحرب الوحشيّة التي نزل العدوّ فيها بكل آلته لينتقم من المدنيين عقوبةً لهم أنّهم حاضنة المقاومة، وعندما بدأت معارك طوفان الأقصى تشتدّ، ونزل العدوّ بكل رجومه على قطاع غزة، وصوّرت آلاء هذه المشاهد بقولها: "والله إنها أيامٌ ثِقَال لا تُحْمَل ولا تُجَرّ، والله إنّ السيوف إن ضَربت أعناقنا أهون مما نلاقي".

كانت تلك المشاعر الثقيلة حكاية كل غزّيّ تحت هذه النيران المصبوبة، ثم كان لآلاء حكايتها الخاصة التي كتبت تفاصيلها بيدها إذ كان لآلاء أربعة أطفال من زوجها موسى قنديل، هم: يامن الكبير ذو السنوات الثمانية، والتوأمان كنان وأوركيدا ذوا السنوات الستة، والصغيرة كرمل ذات السنوات الثلاثة، كانوا جميعاً بصحبة أبيهم بعد أن

تفارق الزوجان، فالزواج رزقٌ قد ينتهي، وعندما يذهب الرزق تذهب معه بعض جمائله التي ترى من بعيد، فعندما حدث الانفصال ذهب الأولاد مع أبيهم، وأمّهم تنظر إليهم باكية حزينة، ورسمت في قلبها الحزين المعلّق عندهم خطط اللقاء وأحلام التربية عن بُعد.

ولأنها في قلب المعركة فقد حدث ما تخوّفت منه الأمّ البعيدة عن أولادها، وكتبت حينها بنداء عاجل مكلوم، تستصرخ فيه أي خبر عن أولادها:

"لقد فقدت التواصل مع أطفالي منذ الـ 13 من ديسمبر 2023: يامن موسى قنديل 8 سنوات، التوأم/ كنان موسى قنديل 6 سنوات، أوركيد موسى قنديل 6 سنوات، كرمل موسى قنديل 3 سنوات، إذ كانوا يعيشون مع والدهم بعد انفصالي عنه في منطقة السطر الشرقي في مدينة خان يونس؛ لقد دخل جيش الاحتلال إلى منزلهم واعتقلوا والدهم وجردوهم من هواتفهم المحمولة وبقي الأطفال مع جدتهم أم والدهم ثم لم أعرف عنهم شيئاً منذ ذلك التاريخ، تواصلت مع الصليب الأحمر وأخبرني أن الاحتلال يرفض التنسيق معه، تواصلت مع الهلال الأحمر وهو الآخر لا يستطيع فعل شيء كون منطقتهم منطقة عسكرية مغلقة للاحتلال، أتمنى على كل من يحمل في داخله ذرة من الإنسانية أن يكشف لي عن مصير أطفالي، منذ 44 يوماً لا أعرف عنهم أيّ معلومة، أرجو إيصال رسالتي هذه إلى كل من يستطيع أن يتحرك من أجل معرفة مكانهم، وأتمنى أن تصل إلى السيد فيليب لازاريني والسيد توماس وايت في هيئة الأمم المتحدة بما أنني أعمل ضمن طاقم موظفيها، أرجو من كل الصحفيين نشر وترجمة منشوري هذا؛ إن أقسى ما في هذه الحرب، أن تفقد الأم كل أمومتها وهي لا تستطيع حتى أن تعرف أين يوجد أطفالها عدا عن كونها لا تستطيع حمايتهم".

بدأت هذه الحملة تؤتي ثمارها المُرّة، فتنامت بعض الأخبار المفجعة تصل إلى الأم الباحثة عن أطفالها، تقول آلاء متعزّيةً بسيرة جدّها رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه إذ يعود نسبها إلى بيتٍ حَسَنيّ علويّ:

"منذ أن استطاع أحدهم الوصول إلى منزل الأطفال بصعوبة بالغة قبل أسابيع، وإخبارنا أن المنزل مقصوف على مَنْ فيه، وأنا لا أستطيع الحديث أو الردّ على أيّ اتصال، لكن لديّ صديقة مقربة جداً تفصلنا حواجز الاحتلال التي قطّعت أوصال القطاع، لم تفتأ أن تتصل علي بكرةً وعشياً، فرددتُ عليها ليجيء صوتها وأنا في منتهى الصمت: أنتِ

تحبّين النبيّ، والنبي ﷺ مات كل أولاده! هي قالت هذا، ثم حاولتُ مع حزمة الإنترنت الضعيفة أن أستعيد قراءتي حول هذا الحدث، فقرأت أن سيدنا محمداً ﷺ كان فرحاناً جداً بقدوم ولده إبراهيم وأنه من شدة سعادته به كان يحمله، ويطوف به على زوجاته ليحملنه ويتحسّسنه، ثم حين بلغ العام والنصف، وبدأ إبراهيم يمشي قبض الله روحه فحزن سيدي رسول الله حزناً شديداً، ووالله حزنتُ لحزنِه، وأنا أقرأ، ونسيت حزني، وكتبت بيتين من الشعر، هما:

يُعزّي مُصابي بأنّ مُصابي مصابُ الرسولْ وكلّ مُصابٍ بنا زائلٌ وكلّ مصابٍ بهِ لا يزولْ"

ووثّقت آلاء نبأ استقبالها الخبر الأكيد باستشهاد أطفالها:

"انسحبَ الاحتلال من منطقة تمركزه بالقرب من منزل أطفالي، وقد تأكد خبر استشهاد أبنائي الأربعة قرّة عيني ومهجة روحي، وذلك بعد أن قصفهم الاحتلال ظلماً وغدراً منذ منتصف ديسمبر الماضي؛ واللهِ إنّ العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإني على فراقك لمحزونة يا حبيبي يامن "8 أعوام"، والله إنّ العين لتدمع وإنّ القلب ليحزن وإنّي على فراقك لمحزونة يا حبيبي كنان "6 أعوام"، والله إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإني على فراقك لمحزونة يا حبيبتي يا أوركيدا "6 أعوام"، والله إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإني على فراقك لمحزونة يا حبيبتي كرمل "عامان ونصف"، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللهم آجِرني في مصائبي، واخلفني خيراً منها، الحمد لله الذي عظّم أجري بكم، وأحسن عزائي بأن سبقتموني إلى جوار مهجة القلب جدّنا رسول الله ﷺ؛ وحسبكم يا ماما أنني لم أنُحْ، ولم أصرخْ، ولم أنهَر، ولم أجزعْ، ولكنني بكيتُ كثيراً ألماً وحسرةً ولوعةً وشوقاً يوهنُ قلبي وجسدي؛ تخبرني صديقتي المكرمة فاطمة من تونس أنّها رأتكم طيوراً بأجمل ما يكون من الريشِ الملون وأنتم تقولون لي: اصبري يا أماه فنحنُ سبقناكِ إلى الجنّة مع الشهداء، دوّنتُ هذه العبارة أمامي، حتّى إذا ضَعُفتْ، سمعتها بصوتكم فتماسكت، أمّا وقد بررتم بأمّكم أعظمَ البرّ وقد غدوتم شهداء وأربعة طيور ملوّنة في الجنّة، فإنّي أستحي ألّا أبرّكم بصبري، الله يرضى عنكم يا ماما، تكبروا تحت نظر الله الرحيم وتحت أنظار سيدي حضرة النبي ﷺ وأسيادنا آل بيت رسول الله، الله يسهّل عليكم، فما الدنيا إلا همّ وغمّ ووَصَب؛ وأسأل الله القدير أن يصبرّني حتّى ألقاكم وأرجوه إذا فاضت روحي أن يقول لي بصوته ارجعي إلى ربّكِ راضيةً مرضيّة وأن يكتبني عنده من الصابرين المحتسبين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه؛ كنتُ قد كتبت قصيدةً حين فقدتكم دون أن أعرف خبراً عنكم، وكنتُ كلّما استقر المعنى في قلبي أُكمل عليها في تلك الفترة العصيبة، فكان منها :

حسبي من الله صبراً أنّه اللهُ لو كان شرّاً فما خطّته يُمناهُ

حسبي من الله صبراً أنّه ربّي لو كان شرّاً فما أجراه في دربي

وحين كتبت هذا البيت (سبحان الله):

حسـبي مـن الله صـبراً أنّـه صَمَـدُ لو كان شرّاً فعندَ الجَزْعِ ما صمدوا

نظرت إلى هاتفي المحمول، فوجدت أنّ عليه رسالة مفادها أن بيتكم قُصف، وأنكم فيه، نظرت إلى الرسالة ثم إلى البيت الذي انتهيت من توّي من كتابته، فعرفت أن روحي تدربت على سماع رسائل خالقها، لذا فقد تلقيت خبر استشهادكم منذ اللحظة الأولى بلطف الله، مع السلامة يا أطيب الشهداء وأزكاهم أرضاً وهوية ونسباً شريفاً ووصلاً وقرباً، ولنا في الجنة لقاء خالد، اللهم انتقم أشدّ انتقام، وحسبنا الله ونعم الوكيل".

لم تنتهِ قضيّة الشاعرة آلاء باستشهاد أطفالها، إذ كادت أن تكون قضيتها التالية أشدّ عليها من شدّة فقدانهم، إذ كانت تريد أن تصل إلى جثامينهم لتكرمهم بالدفن، وظلّت أربعة أشهر كاملة تحاول الوصول إلى ركام المنزل الذي انهدّت أنقاضه لتخرج ما تبقى من رفاتهم لأن الاحتلال لا يتيح أيّ فرصة للاقتراب من منازلهم.

وهنا كتبت أروع قصائدها وأشدّها وجعاً وإيلاماً، وهي قصائد تفيض بالعزاء كما تفيض بالوجع والحنان، تقول:

وأعرفُ أنَّ دمعي حين يشكو تراه ولستَ مجتنباً سؤالي
وأنّ الأمّ إن نادتْكَ غوثاً تبرّدُ قلبَهَا رغم النّصالِ
ونظرةُ عينكَ الحُسنى لقلبي تبدّلُ يأسه لندى الجمال
فلا تحرم محبّاً من حنانٍ روى جذعاً وأغدقَ للغزالِ
ولا تحرمْ مريدكَ بعضَ نورٍ سيؤنسهُ على عتمِ الليالي
فعهدي أنّ فيضكَ يا أماناً سيغمرني وإنْ سحقوا حبالي
وأنّي إن تألّمتُ انكساراً ستجبرني وجبركَ من دلالِ
وأنّ الناسَ إن كادوا لسوءٍ ستدفعهم كَراسيةِ الجبالِ
وأنَّ الحرب إنْ ضاقت علينا ستشددُ أَزْرَنَا فبِنَا تُبالي
ومَنْ كان الرسولُ له فؤاداً فكلُّ رجائهِ رَهْنُ النّوالِ
ومَنْ كانَ الرسولُ له نديماً فإنّ همومهُ رهنُ الزّوالِ

وكتبت أيضاً:

لا تلومـوا دمـعَ فقـدي دمـعَ فقـدي لا تلومـوا
يَثقـل الجمـرُ بِرِيقـي والنهـاراتُ تصـومُ
التوابيـتُ اشـرأبَّتْ والبواكـي لا تقـومُ
عبّئـوا نـزفي بـذوراً واشـربيها يـا تخـوم
عنـد قـبري لا جـدالٌ عانق الصحبَ الخصومُ
احفريني يـا جبـالاً أمطريني يـا غيـومُ
اسـتمري في المراثـي وامتحينـا يـا كـرومُ
أُعبريني يـا خيـولاً عتّقيني يـا همـومُ
أغرقيني يـا بحـاراً لم يعـدْ جسـمي يعـومُ
كنـتُ مـا زلـت لوحـدي تشـتكي الليـلَ النجـومُ
لوعـةٌ لـو كنـت تـدري فُتّقـتْ منهـا اللحـومُ
فاسكريْ بالحزنِ كأسيْ ذلـك السـكرُ يـدومُ

واستمدّت العزاء من سيرة أجدادها، وجرت على طريقة الخنساء في شعرها الباكي الحزين:

أرى في عيونِ الحُسَينِ عيوني أرى في عيوني عيونَ الحُسَينْ
لقـد تركـوا إبـنَ قلبـي ذبيحـاً يسـدُّ الـرّكامُ بـهِ المَشْـرِقَيْنْ
وأحملُ فوقَ انكسـاري انكسـاراً ويصـرخُ ظَهْـرٌ على خنجرَيـنْ
تُقاسـمني وجعـاً يـا عظيمـاً ويحملنـا دَمُنَـا في يَدَيْـنْ
لقـد تركونـا نئـنُّ فُـرادى ويبكـي بنـا شَـجَرُ الرَافِدَيـنْ
فمـاذا يخفّـفُ عنّـا سـوانا وأنّـا غَدَونـا هنـا أَخَويـنْ
وأنّ الرسـولَ بنـا لـو دَرَوا كَقَلـبٍ وروحٍ ورِمْشٍ وعَـيْنْ

باتت آلاء تعيش على ذكرى أولادها الشهداء، وتتقوّى بذكراهم، وتعيد تحسّس ما يدلّ على أنهم كانوا منها حقّاً ثم فقدتهم، تقول: "لقدْ أنجبتُ ثلاثَ مرّات، لم أجرّبْ كيف تَلِدُ النّساء بشكلٍ طبيعيّ، كان في كل مرّة يُجري لي الطبيبُ عمليّةً قيصريّة، كان الطبيبُ محترفاً، إذ بعد كلّ عمليةٍ يتركُ خيطاً رفيعاً يصنعهُ بشكلٍ تجميليّ؛ كلّ النساء يتعجبن حين يعلمنَ ذلك، غالباً يقلنَ لا يظهر عليكِ هذا، ولا يبدو أنّكِ أنجبتِ؛ أَخْبَرْنَني أخريات بأنني سأعاني من تقلّصات عضليّة في الشتاء بسبب البرد، وقد أشعر بألمٍ شديدٍ في مكان ذلك الخيط التجميليّ الرفيع، لكنْ لم يحدثْ؛ وحتى سمعت أنني قد أعاني من وخز ذلك الخيط في الصيف بسبب الحرّ، لكن لم يحدثْ ذلك أبداً؛ كنتُ أنساهُ غالباً، لم أكن ألحظُ ذلك الخيط التجميليّ حتّى؛ لكنّني الآن أحسّه وأراه كثيراً، أستطيع تأمّله جيّداً، وقد بدأ يؤثر عليّ، يؤلمُ قلبي وكبدي وروحي وحتى يؤلمني حين أتنفس بين الشهيق والزّفير، لم تخبرني النساء بذلك مسبقاً، إن هذا الخيط الرفيع في جسدي يُذكّرني في كل دقيقة: "لقد أنجبتِ ولداً وبنتاً وتوأمين" رائعين، ثمّ بقيتِ وحدك".

تحوّل أطفال آلاء إلى قصائد شعر، ولوحات نثر شجيّة تستدعي الكونَ ليبكي معها:

تقول في بِكرها يامن:

ليامنَ عَيْنَا غَزَالٍ
وشَعْرُ حِصَانْ
تمدُّ لِيَ الصخرَ
سهلاً إذْا ترمشانْ
تُثّقّبُ نايَ الرُّعاةِ
إذْا تضحكانْ
تسابقُ كالرّيحِ
ظبياً، ولا تتعبانْ
ليامنَ ظلّ فراتٍ
وروح ملاكْ
وأمٌّ تخافُ كثيراً
بألّا تراكْ

وتبقى تناديكَ لكنْ
بدون حراكْ
وفي الشوقِ تحضنُ
قبراً يُسمّى ثراكْ
فصبري أيا ولدي فوق كلّ مقامْ

وكتبت لابنتها أوركيدا قصيدتها:

دعوني أراها
ولو مرّةً واحدةْ
فقدْ يَبِسَ القلبُ في نصفِ آذارَ
ما عادَ ينمو بهِ شَجَرٌ للحمامِ
فأعطوا شفاهي لها
كي تُقبّلها ..
ولوْ قُبلةً باردةْ .. !
وأعطوا لها رئتي
ربّما اختنقتْ دونها
ربّما ما استطاعتْ مناداةَ إسمي
فكان الركامُ ثقيلاً عليها
وكنتُ أحسُّ بها
فإني ورثتُ دماً
فيهِ حزنٌ قديمٌ / وسُمٌّ عتيقٌ / وذَبْحٌ سقيمٌ
وسرٌّ يعتّقهُ آل بيت النبيِّ
على سبحتي الزّاهدةْ
وأعطوا لها شَعْرَ رأسي الطويلَ
أحبُّ أصابعها حين تلمسهُ

وكتبت الأم الثكلى إلى كنان توأم أوركيدا:

”كنان الروح: تصغر عيناك الواسعتان حين تضحك، فضحكتكَ تلتقطُ الكون بأسرهِ منذ أولِ كركرة، لم تكبر كثيراً لتستطيع أن تفهم بأنّ ضحكتك مشفى متنقل، شجرة تفاحٍ حمراء، كوثرٌ عذب، عصفورٌ من عصافير الحبّ، لكنّك مدهشٌ في كلّ شيء، يكفي أن تضحك لنضحك جميعاً، أحبُّ سماع لثغتك في حرف الراء، وقلبك لبعض الأحرف مكانياً، تضحك عليك أوركيدا، تنزعج منها، لكنك تستطيع أن تستفزها حين تقول لها: أنا أكبر منكِ، يا حرام! تأتيني منزعجة لتقولَ لي: ماما كنان أكبر مني؟ فأجيبها: لا يا ماما أنتما توأم، فيقول كنان: أنا أكبر، أنا أطول منها! فتنظر أوركيدا لي: لماذا هو أطول مني! ”الحوار ذاته في كلّ مرّة!“.

يعجبني ذكاؤك، لم تدرس سوى شهرٍ واحد من الصف الأول الابتدائي قبل أن تندلع حرب الإبادة، لكنّ خطك جميل كان يعجبني ترتيبك للغاية، لكنني لم أستطع أن أتغنّى بك حتى لا تعتقد أوركيدا أنّ خطّك أجمل منها فيصيبها الحزن! لكنّ خطك كان جميلاً واللهِ، ودفاترك جميلة، وأنتَ جميل يا ماما.

لا أستطيع أن أتخيل أنك رأيت عشرات الجنود من الاحتلال حولك، هل حضنت أوركيدا آنذاك وتحلقتم حول بعضكم البعض، هل ارتجفت وحيداً؟ وهل قصفوك وحيداً، أم كنتم تحتضنون بعضكم البعض؟

قاسٍ عليّ ألا أسمع لثغتك مرة أخرى، لا أحد يستطيع أن ينطقها مثلك، حتى حرف الراء سيبكي قهراً، لقد كنت لطيفاً عليه جداً، لن يجد هذا اللطف بين شفاه الكثيرين، فلا شفاه كشفتيك يا حبيبي.

ربّما أنت مطمئنٌ الآن وتضحك أكثر، كيف يفهم قلبي المشتاق هذا، وكيف يدرك كبدي المحسور الأمر؟ وكيف يفهم حضني الفارغ ما حدث؟“

وكتبت قصيدة صغيرتها كرمل:

أنا لا أصدّقُ أنّكِ لن تستكيني
على لهفتي بعد كلِّ اشتياقْ
ولستُ أصدّقُ
كيف سيبقى على كتفي بارداً

ظلُّ رأسكِ حين استفاقْ
تمدّينَ لي نجمةً من سمائكِ
ثمَّ تئنُّ معي باحتراقْ
أحاورُ روحكِ
يحجبني عنكِ صلصاليَ المتكاثفِ دونَ انعتاقْ
هل الحزنُ في الروحِ أمْ في الجسد؟
حصارٌ عليَّ
لأنَّ كثافةَ جسمي انغلاقْ

أقولُ:

سيجمعنا الله في بيتنا الأزليّ
هنالك لا دمعةٌ قد تصيرُ سلاسلَ ريحٍ على عنقي
ولا ذكرياتٍ تطوّقني بالمسامير
لا لحظةٌ في الشرودِ لظلّكِ
كالسيفِ تسقطُ في رئتي
هنالك حيثُ يقدّسُ ربّي العناقْ!

آلاء القطراوي كانت الخنساء الحكيمة الباكية التي علّمت نفسها كيف تحمل أعباء الصبر، وأثقال العزاء، وما زالت تعترف أنها قويّة على الرغم من كل هذا الضعف الذي ينصبّ عليها، وظلت آلاء تتعزّى بذكرهم على الرغم من مضيّ أشهر طويلة على مقتلهم واستشهادهم، وهي القصيدة العينية التي تغنّى بها بعض الفنانين:

امسحْ بكفكَ فوق دمعي علّها ... تُشفَى بكفّكَ يا نبيُّ دموعي
هيَ غَصّةٌ في القلبِ تُثقل كاهلي ... أرأيتَ أشجاراً بدون فروعِ؟
أرأيتَ شمساً كيف تَبكي ضوءَها ... حين ارتدتْ ثوبَ الحدادِ شموعي؟
أرأيت كيف غدتْ جنائنُ ضحكتي ... قمحاً يعذّبه الأسى من جوعي؟
ليست تضيقُ الأرضُ لكنْ إنها ... ضاقت عليَّ من الفراقِ ضلوعي

وقد كادت الأمّ الشاعرة الثكلى آلاء القطراوي تُقتل في مجزرة الثامن من حزيران/ يونيو 2024 حيث استشهد فيها نحو 210 من مخيم النصيرات، وتوثّق لتلك المجزرة التي نجت منها بقولها:

"حرقوا السماء من فوقنا والأرض من تحتنا، كان الدخان يملأ كل ذرات الهواء من حولي، صوت أخي يخترق الغبار الكثيف وهو يصرخ عليّ بأن أسرع لنغادر، ذهبت لأحضر حقيبتي الصغيرة التي تحوي هوّيتي الشخصية، لأنني لا أريد أن يضيع اسمي أو أن أتحول إلى مجهولة هوية في هذا الموت الجماعيّ، فأنا أحب اسمي، وأحب تاريخ حياتي الصغير، والذي يشبهني كثيراً، وأحب قصائدي وابتهالاتي وروحي التي تحبّ الله والسماء كثيراً، أخذت الحقيبة بينما أخرج تذكرت ملف شهاداتي الجامعية في حقيبة اللاب توب، تلك الشهادات التي استغرقت مني 10 سنوات متواصلة من الدراسة والتعب الحثيث والسهر والمكابدة، يصرخ شقيقي عليّ أن أسرع، إلا أنني شعرت بقوة ما وصرخت بأنني لن أخرج من البيت بثياب الصلاة أريد ارتداء عباءتي التي أحبها، وإذا كنت سأموت فإنني أفضّل الموت في البيت على الشارع؛ ارتديت عباءتي ولففت شالتي التي من نفس لونها، وثبّتُّ دبابيسها بعناية، ووضعت حقيبة شهاداتي على ظهري وحقيبة صغيرة على كتفي، ونزلت الدرج، وأنا أسمع الصواريخ تقتات أعمارنا بصوتٍ عالٍ، حين وصلت إلى الباب وجدت الناس يهربون في كل اتجاه، وقبل أن أسأل بيأس: إلى أين سنذهب؟

قلت: أنا تعبت يا الله

تعبت والله

تعبت..."

باتت الدكتورة آلاء القطراوي أيقونة من أيقونات الصبر والثبات، وصارت النساء المكلومات يتعزّين بأشعارها في أولادها وقصّتها الحزينة التي حوّلتها إلى فضاء إنسانيّ واسع كبير ما زال يعطي التصبّر وآيات العزاء وآلاء الرضا، وبَقِيَت آلاء وفيّة لهذا الطوفان العظيم، وظلت تكتب: "إنّ شهداءنا يطوفون الآن حول عرش الرحمن، فهنيئاً لأهل غزة هذا الطوافَ الأعظم".

"بينتقموا منا في الأولاد... معلش"

في الوقت الذي اعتاد فيه الصحفي الفلسطيني وائل الدحدوح نقل معاناة سكان غزة إلى العالم، لحقت الفواجع به بشكل متتالٍ، حوّلت حياته ذاتها إلى نموذج لمعاناة الإنسان الفلسطيني.

كان الدحدوح على الهواء مباشرة في 2023/10/25، عندما جاءه خبر استهداف المنطقة التي نزحت إليها عائلته في مخيم النصيرات، والتي كانت سلطات الاحتلال قد حثّت المواطنين على النزوح إليها جنوب القطاع بدعوى أن المنطقة هناك آمنة، ما تسبّب في استشهاد زوجته وابنه وابنته وحفيده الرضيع. وفي أثناء وداعه لأفراد من عائلته، قال الدحدوح وهو يغالب دموعه: "بينتقموا منا في الأولاد... معلش"، وأضاف: "دموعنا دموع إنسانية وليست دموع جبن وانهيار، فليخسأ جيش الاحتلال".

وفي 2023/12/15، استهدفت مُسيَّرة إسرئيلية وائل الدحدوح وهو برفقة زميله المصوِّر سامر أبو دقة خلال تغطيته قصفاً استهدف مدرسة حيفا في خان يونس، ففارق سامر أبو دقة الحياة، وأصيب الدحدوح بجروح بالغة في يده.

وكان الدحدوح على موعد آخرٍ مع الألم، عند استشهاد نجله الصحفي حمزة في 2024/1/7، في قصف إسرائيلي استهدف صحفيين غربي خان يونس، وقال الدحدوح مودعاً نجله الأكبر حمزة: "لا شيء أصعب من آلام الفقد، وعندما تتجرع هذه الآلام مرة تلو مرة تكون الأمور أصعب وأشد، ولكن ماذا عسانا أن نقول، حسبنا الله ونِعمَ الوكيل، هذا هو خيارنا.. قدرنا ويجب أن نرضى به مهما كان، فنحن أملنا أن يرضى الله عنا، وأن يكتبنا مع الصابرين..... ولحمزة ولكل الشهداء نقول بأننا على العهد". واستحقّ الدحدوح وصفه بأنه "غزة في هيئة إنسان".

أقمار آل نعيم السبعة!

لم يتوقف الدكتور جمال نعيم عن حكاية قصة أقماره السبعة: أمّه الثمانينيّة، وابنتاه الأثيرتان: سماح وشيماء، وأسباطه من بناته: بتول وتيسير ولارا ولِيا.

كان يوم السادس من كانون الثاني/ يناير 2024 يوماً بارداً عاتياً سقط على الدكتور جمال كأنّه الجبل الثقيل، فقد ملأه شعور شديد باليتم البارد والضياع التائه.

ولأنّ ذريته الكريمة كنّ من البنات فحسب فإن مشاعره تجاههن كانت جيّاشة لا تنطفئ، وكان يعتزل ويحتجب عن الناس بعد استشهادهنّ ليبكي وحده، ولكنه أيضاً كان ثابتاً محتسباً واقفاً، إذ عزم أن يكون أجره عظيماً بصبره، وألا يظهر ضعفاً أو استكانةً بهذا الزلزال الذي كاد أن يهدّ ظهره.

ابنته الدكتورة شيماء نعيم حازت المرتبة الأولى على دفعتها في كلية طب الأسنان في المستوى الرابع لسنة 2017، حافظة لكتاب الله من صغرها، تجوّد القرآن بإتقان، تتقن الإنجليزية والألمانية، ولديها معرفة جيدة بالتركية والفرنسية والعبرية، وقد ولدت شيماء يوم 1996/2/21 في ألمانيا، وظلّت هناك حتى الصف الثالث الإبتدائيّ، ثم انتقلت مع والدها إلى غزة.

كانت شابة مبدعة طموحة لا تكفّ عن تطوير نفسها، مع انضباط والتزام تتعرّفه من تنظيم أورادها القرآنية اليومية، وجلسات تربوية يومية مع ابنها الصغير، وقراءات في كتب، ورسم وفن، كل ذلك كان لا يؤخرها عن عملها طبيبةَ أسنان، ولا عن واجبها زوجةً في بيتها ومع زوجها؛ وكانت لا تشاهد أيّ فيلم أو تتابع أيّ مسلسل لأن ابنها ذي الثلاث سنوات أولى بهذا الوقت.

مع بداية الحرب توجه والد شيماء وأخواتها إلى النصيرات في المنطقة الوسطى، وظلت هي مع زوجها وعائلته، ولمّا اشتدت المعارك في مدينة غزة اضطرت شيماء مع ابنها تيسير للنزوح دون زوجها إلى بيت أقاربها في النصيرات مع والديها وأخواتها، وعاشت العائلة وكانوا نحو ثمانين شخصاً لمدة سبعين يوماً تحت القصف والحصار والتجويع، وهناك بدأت هذه العائلة صياغة مجتمعها الجديد الذي كان يحتاج إلى قيم عالية وبرامج ضيقة في ظلّ فرص محدودة في جغرافية ضيقة. كانت العائلة الجديدة مكونة من الأب وأمّه وبناته الثلاثة وأولادهن، مع أخيه وأخته وأنسبائه، وكان الجدول ممتلئاً داخل هذا السجن الصغير، فتحول المكان إلى مركز إيماني للصلاة والقيام والقرآن والتحفيظ والمراجعة والقراءة والمطالعة، ونشط الجميع في خدمة بعضهم وتوثيق التواصل، إلى أن يحين وقت النوم المزعج تحت أصوات القذائف والمدافع وبكاء الأطفال المرعوبين.

في 22 كانون الأول/ ديسمبر قررت العائلة مغادرة النصيرات مغادرة جماعيّة بعد أن تحولت المنطقة الوسطى إلى ساحة عمليات مرعبة، وتوجه الجميع إلى منطقة أقل خطورة في دير البلح، وظلّت هذه العائلة مع بعضها أسبوعين آخرين قبل أن يأتي اليوم الأخير.

من منشورات دكتورة شيماء التي وثّقت حكاية صبرها وإيمانها وثقتها بنصر الله، تقول: "إن هذه المسيرة النضالية لا يليق بها إلا مثل هذه النهايات المشرفة، فالشهادة هي مقامٌ مشرفٌ عظيمٌ يكافئ الله به الصادقين، ولو أن الشهيد تمنى لتمنى أن يعود إلى الدنيا فيقاتل، ثم يقتل في سبيل الله مرة أخرى؛ بارك الله لنا في مقاومتنا، وسدَّد رأيهم ورميهم، ووحّد صفهم وكلمتهم: "ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون"".

وكتبت يوم 2023/10/24 تذكّر بتثبيت نية الرباط في هذه المعركة القاسية:

"الرباط عبادة، والفعل لا يكون عبادة إلا بـ"النيّة" فـ"الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى"، واعلموا أنه لو لم يكن في فضل الرباط إلا قول المصطفى ﷺ "رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا" لكفى، اللهم إنا نشهدك بأننا قد عقدنا نية الرباط في سبيلك في أرضنا المباركة، اللهم إنك ترانا، وتعلم بحالنا، لقد بلغت منا القلوب الحناجر، بثقتنا بك ويقيننا بك، نسألك أن تكتب لنا مثل ما كتبت الأجر لأصحاب نبينا محمد ﷺ يوم الأحزاب رباطاً و صبراً وجهاداً في سبيلك".

وكان آخر منشور لها كتبته يوم استشهادها في 2024/1/6 مؤثراً جداً في تجلية ثباتها وعمق إيمانها بوعد الله ونصره، تقول: "اللهم إنك لو شئت لانتصرت منهم، لكنك كتبت الجهاد والقتال على شعبنا لتبلو بعضنا ببعض،

فنعوذ بك من الحور بعد الكور، ونعوذ بك من الانتكاس عن الطريق، أعنّا في دروب الصبر والمجاهدة، وثبتنا وثبت بنا، واجعل علامة قبولنا أن لا نخون دينك ودعوتك".

رثاها زوجها مصعب البطش بكلمات حزينة ثابتة:

"بكل فخر وإيمان وتسليم أنعي استشهاد زوجتي حبيبتي صديقتي وريحانة قلبي، التقية النقية، الهيِّنة الليِّنة، الحنونة، الصوامة القوامة، الذكية المجتهدة ذات النسب الطيب الأصيل، التي ما سخرت دنياها إلا لآخرتها، طبيبة الأسنان الشهيدة "شيماء جمال نعيم"، كما أنعي استشهاد ولدي الوحيد وفلذة كبدي العبقري الذكي والطفل المثقف، خفيف الظل، البشوش الذي يحبه كل من يراه الشهيد الطفل "تيسير مصعب البطش"، أشهد الله أني رزقت خير متاع الدنيا بزوجتي "شيماء"، وأني أحبها كحبّ رسول الله لخديجة، وأني أفتقد ولدي "تيسير" كافتقاده لولده إبراهيم، وإني على فقدهم لمحزون ولكنها الدنيا، قال الله عز وجل لملائكته: قبضتم فلذة كبد عبدي، قالوا: نعم ، قال: ماذا قال عبدي، قالوا: حمدك، واسترجع، قال: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد، "ليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء" "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون"، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلفني خيراً منها، اللهم اجمعني بهم في الفردوس الأعلى من الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، الحمد لله وإنا إليه راجعون".

أمّا أختها الدكتورة سماح جمال نعيم ذات التاسعة والعشرين عاماً فقد كانت ظلّ أبيها وشبيهة شخصيته، وكانت تعمل معه في مركز طب الأسنان، وكانت نشيطة رحيمة تحب الصدقة، وتحب التخفيف عن الناس.

قبل أيام من استشهادها جاءت إلى أبيها وقالت له إنها لم تعد خائفة من الموت، وأن الشهادة إن أتت فهي تحب أن تكون معها ابنتها لارا حسين عليوة حتى لا تتخطفها الأيدي في هذه الحرب التي لا تعرف نهايتها، وسألت أباها سؤالين: هل يشعر المرء بالألم عندما يموت تحت القصف، فأجابها والدها: ما تعلمناه من رسولنا الكريم بأن الشهيد يشعر بقبض روحه، وكأنها قرصة النملة؛ ثم سألت سؤالاً عجيباً: أنتَ

تعرفني جيداً يا أبي، هل يمكن لمثلي أن يدخل الجنّة! فضحك والدها وقال لها: وماذا فعلتِ حتى لا تستحقين دخولها يا ابنتي، ولعل الله يكتب لأهل غزة كلها أن يكونوا من أهل الجنة لمّا صبروا على هذا الخوف والرعب الذي عايشوه.

في تلك الليلة من يوم السبت كانت سماح صائمة مستعدّة، وأفطرت وهي صابرة مبتهجة، وصلّت العشاء في جماعة مع عائلتها، ونامت نومتها الأخيرة حيث وجدوها بعد قصف المنزل وكأنها نائمة، وقد وضعت ذراعها فوق رأسها، ولم تُصب بأي خدش، وبجوارها ابنتها لارا التي لقيت حتفها أيضاً تحت الردم، ومضَيا إلى ربهما شهيدتين شاهدتين.

الأمّ رسمية نعيم "أم عوني"، التي اقترب عمرها من التسعين، كانت نوّارة العائلة وسكنَها الآمن، وبالرغم من أنها أمّية إلا أنها كانت امرأة صالحة شديدة التهذيب، وتركت أثر صلاحها وتهذيبها على ذريتها الذين برّوها كما برّت أبويها، كان آخر أعمالها أنْ جعلت بين يدي ولدها نفقة من مالها ليبني حمَّامَات للنازحين، وكانت أمراض الشيخوخة قد أكلت منها، فشاء الله لها أن ترتحل إلى ربّها شهيدة تدعو على الظالمين لحظة استهدافها، رفعوها من بين الحطام وقد أصابتها كسور عديدة، وظلت بعد القصف واعيةً ذاكرةً يوماً حتى اختارها الله إلى جواره في اليوم التالي فبكاها أبناؤها بكاء مرّاً حزيناً، وهم يستمعون إلى دعائها الحاني الأخير الذي سجّله أبناؤها قبل رحيلها.

يحكي الأب المكلوم الدكتور جمال قصة الليلة الأخيرة في حياة هذه العائلة يوم فقد أقماره السبعة، يقول:

"في ذلك اليوم الحزين 6 يناير 2024 اجتمعت الأخوات جميعاً صغاراً كباراً ليغسلن الملابس يدوياً في حديقة بيت الخال، كان الجميع في غاية التعب، ضحكنا كثيراً على حالنا الأليم، تعالت ضحكات الصبايا الست في فيديو التقطته لهنّ وهنّ يعملن لساعات طويلة لينجزن ما تنجزه الغسّالة في ساعة واحدة، وحَوْلهن أطفالهن ومن بينهم تيتو "تيسير" يمرحون بين ماء الغسيل وخضرة المكان، في تلك الأثناء لم نكن نعلم أن "الزنانة = الطائرة المسيرة" الغادرة بصوتها المزعج فوق رؤوسنا، أزعجها ضحكات ملكاتي رغم الألم، وقهرها سعادتهم رغم قسوة الحرب، فأخذت إحداثيات بيتنا الآمن لتقتل فينا الفرحة بعد ساعات وإلى الأبد، طائرة حربية من تتار هذا الزمان تهدم البيت فوق رؤوسنا لتكتم فينا كل معنى للسعادة، لتخمد أصوات أطفالنا وإلى الأبد.

في الساعة العاشرة وأربعين دقيقة استيقظت على صوت الحجارة تتساقط فوق رؤوسنا. وأننا مثل ما نرى على شاشات التلفاز تحت الركام، دعوت الله أن تكونوا جميعاً بخير، وفي ظلمة الموت الدامس وغبار الظلم الذي يملأ المكان، وبعد أن أخرجت نفسي من الركام وقد غطى الدم وجهي، بدأت أبحث عنكم، استطعت انتشال نفسي وابنتي الصغيرة مريم التي تنام قريبة مني من تحت الركام، بدأ عقلي يتفجر من هول ما رأيت، ومن هول ما أتوقعه، بدأت حافي القدمين، دامي الرأس وأصابع اليد، مكسور الكتف أبحث عن ناجين بين الركام، ولكن المشهد أصعب مما يتخيله بشر: خلال دقائق تجمع أهل الحيّ، ثم وصل الإسعاف وطواقم الدفاع المدني، وانتشلوا من انتشلوا دون أن أعرف من نجا ومن لم ينج، انطلقت إلى المستشفى لأحصي من وصل، أدخلوني بداية ثلاجة الشهداء، لأتعرف عليهم، ويا قساوة تلك اللحظة، أن تفتح كيساً تتمنى ألا يكون لأحد يخصك! ولكنه قدر الله، اثنتان من بناتي وحفيدتان كانتا بين من ارتقى في اللحظة الأولى، حمدت الله على أقداره، ثم دعوته راجياً أن يكون الباقون من الناجين، ولكن قدر الله كان غير ما تمنيت، فشيماء وابنها لم يكونوا بين المصابين الناجين، ولكنهم أيضاً لم يكونوا بين الشهداء، عدت لأمنياتي ثانية بأن يكون ثمة ناجون تحت الركام وسيتم إنقاذهم، ولكن في السابعة صباحاً جاءوني بجسد ابنها الملاك الطاهر الصغير ذي الابتسامة الأخاذة والعقل الذي يفوق عمره بسنوات، ولكن الأكثر إيلاماً لي أن كل المحاولات لإيجاد شيماء فشلت، فلم نستطع بإمكانياتنا البسيطة وأيدينا أن نجد جسدها الطاهر، وبقي ما بقي منه تحت الركام، لتصعد روحها إلى خالقها.

فقدت أقماري السبعة، فقدت أمي وابنتاي سماح وشيماء وأحفادي: بتول وتيسير ولارا وقطعة قلبي ليا! كانت فرحتي باستقبال بناتي كبيرة رغم أن كثيراً ممن حولي كانوا يشفقون عليّ لأنني لم أرزق إلا إناثاً، ولكنني كنت واثقاً بأن الله أكرمني بهن، وسيبارك لي في رزقي ومالي وكل أعمالي من أجلهن، نادراً ما أبكي، ولكنني منذ ارتقائكم بكيت بحرقة وكل يوم، أخبّئ وجهي عن الناس لكي لا أشعرهم بضعفي، ولأترك أجري على الله الذي لا تضيع عنده الحقوق، فقدت أمّي التي كانت أسعد لحظة في يومي عندما أسمع دعاءها اللا متناهي، وأنا أجثو عند قدميها طالباً بِرّها؛ وأجمل لحظاتي عندما أرى ابتسامتها وأنا أقبّل يديها ورأسها، وأقرأ في عينيها كل الرضا، لقد كانت أمي تمثل

عنوان اللمّة العائلية الجميلة وباب الجنة المُشْرَع، وأما بناتي فلكلٍّ منهنّ مكانتها العظيمة في قلبي، كنت أربّيهن بعناية شديدة كغرس رقيق أوليتُه كل اهتمامي، اعتنيت جداً بصقل شخصيّاتهن حتى غدت كل واحدة منهن أفضل مما تمنّيت! وكأنّ يد الله صنعتهن كما يحب ويرضى، فانكبن على العلم والدِّين حتى غَدَوْنَ مبعث فخر لي؛ أشكو بثي وحزني إلى الله، وأحمده أن اصطفانا لأعظم الابتلاءات والحمد لله الذي ربط على قلوبنا، رغم ذبولها وحزنها لا معقّب لحكمه، ولا رادّ لإرادته، اشترى منّا أنفسنا وأموالنا، ونظنّ بالله أن ننال الجنّة".

بتر بمنشار تقليدي..
طبيب أمريكي يروي تجربته في غزة: "ما رأيته إبادة"

في أواخر شهر كانون الثاني/ يناير 2024، وبينما كان الجيش الإسرائيلي يستهدف المستشفيات والطواقم الطبية بطريقة ممنهجة، بهدف حرمان سكان قطاع غزة من العلاج الطبي ودفعهم إلى الاستسلام والنزوح، غادر جرّاح التجميل والترميم الأمريكي عرفان غالاريا منزله في ولاية فرجينيا لينضمّ إلى مجموعة من الأطباء والممرضات، الذين سافروا للتطوّع في غزة ليقدموا الرعاية الطبية لأهالي القطاع.

وفي 2024/1/29، دخل الفريق الطبي جنوب غزة. ووصف الطبيب المشهد هناك بأنّه "الصفحة الأولى من رواية بائسة" وأن ما يحدث في غزة هو "إبادة".

ووفقاً للطبيب، الذي التحق بمستشفى غزة الأوروبي، "لم يتبقَ سوى جراح تجميل محلي واحد، يعمل على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع". بدأ غالاريا العمل على الفور حيث كان يُجري بين 10 و12 عملية جراحية يومياً، ويعمل بين 14 إلى 16 ساعة دون توقّف.

وقال: "كانت قدرتنا على الوصول إلى المعدات الطبية الحيوية محدودة، وكنا نقوم بعمليات بتر للأذرع والأرجل يومياً باستخدام منشار غيغلي، وهو أداة من عصر الحرب الأهلية في أميركا، وهو في الأساس قطعة من الأسلاك الشائكة. وكان من الممكن تجنّب العديد من عمليات البتر لو توافرت المعدات الطبية العادية".

الفنان علي نسمان... حارس الذاكرة

علي عبد الله حسن نسمان

حارس الذاكرة الشعبيّة

ولد الفنان علي نسمان في شمال غزة في 1985/4/15، ونشأ وترعرع فيها، وكان يسكن في حيّ الصفطاوي في الشمال

بكالوريوس في الإدارة المالية والأعمال

دبلوم في إدارة المنظمات

يعمل في مهنة النجارة لإعالة أسرته

ممثل وفنان كوميدي فلسطيني غزّيّ، مثّل في العديد من المسلسلات المصنّفة على أنها دراما ملتزمة هادفة تستلهم المقاومة الفلسطينية وصمود الشعب الفلسطيني، حيث لَعِبَ دور حسن في مسلسل الفدائي، وآخر أعماله كان مسلسل "شارع نصر جلبوع" الذي عُرِضَ سنة 2022، وهو مستلهم من حكاية الأسرى الأبطال الذين استطاعوا الفرار من سجن جلبوع الحصين في العملية الشهيرة المعروفة بـ"نفق الحرية"، كما شارك في مسلسل "بوابة السماء" سنة 2017، ومسلسل "الروح" سنة 2014.

علي نسمان رجل ثائر يتحدث بعامّيّة ثائرة وانفعال فيّاض، ويعِظ بثبات راسخ وصرخة غاضبة وأداء حركيّ قويّ متحمّس؛ وهو مسعّر حرب وصوت رعد، يَغار على المقاومة ورجالها وأسراها الأبطال، وشهداءها، وكان يستعيد ذكرى أخيه الشهيد حسن الذي ارتقى سنة 2002 شهيداً كلما شرع في تمثيل مشهد يتعلق بالشهادة.

كان عليّ فناناً ساخراً تلقائيّ التعبير ذا ضحكة غنيّة بالعواطف، يحسن صنع الابتسامة بسحنته السمراء ولحيته السوداء الكثّة، وكان يقدّم المونولج الغنائي الذي يلامس واقع الناس وأحلامهم وطموحاتهم، وهو شخصية

شديدة التأثير في وسائط الإعلام الاجتماعي، وكان ذا شعبيّة كبيرة نظراً لمضامينه الملتزمة وأسلوبه الحماسيّ وتدفّقه في التعبير عن الموضوعات وشحنها بالعواطف، إضافة إلى الفرص التي كانت قيادة المقاومة تمنحها له لتقديم مادة غنيّة وفريدة، مما جعله أكثر مصداقية لدى جمهوره الذي ينتظر بثّه.

كان يتبنّى المحتوى التحريضيّ التعبويّ في إطلالاته، وكان يسعى لصقل الشباب الفلسطيني والعربي بروح ثوريّة، وقد أرسل له الاحتلال رسائل تهديد عديدة قبل الحرب نظراً لكونه من رموز القوّة الناعمة في فلسطين.

كان فناناً رساليّاً ملتزماً، وكان يعلن مراراً في العديد من لقاءاته مواقفه الملتزمة، يقول: "لن أخذل شعبي، وأدواتي ليست مدينة إنتاج تلفزيوني ولا كاميرات خارقة ولا استديوهات مكيفة، أدواتي التي أستخدمها في صناعة الفيديوهات والمونولجات، تليفوني الخاص وكاميرته البسيطة والمتواضعة، ورغم كل هذا سأستمر وأواصل نقل هموم شعبي إلى العالم".

كان يؤمن بدور الفن في السياق المقاوِم، ويرى أن تراجع دعم الفن خصم كبير على القضية الفلسطينية، وكان شديد الاستياء من الأنماط التي تتجاهل العمل الفني والثقافي بالرغم من خطورته في تثبيت القضية الفلسطينية وتسويق روايتها، وتصديرها لدى الشعوب وتعميم ثقافة المقاومة في المجتمعات.

عُرِفَ نسمان بلقب "شريحة" وهو اسم الشخصيّة الفكاهيّة الّتي أدّى دورها في مسلسل "القدس بوّابة السماء" سنة 2017 حيث مثّل دور شاب مقدسي معاق ذهنياً من جرّاء التعذيب في سجون الاحتلال، يتحوّل هذا الفتى إلى فيلسوف مجنون وجد له دوراً في مشروع المقاومة.

كانت زوجته خلود فخري "نسمان" تشاركه في بعض أعماله التمثيلية، ويشاركه أولاده "عبد الله وحسن وفخري وجزيل" وأولاد إخوته، وكان يحاول الإنتاج بأقل التكاليف التي تقترب أحياناً من التكاليف الصفريّة ليقدم للناس رسالته التي يؤمن بها.

كان شديد الابتهاج بإعلان طوفان الأقصى، واصطف بكل قوته وراء الطوفان، ورفع سقفه فيه إلى منتهاه، ولأنه كان إعلاميّاً مدنيّاً فإن إسناده للمقاومة يقتصر على الإعلام، وكان ذلك يتطلب منه الظهور الدائم والمتكرر، مما جعل الاحتلال يستهدفه في الأيام الأولى للطوفان حيث قتله يوم الجمعة في الثالث عشر من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، أي بعد أسبوع من الطوفان.

وإذا جال المرء في منشوراته وتغريداته فسيرى فيض الثقة التي يمتلئ بها هذا الفنان، ورقيّ روحه الثائرة:

- "شُحٌّ في الطعام والشراب. فلننوي الصيام فيه تضرعاً وتوبةً لله، ولينصرنا الله".
- " منشوراتكم أيها الأعداء التي ألقيتموها وصلت ممزّقة سبحان من أذلكم، رحم الله الفرحين بما آتاهم الله من فضله".
- " سنترك القطاع كما هو ولن نُعيد إعماره، ليرى العالم كم كان النصر والتحرير باهظاً. الجمعة موعد الصادقين، مُلبّي نداء النفير لله، احشد منذ الآن، استعِدّ، تدرَّبْ، تسلَّح، عيش مع أهل غزة شعور العظمة!"

كان يثبّت عبر حسابه بموقع إكس X/ تويتر تدوينة مؤثّرة: "أصدقائي، ثقةً بالله ورحمته، إذا انقطعنا عنكم فسنلتقي: إما في القدس أو الجنة".

وفي آخر إطلالاته المصوّرة كان يهتف بين الأنقاض التي توحّل غبارها بالمطر: "مهما فعلتم، لن تروا منا خوفاً ولا فزعاً، نحن عاهدنا، وبايعنا على الموت".

وظهر قبل استهدافه بدقائق وهو يعرّي الاحتلال الجبان من دعاواه الأخلاقيّة: "الاحتلال مش قادر على الأبطال اللّي بيخبّطوا على وشّهم، بس قادرين على المدنيين في غزة، الاحتلال مش قادر على اللّي بيخبطهم على مناخيرهم، الدولة النووية اللّي عاملة نفسها دولة".

وكان في تلك اللحظات ينتظر لحظة الشهادة، ويستعدّ لها، ويحيّي الشعب الفلسطيني على ثباته، ويخطب أمام كاميرا جوّاله في بث مباشر:

"مش قادرين على الجنود الفلسطينيين، وهذا ما وعدنا به الله ورسوله، وأنا بحكي معكم ممكن ينزل حجر بلوك عليّا، وتنتهي الرواية أو الرسالة، وهو شرف عظيم، وفي النهاية شرف عظيم إن ربنا يصطفي منا الشهداء، شوفنا أطفال غزة بيلعبوا بيهم لعب، حياك الله يا شعب فلسطين، والله لو عملتوا إيه لا نخاف أو نهاب أحداً غير الله"،

ثم لم تمضِ ساعات حتى انتشر نبأ استشهاده بعد أن انهمرت القذائف على موضع سكنه، فارتقى إلى ربه، ولم يخرج من منزله إلا شهيداً مقبلاً غير مدبر كما وعد وتمنّى؛ وتمكن رفاقه بصعوبة بالغة تحت النار من دفنه في مقبرة بيت لاهيا إلى جوار أخيه الشهيد حسن نسمان.

الاحتلال يغتال علماء غزة... رئيس الجامعة الإسلامية شهيداً

أكدت الحملة الأكاديمية الدولية لمناهضة الاحتلال والأبرتهايد الإسرائيلي أن الاحتلال الإسرائيلي اغتال خلال عدوانه على قطاع غزة، 100 عالم وأكاديمي و500 طالب جامعي منذ 2023/10/7 وحتى 2024/1/29.

ومن أبرز من اغتالهم الاحتلال، عالم الفيزياء الفلسطيني البارز ورئيس الجامعة الإسلامية بغزة البروفيسور سفيان عبد الرحمن تايه وتسعة من أفراد أسرته، في غارة جوية للاحتلال الإسرائيلي في 2023/12/2 استهدفت بلدة الفلوجة في جباليا شمال القطاع.

وتايه (52 عاماً)، عالم فلسطيني يحمل درجة الأستاذية في تخصّص الفيزياء النظرية والرياضيات التطبيقية، كان قد جرى تصنيفه من جامعة ستانفورد الأميركية في سنة 2021 ضمن أفضل 2% من الباحثين حول العالم.

وسبق أن حاز سفيان تايه على "جائزة عبد الحميد شومان" للبحث العلمي في تشرين الثاني/ نوفمبر 2021، بالإضافة إلى تعيينه حاملاً لكرسي اليونسكو لعلوم الفيزياء الفلكية وعلوم الفضاء في فلسطين.

هبة زقوت... تشكيلية فلسطين

هبة غازي إبراهيم زقوت

تشكيلية فلسطين

ولدت في مخيم البريج بوسط قطاع غزة سنة 1984، من عائلة تعود أصولها إلى بلدة أسدود المهجّرة

دبلوم تصميم جرافيك من كلية تدريب في غزة سنة 2003

بكالوريوس فنون جميلة من جامعة الأقصى في غزة سنة 2008

منسقة مشروع "بالأمل نحيا" في جمعية إنقاذ المستقبل للشباب

معلمة فنون في مدرسة خاصة وفنانة إكليريك

ورثت هبة وَسم اللجوء عن أمها وأبيها وأجدادها، وانتقل إليها حلم العودة المسافر عبر الأجيال، وقد كتبت قصة بداية هذا الحلم في حسابها على انستجرام: "ولدتُ وأنا أحمل معي كلمة لاجئة، لم أرَ بلدتي الأصلية أسدود، لكن عمّتي علياء تجمعنا وتحكي لنا عن أرض جدي وبيّارات البرتقال، عن موسم الحصاد وبيت مليان حُبّ وحياة، كنتُ أرى الشوق بعيون عمتي وهي تروي لنا حكايات عن أيام البلاد وأمنيات بعودة قريبة".

ولأن الفنّان حالم في أساس تكوينه فقد دخلت تفاصيل الحلم في لوحاتها، فبدت فلسطين زاهية ملونة كبهجة حلمها وجمال خيالها عن أرضها التي لم ترها يوماً، ولكن هذه الألوان الزاهية كانت تبدو مشحونة بالعتمة والدكنة على الرغم من مساحيق الفرح التي كانت تضعها هبة عليها.

وضعت هبة في لوحاتها جوهر قضية شعبها، فظهرت القدس جليّة واضحة في قبّتها الذهبية بين المدن المحتلة، وظهرت أشجار الوطن الخضراء الزاهية، وبرزت البيوت المكتظّة المتراصّة إلى جانب بعضها، وزرعت الحياة في لوحاتها الملوّنة واستدعت ذاكرة المكان المتخيّل من أفواه الجدّات.

أكثر الفنانين الذين كانوا يحلمون بالعودة وثّقوا حلمهم بالخيال المرِح الجميل لأنهم لاجئون خارج وطنهم، أما هبة فهي لاجئة داخل وطنها، فقد نُزعت عائلتها من أسدود، ورُميت إلى قطاع غزة، فكان طعم اللجوء مختلفاً، وتبدو فيه الواقعية المأساويّة التي تصطنع الفرح أشد ظهوراً، فكأنها كانت تصنع الأمل بين تضاعيف هذا الواقع المختلط الذي ترسمه وتزيّنه.

لم يكن الرسم سهلاً عليها وهي الأم التي تربّي أربعة أبناء صغار، وهي المعلّمة، وربّة البيت، ولم تكن ألوان الأكليريك متاحة تحت هذا الحصار الخانق الطويل الذي ضرب قطاع غزة، فكانت اللوحة مكلفة جداً ومرهقة، ولهذا كانت تبيع لوحاتها الذين هم بمثابة أولادها لتكمل مسيرتها في الحياة.

وكانت في الوقت نفسه تدرك تميزها وأهميتها، وتشعر بفنّها وجدارته بأن ينتشر وينبعث في القدس والضفة الغربية والداخل الفلسطيني وفي العالم كله، ومن المفارقات المؤلمة أن لوحاتها هذه عرضت في نيويورك وفي معارض أوروبية عديدة، وحظيت بنقدٍ ملفت واهتمام بالغ من الناقدين الأجانب الذين استضافوا أعمالها كشاهد على الفن الفلسطيني المظلوم، والمرأة الفلسطينية المناضلة، والأمّ التي قدّمتها هبة بأثوابها الوطنية الفضفاضة، والتي تظهر عليها ملامح الجدية المسبوكة بابتسامة صافية، وهي تملأ فضاء اللوحة التي لا تجد فيها فراغاً ضائعاً، وكان الطفل حاضراً وراء أمّه وحولها، فكأنها كانت تفتح عينيها نحو المستقبل الذي سيضمها مع ولديها في مثوى واحد.

كانت قضيّتها في موهبتها الإبداعية تتأسس على فلسطين والحياة تحت الاحتلال فيها، وتشتدّ خصوصية الموضوع عندها بأنها من موضع متفجّر في فلسطين اسمه غزّة، والمرأة الفلسطينية الغزّية، وعبّرت عن ذلك بوضوح، تقول: "أعتبر أرضي فلسطين هي المكان الذي ألهمني الرسم، لأنها المكان الذي نشأت فيه في غزة، الأرض التي شهدت الكثير من النضالات والكثير من الظلم الذي تتعرض له المرأة الفلسطينية، وأحاول من خلال لوحاتي الدفاع عن حق الفلسطينيين في حياة أفضل من خلال الألوان الجريئة والمبهرة".

كانت حرب طوفان الأقصى أو السيوف الحديدية كما تسميها آلة الاحتلال مختلفة عن أيّ حرب شهدها سكان قطاع غزة خلال الأعوام العشرين الماضية، فكتبت هبة زقوت على صفحتها على فيسبوك كما كان يكتب كل غزّي تحت النار يحاول أن يجلب الطمأنينة إلى نفسه، فوثّقت لنا في حسابها قبل استشهادها بأيام مشاعر الخوف والرهبة والرجاء، وطلبت من ربها زاد الصبر والصمود والقوّة: "اللهم نستودعك قلوباً مفجوعة بالفراق، اللهم اجبر كسر قلوبنا، واجعلنا لقضائك وقَدَرِك صابرين، يا ربّ كن معنا، وقوِّنا، وزِدنا صبراً، وآجرنا على صبرنا، اللهم اربط على قلوبنا فإنها لا تقوى، ولا تستند إلا بك".

كانت هذه الحرب الطاحنة في بدايتها يوم ودّعت هبة الدنيا، وكانت أمواج الحرب قاسية مرعبة، وبلغت القلوب الحناجرَ من هولها، وليس هناك استعداد لهذه الحرب الثقيلة المختلفة عن كل سابقاتها، وليس هناك تكيّف مع ظروفها العنيفة، وكانت أم فيصل هبة زقوت ذات الـ 39 عاماً مع ولديها آدم 10 سنوات ومحمود 6 سنوات، وكان ابناها الآخران فيصل وبراء مع أبيهما المهندس ماهر فيصل العواودة في البريج بالمنطقة الوسطى القريبة. وفي يوم الجمعة 2023/10/13، كانت قد أخلت بيتها الواقع في مرمى النيران، ثم عادت مع ولديها فقُصف البيت قصفاً مدفعيّاً وجوّيّاً شديداً، واستُشهد ثلاثتهما تحت الأنقاض. وقد حاول الأستاذ خليل حسين، مدير موقع السفينة الثقافي، أن يكتب عن لحظة استشهادها، ولم يعلم أنها فقدت اثنين من أبنائها، وليس واحداً منهم كما ذكرت المصادر التي نقلت الخبر دون تحقّق. ومع أن المشهد الذي اختاره الأستاذ خليل يتخيّل هذه الواقعة إلا أنّ الظرف النفسيّ الذي وضعه في إطار هذا التصوير المشهديّ يبدو واقعيّاً جداً، يقول: "لم تستطع الصورة أن توثّق لحظة استشهاد الفنانة الفلسطينية هبة زقوت، وهي تحتضن طفلها تحت هدير الطائرات ورعد الصواريخ الساقطة، لكونها سريعة ومفاجئة وخارقة. كان الخوف على طفلها يلجم قلبها المتسارع، فالطائرات حشرات سامّة ومفترسة، والموت يهبط من دون مظلة، بقوة وقسوة لم تعهدهما من قبل، وكان لها أن تستقبل موتها وموت طفلها في اللحظة ذاتها بروح شفافة مستسلمة. موتان ينسجمان في انطباق

شظيتين على بعضهما ليكون موتاً غريباً واحداً. وقبل أن تغادر هبة زقوت الحياة، استفاقت قليلاً لتتأكد من موت صغيرها الرابض على صدرها، لترسم في السماء لوحة الموت الوحيد بدمائهما النازفة على جدار سقط هو أيضاً عليهما، لينهي أسطورة البقاء الأعزل الوحيد. وتتبعثر اللوحة التي لم تكتمل على الشوارع والأرصفة والساحات. وكان اللون الأحمر هو آخر لون صبغ روحها وروح طفلها. قبل أن تصطبغ اللوحة به. فبقي مرسم الفنانة وحيداً، بلا رائحة المرأة، ولا رائحة ألوانها الفلسطينية البهيجة.. بقي لون الدم يصبغ الحياة التي بعدها".

"أول امرأة في المكتب السياسي لحماس" تنضم إلى ركب الشهداء

اغتالت طائرات العدو الإسرائيلي عضو المكتب السياسي لحركة حماس جميلة الشنطي (68 عاماً)، بغارة جوية على قطاع غزة، في 2023/7/19. والدكتورة الشنطي عضو في المجلس التشريعي الفلسطيني والمرأة الأولى والوحيدة، حتى تاريخ استشهادها.

وُلِدَت الشهيدة الشنطي في مخيم جباليا سنة 1957، وحصلت على درجة الدكتوراه في الإدارة التربوية، وانتُخبت سنة 2006، عضواً في المجلس التشريعي عن كتلة التغيير والإصلاح التابعة لحركة حماس.

وفي سنة 2013، عُيّنت الشنطي وزيرة للمرأة في الحكومة بغزة. وفي سنة 2021، تمّ انتخاب الشنطي كأول سيدة تصل لعضوية المكتب السياسي لحركة حماس في قطاع غزة. وتُشرف الشنطي، الّتي تُكنّى بـ"أم عبد اللّه"، على ملف "الجامعات ودور القرآن الكريم" في حركة حماس.

الداعية الشيخ عيسى مقداد... خطيب الطوفان

عيسى محمود مقداد "أبو عبد العزيز"

ماجستير أصول الفقه من كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية بغزة تشرين الثاني/ نوفمبر 2020، وكانت أطروحته بعنوان: "الاختلاف في تخصيص المفهوم وأثره في الفروع الفقهية"

إمام وخطيب وداعية

كانت المحافظة الوسطى في قطاع غزة خليّة نحل تطوف في أركانها ثلة من الشباب المؤمن الذين أخذوا على عاتقهم ترقية الناس، وإشاعة المعروف وإخماد مظاهر المنكر، وإحياء السنن، ويحثّون على الطاعة، ويرغّبون الناس في التزام العبادات، وعلى الرغم من أن المساجد كانت ركائز انطلاقهم إلا أنهم اتجهوا في دعوتهم في كل اتجاه، فصاروا يتحركون في جماعات ينشرون المحبّة بين الناس ويعظون بالحكمة والرفق والكلمة الحسنة، ويذهبون للأسواق، والمجالس الليلية، والمحلات، والصالونات، والصالات الرياضية والاجتماعية، والمعاهد العلمية، والكليات، والنوادي، ودواوين العائلات، ويشاركون في المناسبات الاجتماعية، ويزورون المرضى، ويستغلونها للوعظ والإرشاد، ويستهدفون الشباب والأشبال والأطفال... ولا يكاد يفوت الشيخ عيسى مقداد هذا الطواف المبارك، فتجده في النصيرات والبريج والمغازي والمغراقة، ويتحرك جنوباً إلى خان يونس ورفح، ويعاوده الحنين إلى محل سكنه الأول في مدينة حمد السكنية حيث بدأ مشروعه الدعوي فيجلس للوعظ والإرشاد والمحاضرة عندهم، ويستذكر نشاطه معهم في "رابطة حمد الدعوية".

كان الشيخ عيسى بجسده الممتلئ ووجهه المدوّر ذي اللحية السوداء الكثّة، وجلبابه المهيب، يحظى باحترام الشباب وحبّهم، واستطاع أن يجمع حوله نفراً من الشباب الموصوفين بالصلاح والدماثة واللطافة ولين العريكة، وكان الشباب يحبون أن يكونوا مع هؤلاء النفر لحسن عبادتهم وشدة عنايتهم بالفرائض والسنن، وكانوا فوق ذلك

من ذوي المبادرات الاجتماعية ورعاية مصالح الناس، وكان الشيخ عيسى من رموز هؤلاء ومشايخهم، وكان من مخططي سبل العمل الخيري وكيفية إدخال خطوط الإغاثة إلى المناطق المحاصرة، وكان موجِّهاً لفريق العمل التطوعي في مؤسسة راسخون لبناء الإنسان في قطاع غزة، كما نشط في غيرها.

ومع بداية أحداث طوفان الأقصى كان هؤلاء الدعاة هم نخبة المقاتلين القساميين، وقد استشهد أكثرهم، فكان الشيخ عيسى يرثيهم واحداً واحداً في صفحته على فيسبوك، ويذكر كراماتهم، ويعدّ ذلك تأكيداً على أن هذه القضية منصورة، لأن هؤلاء الأبرار من وقودها، وهم الذين نفروا فيها قناعةً والتزاماً، يقول: "أعراس شهداء المؤمنين في غزة نحو الجنان لا تتوقف، موسم الاصطفاء".

وقد كان هؤلاء الشهداء في حياتهم يأتونه من كل مكان يستمعون إليه، ولا سيّما عندما يحكي لهم سِيَر الصحابة الشهداء، وكان يعجبه أن يحكي لهم قصة الشهيد الدكتور نزار ريان رحمه الله وسيرة جهاده، فكانوا يتأثرون بها غاية التأثر لقرب عهده بهم.

تعرض الشيخ عيسى للعديد من الإصابات في جولات المقاومة الفلسطينية مع الاحتلال، فأصيب مثلاً في أيلول/ سبتمبر 2018 بجروح في قدمه من أثر الشظايا، وكان إذ ذاك يسكن في مساكن مدينة حمد؛ وأصيب بعد أسابيع من طوفان الأقصى يوم 2023/10/24 وكانت إصاباته متوسطة، واستشهد في هذه الحادثة التي أصيب فيها نحو ثلاثين شخصاً من جيرانه آل عوض ومعهم نازحون من آل الدحدوح بعد قصف منازل متجاورة ليومين متتاليين، فاستشهد الأستاذ ناصر عوض وبناته وأبناؤه وأحفاده وأزواج من أزواج بناته، وأصيب الشيخ عيسى، فكان يبكيهم بكاء مرّاً، ويتعزَّى بسيرة صبرهم وصمودهم.

كانت أكثر دروس الشيخ عيسى تتعلق بالإرشاد الاجتماعي وتصحيح العبادات ونشر الفضائل وتمكين الديانة، إلا أنّ هذه الموضوعات قد تغيّرت تماماً مع بداية طوفان الأقصى نحو تثبيت الناس وإعلاء قيم الجهاد والاستشهاد، وشحذ الهمم نحو ميادين القتال، وكفالة اللاجئين، وإعانة النازحين والقيام على احتياجاتهم، فكان يقول للناس، ويكتب لهم: "أيها الناس كونوا للنازحين كالأنصار للمهاجرين، وأجركم على الله".

وكان يذكّرهم أول الطوفان بقيم هذه الانطلاقة، ويخطب فيهم: "إنه المسجد الأقصى يا رجال! ترْخص دونه المُهَج والأرواح والبيوت".

وقد كان يحزنه جداً رؤية هذا الدمار والهول المصبوب على الناس فيدعوهم للثبات ويقول: "أصحاب الأخدود حُرِقوا جميعاً، وقد قال الله في حقهم: "ذلك الفوز الكبير"، فالحمد لله".

ويقول لهم: "أيام الحرب مخلوقة وكل مخلوق إلى فناء، وستنتهي، وهنيئاً بعدها لمن ثبت، وصبر، واستشهد، وجرح، ونكب في سبيل الله".

ولمّا انقطعت خطوط الاتصال وشبكة الإنترنت كتب لمحبّيه: "إن هؤلاء الأعداء يريدون قطع اتصالنا بالعالم، ولم يعلموا أننا متصلون برب العالم، واتصالنا به لن تقدر قوة في الكون على قطعه".

وكان يشرح لجيرانه وإخوانه ما يترتب على الأوضاع الحربيّة التي يعانونها من فقه النوازل، ويعلّمهم طرائق العبادة ورُخَص الحرب ابتغاء السلامة والتخفيف على الناس وصرف المشقّة. وقد كتب مرّة أن غزّة قد أخذت بجميع الرخص الشرعية في العبادات في هذه الحرب: التيمّم، وجمع الصلاة، والصلاة في البيوت، وترك الجمعة والجماعة، وغيرها، إلا في الجهاد في سبيل الله فلا يستطيعون أن يترخصوا في ذلك، لأنه لا يجوز لهم الترخص في ذلك، فهم أهل العزيمة فيه.

كان الشيخ رحمه الله ذا عزيمة حتى في لهيب الحرب، وكلما حانت الفرصة لها بذل لها أسبابها، وفي إحدى الليالي الصعبة في شدة القصف توجّه الشيخ لأداء صلاة الفجر في العتمة قبل أن ينشقّ الضياء ليصلي الفجر مع نفر من الناس إماماً، ولا ندري على جهة اليقين إن كان قد صلّى بالناس الفجر إماماً قبل استشهاده أو لم يُدرك الصلاة، إذ عاجلته طائرة مسيّرة بصاروخ فتّاك فجر يوم 2024/4/16 أمام مسجد سلمان في منطقة الحساينة غرب مخيم النصيرات وسط قطاع غزة، فأصابته إصابة بالغة نزف فيها كثيراً حتى استشهد في أرضه، فبكاه ما تبقّى من رفاقه بكاءً كثيراً، وتذاكروا مواعظه الأخيرة يوم قال لهم في درسه:

"إن الله يختبرنا بقضائه وقدره، وإن من لا يستر على جرحه فقد سخط على أقدار الله، وأن الواجب على المرء الصبر والاحتساب وعدم الجزع لا سيّما ألا مفر من هذا القضاء، وأن علينا الانشغال بالصلاة والصلاة على وقتها، وهي من أسباب دفع البلاء".

وقد بحث الناس في تراثه الباقي في منصات أخرى غير حسابه على فيسبوك، فوجدوا له تغريدة واحدة في منصة إكس X/ تويتر يقول فيها: "أعظمُ رجوعٍ إلى الله تعالى أن ترجع إليه شهيداً"، فعلم الناس أنها إشارة قَبولٍ بشهادته إن شاء الله، وهي كرامة تدلّ على صدقه وحسن إقباله على الله.

اقتحمت المستشفى واغتالته ورفيقيه على الرغم من إصابته بشلل نصفي

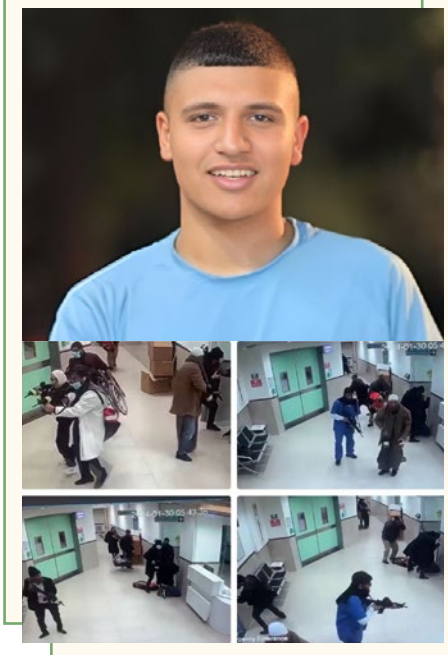

منتهكة كافة الأعراف والقوانين الإنسانية، تسلّلت قوات خاصة إسرائيلية في 2024/1/30، تنكر أفرادها بالزي المدني، وبلباس أطباء وممرضين، وأحدهم تخفّى بلباس ممرضة محجبة، إلى مستشفى ابن سينا في مدينة جنين في الضفة الغربية، واتّجهت إلى الطابق الثالث حيث اغتالت ثلاثة شبان باستخدام مسدسات كاتمة للصوت.

الشهداء الثلاثة هم الشقيقان محمد وباسل أيمن الغزاوي، ومحمد وليد جلامنة. وأحد هؤلاء، باسل الغزاوي، كان يتلقى العلاج في المستشفى منذ 2023/10/25، حيث يعاني من شلل نصفي ولا يقوى على الحركة، بعدما أصيب خلال قصف جوي استهدف مقبرة جنين. وقد نعت كتائب الشهيد عز الدين القسام في جنين الشهداء الثلاثة.

مصطفى الصواف وابناه منتصر ومروان...
أسرة الصحفيين الشهداء

مصطفى حاتم الصواف

كاتب وباحث ومحلِّل سياسي

كان الصحفي الكبير مصطفى حاتم الصواف المولود في خمسينيات القرن الماضي من المراجع الأولى للإعلام في قطاع غزة، حتى عدّه الصحفيون عميد الصحفيين الفلسطينيين، لكونه من أقدم الشخصيات الفلسطينية التي عملت في هذا القطاع منذ أوائل الثمانينات، واشتغل في مؤسسات إعلامية دولية بارزة لعل أهمها في ذلك الوقت هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي)، وأسس جريدة فلسطين في قطاع غزة، وكان أول رئيس تحرير لها، ولا تكاد تجد إعلامياً فلسطينياً إلا يعرف الأستاذ مصطفى الصواف، ليس بوصفه إعلامياً فحسب وإنما كان محللاً سياسياً وكاتباً لامعاً في الشأن الفلسطيني، وكان يقدّم مقاربات موضوعية مقبولة في الإعلام العالمي، بالرغم من انتمائه للتيار الإسلامي الذي كان أحد صروحه الإعلامية في قطاع غزة.

كان مصطفى الصواف شديد الانحياز للمقاومة في كتاباته التي درَج على نشرها في منصات كثيرة، وكانت أدبياته الإسلامية شديدة الظهور في خطابه السياسيّ في السنوات العشرين الأخيرة، وظهرت هويّته الملتزمة بشدة بعد طوفان الأقصى الذي انحاز له بكل قوّة، واصطف إلى قرار الطوفان، وكان من الثابتين الداعين إلى الثبات، ولا ينسى متابعوه يوم 2023/10/11 كلماته العجلى التي سطَّرها على صفحته دون أن يدقِّق حروفها خوف انطفاء شحن جوّاله، وهي تعبر عن صميم اعتقاده واستعداده الكامل للتضحية بروحه: "القرار الفلسطيني الصادر عن أحرار فلسطين البقاء في غزة؛ صامدين متصدّين مقبلين غير مدبرين، ونموت، وندفن فيها، ولن نرحل. ونُطَمئِن الإخوة المصريين أن الفلسطيني في غزة اتخذ القرار، وهو يعلم ما يقول، لن يكون هناك نزوح لا إلا مصر ولا إلى الأردن ولا إلى أيّ بقعة في الأرض؛ أرض فلسطين مقدسة وطاهرة والبقاء فيها هو رباط والفلسطينيون يعلمون ما هو

الرباط، ولكن على كل العرب والمسلمين التحرك بأقصى درجة من القوة للوقوف إلى جوار غزة والشعب الفلسطيني الآن الآن الآن".

ثم وجّه رسالته لأهل غزّة يوم 13 تشرين الأول/ أكتوبر يذكّرهم فيها بحقيقتهم، وأنهم الجُدَراء بالنصر والتمكين إذا صبروا، وألّا مفر من الله إلا إليه، يقول، وكأنّه يخطب فيهم: "يا أهلنا، يا رَبعنا، يا قرة عيوننا! أنتم الأعلون إن شاء الله، إنما النصر صبر ساعة، وبزوغ الفجر يأتي بعد حلكة الظلام، صمودكم وثباتكم وتضحياتكم لن تذهب هدراً، نحن شعب تعلمنا من ترك بيوتنا، واليوم علينا الثبات والتجذّر في بيوتنا، فالحياة والموت بيد الله، وهو سبحانه وتعالى القادر على كل شيء، وهو من يهَب الحياة لمن يريد، ومن ينقضي أجله لا ينقضي إلا بأمر الله، اثبتوا، ولا تلتفتوا إلى ما يروّجه الاحتلال ويدعو إليه، ثباتكم عنوان لنصركم، والذي بات أقرب مما نتصوّر أو يتصور الآخرون، اثبتوا ورابطوا واتقوا الله، فالنصر حليفكم والله معكم؛ وما هذه الحشود الأمريكية والبريطانية والعالمية إلا لمعرفتها أن هذا الكيان بدء يتهاوى وفي طريقه إلى الزوال؛ واللهِ والله والله إنّا منتصرون، وهذا ما يؤكده الواقع على الأرض رغم إرهاب الاحتلال وجرائمه بحقنا جميعاً، فما النصر إلا صبر ساعة، اصبروا فالصبر مفتاح الفرج، والفرج قريب قريب".

لم يعِش الأستاذ الصوّاف طويلاً ليرى تفاصيل ملحمة الطوفان وشهور الثبات المتطاولة، وكان انتقام العدوّ الوحشي منه ومن كل فلسطيني انتقاماً مجنوناً مروّعاً، وارتكب العدوّ بحق عائلته مجزرة لم تستثنِ أحداً من الصغار أو الكبار أو الرجال أو النساء، وقد سجّل ابنه المصوّر الشهيد منتصر شهادته على تلك المجزرة التي أصيب فيها إصابة بالغة في وجهه وعينه، يقول منتصر عن ساعة استشهاد والده و47 شخصاً من عائلته في غارة صهيونية على حيّ التفّاح، شرقيّ مدينة غزّة حيث منزل العائلة: "في ساعات ليلة الجمعة الماضية 18 نوفمبر 2023 أغارت طائرات حربيّة إسرائيليّة على منزل عائلتي، وهدّمته على رؤوس من فيه، مما أدّى لتدميره بشكل عنيف، لم يفرّق الاحتلال بين كبير ولا صغير، عائلتي قُتلت بدم بارد، استشهد والدي ووالدتي، واثنين من إخوتي، وعدد من أبنائهما، إضافة لعدد من أبناء عمّي، بينما أصبت أنا بجروح متوسّطة في الوجه؛ لقد تسبّب القصف بإصابة في عيني اليمنى، وبحثت عن طبيب لمعالجتها لكنّي لم أجد، وأعمل حاليّاً على معالجة نفسي من خلال إرشادات أطبّاء أتواصل معهم عبر الإنترنت والاتّصال الهاتفيّ، إصابتي لا تشكّل خطراً على حياتي، لكنّي أحتاج لعلاج من قبل مختصّين في العيون؛ إجمالي من قتلوا في القصف الإسرائيلي لمنزل عائلتي بلغ 47 فرداً، عثرنا على معظمهم، وما زلنا نبحث عن البقيّة تحت الأنقاض بوسائل بدائيّة، بسبب عدم توفّر الإمكانيّات اللازمة لدى أطقم الدفاع المدنيّ؛ انفطر القلب وجعاً، وامتلأت الروح بالجراح، لكننا راضون".

كان حدث استشهاد الأستاذ الصوّاف في هذه المجزرة جليلاً كبيراً، لكن الأحداث كانت تكبر وتتعاظم، ونجا من العائلة صحفيان اثنان من أبناء الأستاذ هما منتصر ومروان، لكن حياتهما لم تطُل بعد رحيل العائلة إذ أدركهم القصف المجنون بعد 13 يوماً من المجزرة.

منتصر مصطفى الصواف

مروان مصطفى الصواف

كان لمنتصر وجه بريء، يعكس شخصيته الطيبة المبادِرَة، يحب صناعة اللحظات الجميلة، ولأنّه مصوّر فقد كان يحب التفاصيل المبهجة، وكانت إصابته الصعبة في عينه يوم المجزرة قد زادت عليه وجعه الكبير بفقد أبويه وعائلته، وانهمك بما تبقّى له من وجهه وعينه أن يصوّر مشاهد الدمار بزوايا واسعة، ثم يضيّق الزاوية لتظهر التفاصيل المرعبة لهذا العدوان، وكان يرسل صوره إلى وكالة أنباء الأناضول التركية التي كان يعمل معها متعاوناً مقابل أجور زهيدة، كان كل همّه أن يفضح هذا العدوان ويوثق لكل جرائمه الشاهدة، فوثّق لنا مشاهد دمار الجامعة الإسلامية وأبراج تل الهوى، ودمار المساجد الجميلة، وتخريب المستشفيات... وكانت صوره مؤثرة جدّاً تستحق أن تكون معرضاً حيّاً يحكي صور الفظاعة التي ارتكبها الاحتلال في عدوانه الشامل، كان يتوجّع بشدّة، لكنه لم يخضع ولم يستسلم، وكان يتذكر كلمات أبيه، فكتب في صفحته يصبّر نفسه: "رغم كل احتياطاتنا وحرصنا على ألا نيأس ولا نحزن؛ لكن لا مفرّ من أيام تمرّ ثقيلة على القلب والروح، ولا علاج لها سوى الصبر حتى يأذن الله، وتمرّ بسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم".

شقيقه مروان أيضاً كان صحفياً يعمل مع مؤسسة "ألِف ملتيميديا"، وكان يحاول أن يجاري أباه في ثباته وصبره، وأن يقلّده في اختصاصه وحرفته، وكان قد كتب قبل استشهاده كلمات تعبّر عمّا يجيش في صدره من

حيرة حول مصدر هذا الثبات الغامض: "نَحْن بخير.. بخير جداً رُغم الواقع، رغم خسارتنا المستمرة، رُغم التعب ليلا نهاراً، رغماً عن السوادِ العارم والضَّجيج المُزعج.. نَحْن بخير بشكل غريب وغامض، بشكل متناقض تماماً لا يوجد تفسير له".

كان مروان حزيناً جداً كأخيه منتصر بفقد أحبّائه، كان يشعر أن روحه تتقطّع وتتلاشى: "حين أكتب عن أبي وأمي فأنا أروي تفاصيل أعظم رجل وأحنّ أمّ، خسارتي لأبي وأمي عظيمة، لا يعوضها شيئاً مهما كان، فقدي ليس أبي وأمي فقط، فقدي عالم بأكمله، فقدي وطن، وأنا الآن أشعر روحي بلا وطن، رحمكم الله يا روحاً سكنت روحي".

استشهد الشقيقان مروان ومنتصر ابنا الشهيد مصطفى الصواف في أول يوم بعد انتهاء الهدنة اليتيمة في معارك الطوفان، وتحديداً في اليوم الأول من كانون الأول/ ديسمبر 2023؛ فقد قصفت طائرات العدو شارعاً في ساحة الشوّا بحيّ الدرج، فأصيب منتصر ومروان واستشهد عدد من أقاربهما في التوّ، وظلّ منتصر نصف ساعة ينزف دون أن تصل إليه سيارة إسعاف لخطورة المكان، حتى تمكّن أحد الشباب الأبطال من نقل منتصر في حالة الخطر إلى مستشفى المعمداني، الذي كان في وضعٍ مزر لخلوّه من الإمكانات والإمدادات الطبيّة، فرحل منتصر شهيداً ولحق عائلته بأسرع مما كان يظنّ، ودُفِن في مقبرة البطش مع رفاقه الشهداء معه.

ثلاثة صحفيين من أسرة واحدة سجّلتهم الصحافة شهداء، عاشوا كراماً، وماتوا كراماً.

اعتقلتها قوات الاحتلال سليمة وأعادتها بنصف جسد

بنصف جسد، أعاد الاحتلال الإسرائيلي الأسيرة الفلسطينية وفاء جرار (49 عاماً)، أم حذيفة، وزوجة القيادي في حركة حماس عبد الجبار جرار، إلى مدينة جنين شمال الضفة الغربية، بعد قرابة عشرة أيام من اعتقالها من منزلها في حي المراح، خلال عملية عسكرية واسعة في 2024/5/21. فبعد أن اعتقلتها قوات الاحتلال، احتجزتها في مركبة عسكرية لمدة طويلة، في منطقة كانت تشهد اشتباكات مسلحة مع المقاومة الفلسطينية في جنين؛ حيث تمّ استهداف المركبة بعبوة ناسفة، حسب ادّعاء جيش الاحتلال، ما أدى إلى إصابة جرار إصابة بالغة أدت إلى بتر قدميها، ثم ما لبثت أن استشهدت متأثرة بإصابتها في 2024/8/5.

آية دحروج... الشهيدة السوريّة

آية عامر نديم دحروج

السورية التي يكتب الله لها الشهادة في غزة

كان عبد الله بسّام شامية طالباً في كلية الطب بجامعة كردفان في مدينة "الأبيض حاضرة"، شمال كردفان بجمهورية السودان، كان طالباً مجتهداً نشيطاً في العمل الطلابي، ولديه علاقات واسعة مع زملائه والمجتمع السوداني السمح، وكان محبوباً ذا سمعة طيبة بينهم، ولمّا انتقل إلى الخرطوم لنيل الامتياز وفَّقه الله للاقتران من فتاة سورية لجأت هي وأسرتها من معرة النعمان في إدلب إلى السودان، مع اشتعال الأوضاع في سورية منذ منتصف آذار/ مارس 2011، ولأن جمهورية السودان كانت تفتح أبوابها للاجئين وتسهّل لهم الحصول على جنسيتها بشروط ميسّرة، فقد لجأت عائلات سورية كثيرة إلى هذا البلد، ونالت جنسيته، وأصبحوا مواطنين سودانيين فيه.

كانت آية عامر الدحروج في مقتبل شبابها، معروفة بذكائها واجتهادها وتديّنها، وحرصها على مجالس القرآن، وهي من عائلة متدينة، من جهة والديها، كما أن جدّها لأمها هو الشيخ أحمد وصفي الجندي العبّاسي الصيّادي شيخ الطريقة الرفاعية وخليفة الشيخ محمود الشقفة الحموي في الطريقة، وقد كانت آية شديدة التعلّق بجدّها، وكان محبّاً لها، ومن الغاليات على قلبه.

كان الدكتور عبد الله يبحث عن زوجة تحب القرآن، لا سيّما أنه كان قارئاً مجوّداً، وظلّ يبحث عن نصيبه حتى عثر على مراده بهذه العائلة الوافدة إلى مهاجَرها في السودان، ولم يدم الأمر طويلاً فخطبها ثم تزوّجها في كانون الثاني/ يناير 2021، قبل أن يتم تخرّجه في الجامعة في كانون الأول/ ديسمبر 2021، وبعد عام واحد كان لا بدّ لزوجها أن يعود إلى أهله في قطاع غزّة، فقد كانوا ينتظرونه سنوات طويلة منذ أنْ خرج إلى السودان لدراسة الطبّ سنة 2013، وكانوا

جميعاً يتطلعون إلى ابنهم الطبيب الغائب منذ دهر، وزاد شوقهم إليه عندما تزوّج ولم يشارك كثيرون في فرحته بسبب صعوبة الانتقال وإغلاق معبر رفح وإجراءات السفر الخانقة لكل غزّيّ.

لم يكن الأمر سهلاً على آية وعائلتها، لكن هذه العائلة الكريمة باركت هذا الانتقال البارّ، وبدأت رحلة آية إلى غزة، فوصلتها بعد معاناة قاسية في شباط/ فبراير 2022، وبدأت حياتها الجديدة هناك، وكانت فرحتها الأولى بميلاد ابنتها الجميلة الشقراء كأبيها ريحانة بعد شهرين من وصولها إلى غزة، واستقل زوجها بإدارة مركز طبي حمل اسم ابنته للطب العام والحجامة الوقائية والعلاجية في منطقة الرمال بغزة، حيث يسكن هو وعائلته، وكان أهل القرآن من صفوة الحفّاظ والعاملين في قطاع التحفيظ يحظون بخصم رفيع يبلغ نصف الأجرة إذا راجعوا المركز وتطببوا فيه، وكان ذلك الافتتاح قبل طوفان الأقصى بخمسة أشهر.

كانت آية دحروج ما تزال تتعرف على مجتمع أهل غزّة وعاداته، وتحاول التكيّف مع ظروفه الصعبة التي تشبه الظروف التي عاشتها في السودان وفي سورية من قبل، واستطاعت بسرعة أن تندمج في هذا المجتمع الحيّ الذي حنا عليها، وضمّها إلى ركنه، وعدّها واحدة منهم، ولم تكدْ تُكمل فرحتها بانتمائها إلى هذا الموضع الجديد حتى بدأت معركة طوفان الأقصى، وكانت إذ ذاك حاملاً بجنين أنثى تستعدّ للخروج إلى الدنيا في شهرها الأخير، وكان على آية أن تستدعي كلّ معاني الصبر والثبات التي كانت تراها من جدّها الرفاعيّ وأبيها وأمها أبي بكر وأم بكر ومن زوجها القارئ الصالح، وعائلته الطيبة؛ وهناك شعرت بعمق أواصر الانتماء والمحبّة والتكافل والتضامن مع كل عائلة زوجها والنازحين إليهم في غمرة البأس الشديد، والقصف المتلاحق، والرعب الذي تنشره الطائرات والدبابات والمدافع التي لا تنقطع عنهم، وإذا استطاع أحدٌ من أهلها الوصول إليها بمكالمة متقطِّعة فإن كل ما كانت ترجوه منهم أن يدعو لهم بالثبات، وأن يعينهم على ما أصابهم.

كان آخر يوم لآية دحروج الفتاة السورية الإدلبية التي خرجت من القصف إلى القصف دمويّاً عنيفاً، وكان يزداد عليها عنفاً ووجعاً لمّا تصيح ابنتها الصغيرة والأطفال اللاجئين في منزل حماها من الرعب الذي تخلّفه أصوات القذائف المجنونة؛ كما صبرت على غياب زوجها الذي نفر مع النافرين وتطوّع في "مبادرة صمود" منذ بدء الطوفان، وخلَفته في أهله وولده.

يكتب لنا زوجها المكلوم الدكتور عبد الله شاميّة عن هذا اليوم العسير، الذي انتهى بمجزرة عظيمة أفنت عائلته وقتلت زوجته وابنته والجنين الذي لم يرَ النور بعد، يقول:

"بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

في يوم الأحد الموافق 2023/10/29 وبينما كنت كطبيب متطوعاً في مستشفى الشفاء، حدثت غارة صهيونية غادرة نسفت بالكامل عمارة العائلة المكونة من أربعة طوابق على رؤوس ساكنيها، ارتقى فيها معظم من كانوا فيها من أهلنا ومَن لجؤوا إليها من أقاربنا، وهم:

أبي الغالي أبو أسامة بسام حمزة شامية

وزوجتي الغالية سورية الأصل فلسطينية الهوى، آية عامر نديم الدحروج

وابنتي ومهجة قلبي ريحانة عبد الله شامية

والجنين في الشهر التاسع حبيبة عبد الله شامية

وإخوتي الغوالي:

أنس بسام شامية وزوجته وأبناؤه

حمزة بسام شامية

أريج بسام شامية

فاطمة بسام شامية وأولادها

خالتي الغالية رجاء عبد الرؤوف رضوان "أم براء" وأبناؤها:

براء سميح أبو صفية

أسامة سميح أبو صفية

أحمد سميح أبو صفية

حسام سميح أبو صفية

عمرو سميح أبو صفية

أولاد خالتي العزيزة أم علي:

أحمد فتحي رضوان وزوجته وأبناؤه

محمود فتحي رضوان وزوجته وأبناؤه

عبد الرحمن فتحي رضوان وزوجته وأبناؤه

ولاء فتحي رضوان ومعظم أبنائها وبناتها

أفنان فتحي رضوان

تسنيم فتحي رضوان

وأصيبت في الغارة والدتي الغالية أم أسامة شامية، وأخي العزيز أحمد بسام شامية، والعديد من أبناء وبنات عمومتنا؛ أسأل الله تعالى أن يتقبلهم في عليين وأن يشفي الجرحى وأن يرزقنا الصبر والرضا، وإنا لله وإنا إليه راجعون، دعواتكم لهم بالرحمة والفردوس الأعلى، ولنا بالصبر والثبات".

ولمّا عاد الزوج إلى موضع المجزرة، رأى الطوابق الأربعة كلها صارت أرضاً مستوية من شدة التفجير، وأصر بعد أشهر أن يكون في محله، وابتنى خيمة هناك، وظلّ يذكر زوجه وابنته وأهله، وظل وفيّاً للمقاومة مؤمناً بسبيلها.

كانت قصة آية من القصص الحزينة التي تناقلتها الوسائط الاجتماعيّة، لكنه الحزن الممزوج بالفخر بأن الدماء السورية قد اختلطت بالدماء الفلسطينية في هذا الطوفان، وأن الله كتب لهذه المرأة الشابّة أن تلقى الله شهيدةً في مكان مبارك لا يمكن الوصول إليه عادةً لكثرة الجدران الفاصلة التي تحجبه عن محيطه العربيّ والإسلاميّ، وكانت دماؤها جسراً يجدّد الصلة الروحية والجغرافية بين سورية وفلسطين.

"لم يبقَ لي أبٌ ولا عمٌ ولا إخوةٌ" فقدت 23 فرداً من عائلتها

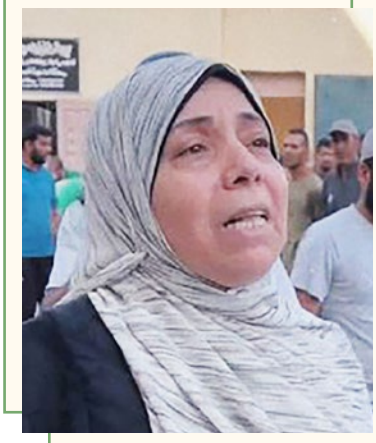

قالت هذه السيدة من قطاع غزة، في مقطع فيديو نشرته الجزيرة، أنها فقدت 23 فرداً من عائلتها: "لم يبقَ لي أخٌ يا خال، وقعت الدار عليهم، كانوا نائمين عندما قصفوا الدار في الصباح عليهم، كانوا 23 نفراً، والدي مسن عمره 75 سنة، وإخوتي الثلاثة وزوجاتهم وأولادهم أطفال ورضّع، كلهم متعلمون ومن بينهم مدرسون يعملون في مدارس وكالة (الأونروا)، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل، لم يبقَ لي غير أخت واحدة، لم يبقَ لي عم ولا أب ولا إخوة، لم يبقَ لنا عزوة (عائلة)، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل".

ضيائي السوسي... المفسّر الشهيد

ضيائي نعمان عبد الجواد السوسي

ولد في غزة في 1961/2/1

بكالوريوس في الرياضيات

ماجستير في التفسير

قبل أن يُبعِد الاحتلالُ الشيخ ضيائي السوسي إلى مرج الزهور في لبنان سنة 1992، كان له تاريخ من العمل المعادي لهذا الكيان الإسرائيلي، فقد حكمت عليه سلطات الاحتلال بالسجن 20 شهراً على قضية أمنية، واعتقلته إدارياً لأربعة أشهر، واعتقلته احترازياً مرتين؛ وسبق له أيضاً أن كان من رموز الحركة الطلابية الإسلامية في الثمانينيات، فقد شغل عضوية مجلس طلاب الجامعة الإسلامية بغزة في أول نشأتها، وذلك في دورة 1980، وتولى فيها أمانة اللجنة الاجتماعية، وكانت قيادات هذه الحركة الطلابية من الرعيل المؤسس لحركة المقاومة الإسلامية عقب انطلاق الانتفاضة الفلسطينية بأيام أواخر الثمانينيات.

كان في بداية الثلاثين من عمره لمّا عاش تجربة الإبعاد التي تحولت إلى محطة تاريخية ملهمة في تاريخ جهاد الشعب الفلسطيني، وكان من المقيمين لبرامج الشعائر الدينية في مخيم الإبعاد، إذ كان من المؤذِّنين المعتمدين في أثناء مرج الزهور هو والشيخ أبو أيمن طه، والشيخ ماهر الخراز، والشيخ رمضان الصيفي، والشيخ محمد ماهر بدر.

ومع أنّ تخصصه الجامعيّ كان في الرياضيات إلا أنّه جسّر تخصصه هذا بالدراسات الشرعيّة التي اعتنى بها اعتناء شديداً، إذ كان من حفظة القرآن ومدرّسيه، وطوّر معارفه بتحصيل شهادة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة سنة 2006 وهو في أواخر الأربعين من عمره، وكانت دراسته بعنوان: "الفساد والمفسدون (دراسة قرآنية موضوعية)"، وشغل موقع مدير مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية بالجامعة الإسلامية، كما أنّه ارتبط بعضوية رابطة علماء فلسطين.

كرّس الشيخ ضيائي حياته للقرآن قراءةً وإقراءً، واشتغل في تعليم القرآن والقراءات وتخريج الحفظة، وكان لا يشعر بروحه وكيانه إلا وهو يجول بين آيات الكتاب المبين قارئاً ومتدبّراً، وجعل من مسجده "مسجد الكنز"، الذي كان إماماً راتباً فيه في صلاة الفجر، مركز دعوة وتعليم وإصلاح وتربية، يصطف وراءه المصلون في صفوف متراكبة، يستمعون لتلاوته الخاشعة بصوته الندي ودروسه التربوية القصيرة بعد الصلاة، ويقرؤون على شيخهم، ويضبطون تلاوتهم عليه. كما نشط الشيخ في مركز القرآن التابع للجامعة الإسلامية، وكلاهما كان منصة نشطة تخرّج فيها هؤلاء الشباب المقبلين على كتاب الله بالآلاف على مدى عقود متصلة. ولم يكن غريباً أن يكون أكثر هؤلاء الخريجين من صفوة الحفّاظ الذين اختاروا طريق الجهاد، وكانوا من الشهداء المصطفين، الذين نهلوا أيضاً من شخصية شيخهم ضيائي العابد الزاهد الصوّام القوّام تلميذ الشيخ الشهيد أحمد ياسين رحمه الله.

كانت أمنية الشيخ ضيائي أن يعود للصلاة في المسجد الأقصى محرّراً، وأن يستعيد تلك اللحظة التي صلى فيها في المسجد الأقصى لأول مرة سنة 1978 عندما كان في الـ 18 من عمره، يقول: "لا يستشعر روعة الكلام الذي أقوله إلا من وطأت قدماه المسجد الأقصى، واستَشْعَرَت نفسُه الراحةَ بعد سماع أذنيه للقرآن الكريم المنبعث من كل مآذن وجنبات الأقصى، الصلاة في المسجد الأقصى لا تضاهى، وقلبي يتقطّع ألماً عندما لا أستطيع أن أزور الأقصى وأشاهده بأم عيني إلا عبر التلفاز".

مع بداية طوفان الأقصى كانت المساجد هدفاً رئيسياً لطائرات الاحتلال، فقد سوّت أكثر من 90% من مساجد قطاع غزة بالأرض لكونها المحاضن التي يتخرّج فيها هذا النمط الفريد من هذا الجيل المجاهد، ومع ذلك فقد خرج الشيخ لمسجده ليؤذن فيه الفجر، ويصلي بالناس، فتعرّض المسجد للقصف، وأصيب الشيخ إصابة متوسطة، ثم أصر أن يعود مرة أخرى للأذان والصلاة فيما تبقّى منه بعد تعافيه قليلاً، ويخطب الجمعة، ويجمع الناس فيه لينسقوا طريقة إدارة احتياجات الناس وإغاثتهم.

كان الشيخ جبلاً في الصبر والثبات، ولمّا بلغه نبأ استشهاد ابنه الحافظ براء السوسي خرج إلى الموضع الذي استشهد فيه في أحد المنازل، ليستخرج جثمان ولده ويدفنه. فلما وصل إلى المكان سمع أنين جرحى هناك، فهرع إليهم، واعتنى بجراحهم، ووجد لهم مخرجاً، ثم مضى ليبحث عن ولده الشهيد الذي ادّخره لهذا اليوم.

كان لقرار الشيخ الجبل أن يظل مرابطاً في مربّعه السكني الأثر الكبير في ثبات من تبقّى، وكان المجاهدون من تلاميذه المكلفين بالدفاع عن المنطقة يستبشرون برؤيته قريباً منهم، ويشعرون بالأنس إذا رأوا وجهه المدوّر الباسم المَهِيب.

كان الشيخ يَعْلَم ألّا مفر من الموت، وأنّ الله قد قرّب لهم أجل الشهادة فاستعدّ لها بصفاء وإقبال واجتهاد وعمل لم ينقطع، وظلّ منتظراً لم يبرح مسجده ومحل سكنه حتى حانت لحظة البداية يوم 2024/4/13 في العشر الأواخر من رمضان، عندما انهار سقف منزله المقصوف بالطائرات والمدافع، وانطوت جدرانُه عليه في أثناء عمله على قضاء حوائج الناس وإغاثتهم وتخفيف مصابهم، فمات تحت الهدم شهيداً راضياً مقبلاً، وحمله جيرانه إلى "مسجد الكنز" المدمّر، وكفّنوه برداء أبيض نقيّ، وصلوا عليه وهم واقفون على الأنقاض والحجارة المتساقطة، ليكون آخر عهده بهذه الدنيا مسجده الذي أحبّه وقام به داعياً.

تسكن في القاهرة..
علمت عبر التلفاز أنها فقدتْ 26 فرداً من عائلتها دفعةً واحدةً

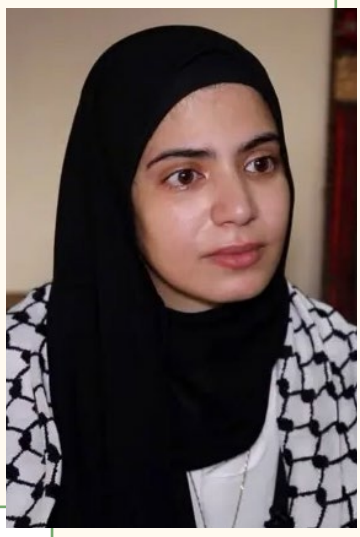

تعيش زينب سليمان مع والديها وأختها في القاهرة منذ ثلاثة إعوام. في 2023/10/22، استيقظت على مشهد منزل أخوالها في قطاع غزة وقد سوي بالأرض.

تابعت زينب على شاشة التلفاز إخراج جثامين 26 فرداً من عائلتها من تحت الأنقاض بينهم 17 طفلاً. لساعات، بحثت وأختها في فيديوهات وصور تُنشر على موقع تيليجرام لجثامين أُخرجت من تحت الأنقاض يومياً في قطاع غزة.

تقول زينب: "كنا نريد معرفة إذا كان أحد قد نجا من القصف"، وأخيراً وجدنا فيديو يظهر ابن خالي وهو واقف أمام عدة جثامين مرصوصة مكتوب عليها "عائلة حماد العروقي"، فعلمنا أنه على قيد الحياة وفرحنا أنه نجا لكي يدفن الباقين.

شهداء السطح الثلاثة

محمد ومؤمن ومعتصم أحفاد أمراء مؤتة

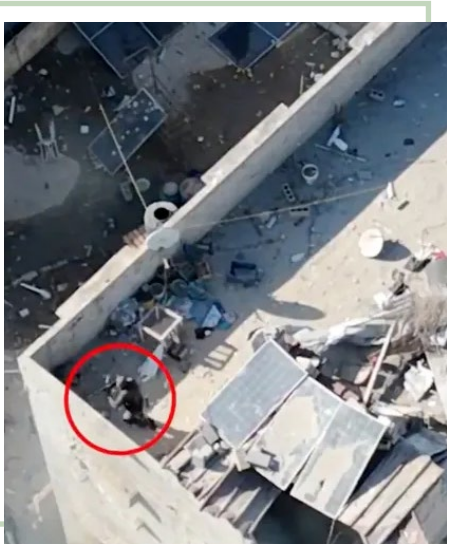

يتذكّر المتابعون لبطولات طوفان الأقصى، الفيديو القصير الذي نشره إعلام العدوّ يوم 2024/5/18، للّحظات الأخيرة لمقاتلَين من كتائب القسّام كانا على سطح منزل مقابل مسجد الصالحين في بلوك 2 بمخيم جباليا في شمال قطاع غزة، بعد أشهر طويلة من دكّ هذا المخيم بكل قوّة نارية، واجتياحه للمرّة الثانية؛ وتحوّل هذا الفيديو الذي أراد العدو بنشره الاستعراض بتصفية المقاتلين واصطيادهم إلى مشهد أسطوريّ تغطّيه السماء رأى فيه الناس اشتباكاً مذهلاً لم يَرَوْه إلا في الأفلام المثالية، حيث قام المجاهد الأول "محمد البيك" وهو ملثم وبكامل هيئته العسكريّة يتعالى على إصابة قدمه اليسرى فيقوم على قدم واحدة، ليكمل اشتباكه الذي بدأ به، ويفتح نيران رشاشه مجدداً على العدوّ، وقد غطّى سورُ السطح نصفَ جسده فتصيبه رصاصات عدة تفقده التوازن، ويطيح أرضاً، ويتلوّى نازفاً، فيقوم على الفور زميل له "مؤمن شحادة" بقميصه الأبيض فيأخذ من زميله الجريح سلاحه الذي سقط معه، ويقوم في الموضع نفسه بلا تردد ولا خوف، ويكمل الاشتباك، ويفتح النيران على العدوّ فيصاب الإصابة نفسها، ويسقط إلى جانب صاحبه في مشهد فريد، وظلّ المجاهدان ينزفان حتى ارتقيا إلى ربهما شهداء مقبلين غير مدبرين.

وكانت المفاجأة أن اللقطات الحيّة التي بثها الفيديو حجبت شخصاً ثالثاً كان موجوداً معهما، ولم يُكتشَف هذا الأمر إلا بعد وصول فريق الدفاع المدني والأهالي إلى سطح المنزل يوم 2024/5/31، فوجدوهم ما زالوا في هيئتهم العسكرية، وقد رفعوا أصابعهم السبابة بالشهادة، وهنا بدأت تتركّب أجزاء الحكاية الكاملة لهذه المجموعة من النخبّة القسّامية المقاتلة.

الثلاثة من أبناء مخيم جباليا، وُلدوا فيه وتنشّأوا، وكبروا، وأصبحوا من دروع هذا المخيم، وكانوا من كوادر لواء الشمال في كتائب القسام الذي تولى التصدي لجحافل الاحتلال الغازية مع بداية طوفان الأقصى؛ والثلاثة أيضاً من الأسر التي هُجّرت من أراضيها المحتلة سنة 1948 بعد النكبة، وهم جميعاً من قرية بُرير المحتلة على الخط المقابل لحدود شمال قطاع غزة.

محمد عبد العزيز البيك

مؤمن مجدي شحادة

معتصم دياب شحادة

محمد عبد العزيز البيك هو المقاتل الأول في هذا الفيديو، كنيته "أبو عزيز"، وهو من كوادر النخبة القسّاميّة، وينتمي إلى سلاح المدفعيّة، وقد انضم باكراً إلى القسام وهو بعمر 17 عاماً لكفاءته ولياقته وشدّة الثقة به، لا سيّما أنه من عائلة عريقة في المجاهدين والشهداء؛ وهو أصغر إخوانه سنّاً، وكان شهماً خَدوماً طيب المعشر ذا علاقات اجتماعية واسعة، محبوباً من أهله وجيرانه لقيامه على المناسبات الاجتماعية ومبادرته إلى خدمة الناس، وكان إذا عُهِد بمهمة اجتماعية كبيرة كالأعراس فإن أحداً لا يقلق على ترتيباتها لكونه قائماً عليها.

المقاتل الثاني في هذا الفيديو هو مؤمن مجدي شحادة، من أبناء مسجد الشورى الذي قصفته طائرات العدوّ في المخيم ودكّته، وهو مقاتل تحوطه الشهادة من كل ناحية، فقد استشهد قبله شقيقه مصطفى "مسؤول المواقع العسكرية للكتيبة الشرقية"، واستشهد بعده شقيقه محمود، كما استشهد ابن عمه أسامة عيسى شحادة بعده، وابن عمه الآخر عبد الله زكريا شحادة قبله.

كان مؤمن من كوادر النخبة القسامية في سلاح الإشارة بلواء الشمال، وشارك بقوة في أحداث يوم الطوفان الأول، وكان من أبطال هذا العبور، وقد سجّلت له الكاميرات صورة وهو عائد بالغنائم من موقع 16 العسكري الإسرائيلي شرق بيت حانون، فكان هدفاً يبحث عنه العدوّ بكل وسيلة ممكنة، وقد ظلّ يذيق العدو مرارة الاشتباك أشهراً متصلة قبل أن يكرمه الله بالشهادة التي سعى لها بإقبال شديد، وقد كتب أخوه معاذ شحادة عن سيرته وأخلاقه فقال: "مؤمن أخي الأشدّ تقوى بين إخوتي، لا أدري من سيطرق الباب بقوة ليوقظني لصلاة الفجر بعدك، لا أدري من

سيجلس مُخبِتاً في الصف الأول قبل الأذان بعدك، ستفتقدك سواري مسجد الشورى وجولاتك الجهادية، الجميع سيفتقد طيب أخلاقك وهدوءك وتفانيك، لم أرثِ أحداً من إخوتي قبلك... يا حبيبي يا مؤمن، كيف قابلت ربك؟ لقد رآك، وأنت مقبل الوجه نحو الموت، وأحسبه ضحك لك، لقد أدهشت بصنيعك العالم، وحركت جذوة القتال في قلوبهم، كيف فعلت ذلك يا أيها المؤدب الخلوق، أعرفك جيداً يا مؤمن، لقد كنت تبتغي مرضاةَ الله فأدهشت الأمّة، وأقمت الحجّة على المتخاذلين".

وأمّا المقاتل الثالث الذي لم يظهر في الفيديو فهو معتصم دياب شحادة، من كوادر النخبة القسّامية في لواء الشمال أيضاً، وكان في سلاح المدفعية، وقد كان ضابطاً محترفاً تلقى التدريب العملي والأكاديميّ، وكان يعمل رسمياً في الشرطة البحرية، وقد تخرّج في كلية الشرطة السودانية ونال درجة البكالوريوس في العلوم الشرطية؛ وهو من عائلة مجاهدة أيضاً، وقد سبقه إلى الشهادة في أول معارك طوفان الأقصى شقيقه محمد دياب شحادة.

وكان للشهيد عيسى شحادة "أبي عماد" قائد حركة حماس ورئيس هيئتها الإدارية في شمال غزّة دور كبير في تربيتهم وتجهيزهم وإعدادهم لهذا اليوم.

وقد وثّقت الكاميرات مشهد انتشال جثامين الشهداء الثلاثة، وتفاعلت الجماهير مع هؤلاء الأبطال، واستعادوا قصيدة الشاعر الغزّيّ معين بسيسو ابن حي الشجاعية العريق في مدينة غزّة، وأحد الذين عملوا في مدارس معسكر جباليا قبل رحيله، إذ كتب قصيدة تمثّل هذا السلوك الفاخر من هؤلاء المقاتلين الثلاثة، وتذكّروا معه أن مقام الرفيق لا يخلو:

أنا إنْ سقطتُ فخذْ مكاني يا رفيقِي في الكفاحِ
واحملْ سلاحِي لا يَرُعْكَ دَمِي يسيلُ معَ السِّلاحِ
وانظر إلى شفتيّ أطبقتا على هُوج الرياحْ
وانظر إلى عينيّ أغمضتا على نور الصباحْ
أنا لم أمُتْ! أنا لم أزل أدعوك من خلف الجراحْ

وقد كُتِبت فيهم كلمات خالدة، وشاع تلقيبهم بأنهم أحفاد أمراء مؤتة الثلاثة، ونظم فيهم الشعراء، ومما انتشر من القصائد في شهداء السطح الثلاثة قصيدة الشاعر وائل أبو سمحة في قصيدته "بأس رجال الله":

غرّة الأيام تحمل صورةً رفعت على هام الزمان تعاليا
ظنّ البليدُ بأنها لفَخاره تأبى البلاهة أن تفارق غازيا
لاذ الجبان إلى الفخار بسيره فأبى الفخار رداءه متعاليا
هل يدرك النجباء سرّ بسالةٍ تسري بها الأنفاس تسبق ساليا
باعوا بعشق للإله نفوسهم وسعَوا لتسليم المبيع تفانيا
والجاهل المغرور ظن رسالة تفضي إلى قهر الرجال تهاويا
فإذا الرسالة سافرت نبضاتها كالروح تسري في الأنام تساميا
كم هام بحثا في الظلال سقيمها عن وهم نصر كالسراب تقاصيا
عنا روى فضلاً يفوح بمسكه عزماً شديد البأس كبر ماضيا
لم يوقف الجرحُ البليغ خيولَه داس الجراح متابعاً وملاقيا
رمز الشهادة مقبلاً بسلاحه صبّاب جَود في النزال وصاليا
أمّا أخوه فقد أتاه مجندلاً فمضى يكرّ ولا يفرّ مولِّيا
لم يرهب البَطَلانِ كثرة جندهم وتناوبا رشف الشهادة صافيا
يا صورة نقلت فصولَ حكاية بشرى تُطلّ فمن يعاند فاديا
حارت بها الألباب حين جدالها سبراً لسرّ ما أفاء تداليا
نِعم الشهيدان استعارا جذوة قبساً من التاريخ حيّاً دافيا
ومزلزلاً أعداءه بحمامه حيث التفاني في الفداء مخاويا
لو يدرك الباغون بعض خلالنا لتعاهدوا سبل الفرار تحاشيا
ولأبعدوا حيث المكان لعيشهم يبدو من الإخوان دوماً خاليا

ينعى 14 من عائلته: "كلهم فدا الوطن والأقصى"

نعى الشاب الغزاوي محمد أحمد 14 فرداً من عائلته بعد أن قتلوا في 2023/10/11، بقصف إسرائيلي مكثف على الحي التي تقطن به أسرته في قطاع غزة.

ونعى الشاب محمد أفراد عائلته بكلمات مؤثرة على صفحته الشخصية على "فيسبوك" وكتب: "أحتسب عند اللّه تعالى، أمي قرة عيني، وأخي رأفت تاج راسي، وزوجتي أوكسجين حياتي، وليندا نبض قلبي، وسيدرا نور عيوني، وهايدي فلذة كبدي، وقُصَي ابني وحبيبي وعمري، وقلبي يابا واللّه قلبي يابا انتا اللّه يرحمك، وعبيدة حبيب قلبي يا عم روحت [ذَهَبْتَ] مع قُصَي حبيبك، وزوجة رأفت ونِعم الزوجة، ويامن ابن رأفت، وضياء أختي حبيبتي تاج رأسي ونبضي، يا أختي ابنك أمانة معي، غيداء وهيفاء نور عيوني وقلبي ضي عيوني فدا الوطن والاقصى".

مهنّد جبريل... رجل النداء واللقاء

مهند رزق محمد جبريل

ولد مهنّد في البريج في 1995/8/23 من عائلة مهاجرة تعود أصولها إلى قرية بيت طيما، التي طرد أهلها عام النكبة 1948، وكانت تتبع لقضاء غزة في السهل الساحلي الجنوبي

تخرج في جامعة فلسطين بغزة كلية الإعلام وتكنولوجيا المعلومات – قسم الإعلام والاتصال

كان والده الحاج رزق محمد جبريل "أبو طارق" أحد مخاتير مخيم البريج، ربّى أولاده على طاعة الله وخوفه وحبّه، وعلّمهم أن المستقبل الحقيقي والحياة الحقيقية ما يتخذه المرء من خيارات يستثمر فيها للحياة الأخروية العلويّة.

لم تعرف عائلته الترف، فقد كانت متوسطة الحال، تقوم بالمتاح، وكان الإخوة يلبسون من بعضهم، ويتناوبون على لبس لقمصان، وليس ثمة حاجة لخزانة ملابس لأنّها لا تكاد تجف على حبل الغسيل حتى يلبسها أحدهم قبل أن تُضَبّ.

تزوّج مهند في سنّ مبكرة ورزق بابنتين، وكان يكنى بأبي باسل، وتهيّأ له السكن في منطقة حدودية قريبة من مخيّمه البريج في منطقة جحر الديك بالمنطقة الوسطى.

كان داعية ذات صوت جميل، وكان يحضر مجالس الشيخ الداعية الشهيد عيسى مقداد في النصيرات، ويتأثر بأحاديثه الداعية إلى الجهاد والاستشهاد.

انتظم مهند في دائرة الإعلام العسكريّ في كتائب القسّام، كما تلقّى تدريباً عالياً في وحدات النخبة التي كان من كوادرها، وكان من القادة الميدانيين في كتيبة البريج التابعة للواء المنطقة الوسطى في قطاع غزة.

يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر، يوم طوفان الأقصى، كتب على صفحته في فيسبوك بيتين:

قف شامخاً مثل المآذن طولا وابعث رصاصَك وابلاً سجّيلا
مزِّق به زُمَر الغزاة أذِقْهمُ طعمَ المنون على يدَي جبريلا

والبيتان هما للشاعر الفلسطيني الراحل المهندس غازي الجمل، وقد غيّر مهند الكلمة الأخيرة من البيت الثاني فجعلها "جبريلا" بدلاً من "عزريلا" كما هي في قصيدة الشاعر الأصلية لتوافق اسمه، ويبدو أنه كان يترنّم بذلك، ويعلن بالرموز الخفيّة أنّه سيكون ذلك الشامخ الذي يذيق العدو طعم المنون، وورّى عن عائلته "جبريل" بسيّد الملائكة "جبريل".

استهدف العدوّ بيت والده في مخيم البريج ودمّره، كما استهدف بيت أخيه الشاعر طارق، ومسح بيته الشخصيّ في جحر الديك، وهدم أركانه، ولم يفتّ ذلك الأمر في عضد مهنّد، وظلّ سيفه مهنّداً قاطعاً، يصطاد بها رؤوس دباباتهم بقذائفه، ويصطاد جنودها بكمائنه، وهو الخبير بطرق جحر الديك وأنفاقها.

كان مهنّد في ذروة انغماسه في نفيره الجهاديّ، وكتب الله له الخلود بصوته الذي تطابقت صورته المهيبة عليه بعد استشهاده، وانتشر صوته في فيديو بثته كتائب القسّام وجّه فيه رسالة مقتضبة للخبير الاستراتيجي والمحلل العسكريّ في قناة الجزيرة اللواء فايز الدويري، حينما صرخ بصوت مفعم بالفخر والحيوية بعد استهداف قوة إسرائيلية خاصة مكوّنة من 10 جنود في أحد المنازل بمنطقة جحر الديك بقذيفة مضادة للتحصينات يؤكّد فيها تحقيق إصابة مباشرة فيهم: "الله أكبر في قلبهم يا وْلاد.. حلِّل يا دويري".

فاستجاب المحلل العسكريّ فايز الدويري لطلبه الغريب غير المألوف باعتزازٍ شديد، وطار الناس بذكر هذا الرجل، وضحكوا لكلمته ابتهاجاً بهذا المقاتل المتلئ بالثقة والرجولة وخفة الروح ولطافة العبارة وتلقائيّتها، ولكنهم مع اشتداد حرصهم على تعرّف شخصيّته لم يعرفوا هويته حتى نال الشهادة في 2024/1/23، فعمّ الحزنُ الفضاء الأثيريّ، وطفق الناس يتحدثون عنه، ويُزْجون له الدعاء، فقد أفرح قلوبهم بصرخته العملاقة التي هزّتهم، وذلك المثلث الأحمر المقلوب يصوّب على جنود العدوّ ليدلّ على الانتهاء منهم.

وبدأت أحواله تتكشّف شيئاً فشيئاً باستخراج ما تبقى من ركام بيوت عائلته وإخوته، فظهر لنا مهنّد بذوقه الرفيع وتواضعه الجمّ، وهو يكتب الرسائل القصيرة الندّية بالحبّ والمشاعر الفيّاضة ذاكراً أفضالهم، معدِّداً خصالهم، موصياً لهم بأناقة؛ وكشفت رسالته الأخيرة إلى عائلته أنّه رجل بذل روحه لله، وأنّه عاش حياة سعيدةً بينهم في طريقه إليه، وأوصاهم ألا يرموا سلاحهم، وأن يقاتلوا حتى النفَس الأخير كما قاتل، ونصّ رسالته عجيب، يقول:

"إلى إخوتي: "أبو رزق، أبو عبد الرحمن، أبو معاذ، أبو السعيد، أبو الميس، أبو بكر، أبو مالك"، إلى عائلتي وسندي دوماً بعد الله!

لقد عشت بينكم أجمل لحظات حياتي، وكانت لحظات لا تنسى، كنتم نِعم الإخوة بفضل الله في لحظات الفرح ولحظات الحزن.

قد تخونني الكلمات، وقد يخونني التعبير، ولا أجد الكلمات التي تصف قلوبكم، ولكنني كنت أسعد الناس بوجودكم حولي حين نضحك، ونلعب، وحين نخرج ، لقد كانت فعلاً أجمل اللحظات التي لم أكن أودّ أن تنتهي...

إذا وصلتكم رسالتي هذه، فاعلموا أني ذهبت إلى لقاء ربي، أوصيكم خير وصية بأمّي، وأنتم خير من أُوصي ، فما أعرفه عنكم أنّكم بارّون بها، غير مقصّرين بحقّها.

وصيتي الأخيرة لكم: لا ترموا سلاحكم، وقاتِلوا حتى النفَس الأخير!

أحبّكم جميعاً، ولا تنسوني من دعائكم!

أخوكم المحب مهنّد"

ألهم المهنّد مشاعر الملايين بصوته القويّ وصرخته المقاتلة، وأثّر فيهم نبأ استشهاده، وهي النهاية التي تليق به، وسجّل الشاعر الموريتاني محمد الحافظ الطالب أحمد هذه المشاعر فكتب فيه قصيدةً فاخرة:

"مُهنَّدُ" لا تبعدْ فأنت مخلَّدُ ... بفعلك والأيامُ تروي وتَشْهَدُ
فمنْ لنداءِ الْغَزْوِ لبَّى مُغَامِراً ... فحيٌّ وإن خلناهُ عنَّا سيبْعد
زأرْتَ فأرديت العدوَّ-نكايةً ... فيا زأرةً منها العدى تَتَبَدَّدُ
هتافك "حلْ يا دويري" قصيدةٌ ... يُرَدِّدُها الماضي ويبأى بها الغدُ
فطِبْ مَرْقَداً واهْنَأْ فَمَاضِيكَ زاخرٌ ... وعَيْشُكَ محمودٌ وأنت مُحَمَّدُ

تركتَ لدى الأجيال سيرتَكَ التي ... بها الكونُ يَشْدُو والزمانُ يُغَرِّدُ
ففي غزّةٍ كلُّ السُّيوفِ قواطعٌ ... وإنك منها لَلْحُسَامُ المهنَّدُ
وكلُّ سيوفِ الهنْدِ قَبْلَكَ أشْهِرتْ ... ولكنَّكَ السَّيفُ الذي ليس يُغْمَدُ
وإنَّ عزاءً بعد موتك-إنْ يكنْ- ... ففي صحْبِك البُهْمِ الذين تجلَّدُوا
فما اسْتَسْلموا جُبنا ولا ريعَ سربُهم ... ولم يكسلوا يوماً ولم يتبلَّدُوا
فدان لهم أحفادُ "عَضْل" و"قارةٍ" ... فذلك مَصْلوبٌ وهذا مُصَفَّدُ
ودون"النَّتنْ..ياهُو الشَّقِيِّ" ورهطِه ... عساكرُ-من وقْع القنابل-سُجَّدُ
فإنْ أجْمَعُوا يوماً على الحرب أمرَهم ... وأرْغى دعاةُ الحرْبِ منهم وأرعدوا
يهبُّ من "القسَّام" رهطٌ إليهمُ ... محاطٌ بعزٍّ ثابتٍ ومؤيَّد
فلله "عزُّ الدين"، لله صحبُهُ ... فَغَاراتُهمْ ألحانُ نصرٍ تردَّدُ
ولله "تشرينُ" المبارك "سبتُه" ... وطوفانه الآتي بما صار يُحمَد

خنساء فلسطينية تحتسب عند الله 16 شهيداً من عائلتها

وقفت هذه الفتاة الفلسطينية من عائلة "ورش أغا" وسط 16 جثماناً لشهداء من عائلتها، ونعتهم بصمود ورباطة جأش واحتساب. ارتقى أفراد عائلتها شهداء في قصف إسرائيلي على منزلهم في بيت لاهيا شمالي القطاع في 2023/10/29، فتألمت كثيراً ولكنها صبرت صبراً جميلاً، وقالت بصبر واحتساب ثابتة صامدة: "نحن صامدون رغم آلامنا، ورغم استشهاد عائلتي التي اصطفاها الله، رحمكم الله يا عائلتي، وجعلنا الله وراءكم صامدين وساكنين فردوسه الأعلى... إن شاء الله في الجنات بفضله تعالى.. الحمدلله حمداً طيباً وسنكون نحن شهداء وراءكم، ونضحي بأنفسنا ومالنا، وإنا لله وإنا اليه راجعون".

أنس الخولي... الطفل الذي سقاه رسول الله الماء والعسل

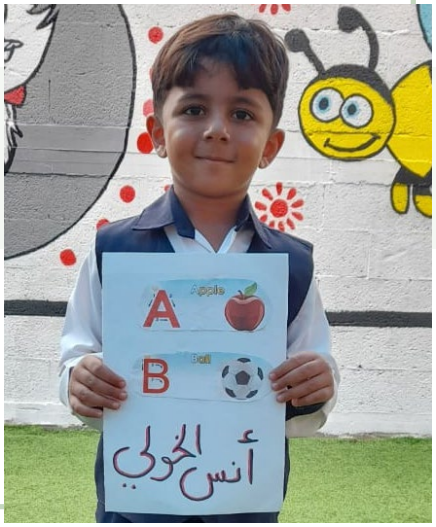

أنس مالك الخولي

الطفل الذي سقاه رسول الله ﷺ الماء والعسل

هناك فتى غزّيّ صغير عمره خمس سنوات شَغل الناس برؤيا عجيبة أذهلتهم، وقد استغرقتُ مدّةً بحثاً عن اسمه وأهله بعد انتشار فيديو له تتحدث أمه معه عن رؤياه التي شاهد فيها رسول الله يسقيه ماء وعسلاً، ووصف هيئته بأن وجهه يشبه وجهه، وأن شعره طويل يقارب شعره، وأن له عينين كبيرتين كعينيه، وطفق يتحدث عن جمال لقائه برسول الله، وقال إنه كان صاحبه أو أخاه، وتحدث أنه شاهد والده الشهيد معه، وكانت أمّه تحاوره في لهفة وبكاء وتأثّر بالغ؛ وكل ما وجدته في أثناء بحثي عن حقيقة هذا الطفل أن اسمه "أنس"، فكتبت عنه مقالة بعنوان "عن الفتى الغزّيّ الذي سقاه النبيّ ماء وعسلاً"، فانتشرت انتشاراً هائلاً مع مقطع الفيديو الذي أرفقتُه بالمقالة، فطفقت أبحث عنه أكثر لاعتقادي أن في هذا الطفل بركةً خاصّة، وأنه بلاغٌ إلى الناس في قطاع غزة لبث الطمأنينة في قلوبهم. وبعد لأْيٍ وجهدٍ عرفت أن اسمه أنس مالك الخولي وأن أمّه هي سارية دحدوح، وقد استشهد والده، وظلت أمه ترعاه في نزوحها المتصل من خيمة إلى خيمة، وتتصبّر به، وصارت تبث أحواله على حسابها في انستجرام، وتُري الناس كيف يقضي هذا الفتى الصغير وقته معها في خيمته بين الخيام المتراصّة.

وقد كتبتُ في مقالتي أن هذا الفتى لم يخبر أمّه الملهوفة بكل ما رآه، وأننا لو سألناه أكثر فسنجد عنده تفاصيل أوْعَب وأوعى، وفيها ما يريح الروح، ويَجْبر الفؤاد، ويؤمِّن الروعة بهذه الرسالة المبارَكة، ثم وجدت أمّه تكتب تعليقاً على صفحتها تؤكد فيه أن ابنها يأبَى أن يتحدث بكل ما دار بينه وبين رسول الله ﷺ لأنه أوصاه ألا يتكلم لأحد، فعلمت أن تأويلي لكلامه هو أقرب لحاله.

وتحدثت أمّه أن ابنها أوّل مرة قال لها عندما استيقظ إنه رأى الرسول ﷺ، فاقشعرّ بدنها، وطَلَبَتْ إليه أن يصفه لها فانتبه أنه موصَى بألا يتكلم، فقال لها بالعامية: "خلص خلص"، لأنه لا يريد الكلام في الموضوع، ثم حاولتْ ثانية وهو يسكت لا يجيبها، ولمّا ألحّت عليه سرد لها جزءاً مما رآه، وامتنع عن سرد الحوار الكامل بينهما.

ومن نوادر الحوادث أن يرى الأطفالُ رسولَ الله صلوات ربي وسلامه عليه في المنام، وإذا حدث هذا فإن هذا الطفل الرائي سيكون من ذوي الشأن والمقام، فتعاهدوا هذا الطفل، ونمّوا غرسه، فإنه من أهل الكرامة والبركة والشرف إن شاء الله!

وقد شدّني هدوء الطفل أنس الخولي، وسكون جوارحه، وسلامه الداخليّ، وشدة ثقته، وقد تلبّسته براءة الطمأنينة الطفولية بينما تتدفّق كلماته الطفولية الراضية، وكأنّ ما رآه ما زال يحيط به ويرعاه في كنفٍ قريبٍ على الرغم من ما يظهر على هيئته من علائم الترويع الذي تعرّض له في جحيم التوحّش الإسرائيلي والتشرّد الطويل.

وقد حكى لنا أنس أنّ رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه سقاه بيديه الشريفتين الماءَ المحلّى بالعسل، وقد أحسّ الطفل بحلاوة الطعم وتأثّر به بالغ التأثر حتى سمّاه بأنه "عسل الرسول"، وهذا يعني أن ما سيأتي من حاله سيكون أطيب وأنجَى مما عاناه من مرار من قبل؛ وبما أنّه شرب من يد رسول الله ﷺ فقد نالته بركة معنويّة خاصّة، ولا سيّما أنه سقاه ما يكفيه ويدفع حاجته، ويعلّمه الزهد أيضاً، وبما أنّه قد بسط له يديه غاية البسط وجمعهما له، فهذه علامة رزق قريب ناجزٍ عاجل له، وللمعنيين بهذه الرسالة من أهل بقعته من قطاع غزة. ورؤيا الماء والعسل أبلغ من رؤية الماء وحده أو العسل وحده، فرؤيا الماء حياة، ورؤيا العسل رزق وسعة، فإذا اجتمعا مع بركة يد رسول الله ﷺ الذي يسقيه ولا ينقط عليه ولا يجعله يلعقه لعقة لعقة، فهذا يعني قيام حياة جديدة متصلة مباركة كحياة أهل سفينة نوح وبركتهم بعد الطوفان وإرغامهم لعدوّهم ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾؛ وبما أنّه أعطاهم شربة الحياة والرزق فإنّه أعطى الإشارة أيضاً أنهم أهل حقّ، وأن اتّباعهم أشرف وأكرم وأغنَى، وأن خذلانهم خسارة وهوان وانحطاط.

وكان أنس وهو يسرد رؤياه على أمّه يركّز بشغفٍ واهتمام بالغ على تجلّي رسول الله ﷺ له في رؤيته، وهذا دليل على تجرّد رؤيته لرسول الله، وأنّ ثمّة سرّاً لاختصاصه بهذه الرؤية، حتى شعر الطفل بأنّه صاحب رسول الله وصديقه وأخوه، ولكنه أعطى لأمّه تفصيلاً هامشيّاً في آخر حديثه لها أنه شاهد والده الشهيد حيّاً مع رسول الله، وهو جزء صغير من فحوى هذه الرؤيا، فغشِيَت الطمأنينة أمّه الثكلى، وفرحت لمقام زوجها، وفرحت أكثر لمقام ابنها الذي وهبه الله هذا الحضور الاستثنائي المهيب، ولا شكّ أن الأمّ مقصودة في هذه الرؤيا، وأنها من أهل الكرامة أيضاً إن شاء الله.

وقد سألتُ عدداً ممن رأوا رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه في المنام، فكلّ واحد أدلَى بوصف هو أقرب إلى ما يعرفه ويألفه، وكأنه جاء على صفة يعرفها ويحبّها من الأوصاف السائرة لرسول الله ﷺ التي عرف الناس بعض معانيها، لأن الوصف المذكور في الكتب يصعب تصوّره إلا لمن يعرف العربيّة بعمق وخبرة، وكثيرون لا يوفّقون في دقة الوصف لصعوبة إجراء التوصيف لدى كثيرين وعدم وجود مفردات دقيقة لديهم، لكن هذا الطفل وفقه الله لذلك فشبّه وجهَه بوجه رسول الله، وشعره بشعره، وعينيه بعينيه؛ وكأنّ رسول الله قد تغيّر وجهه، غضباً مما يحلّ بطائفة من أمّته، بعدوان هؤلاء الأوغاد وبخذلان أولئك الجيران الأقربين. وقد فهمنا ذلك من اتساع عينيه وانفتاح نظره كما وصفه الفتى في رؤياه.

اهتمّت الأمّ سارية دحدوح بابنها أنس، وعلّمته كيف يصل أباه بالصدقة، فصار يحب الصدقة عن روحه جداً، ويغتبط لذلك لأنه والده سيكون سعيداً بما فعله. كان يحكي لأمه كم هو سعيد بها لأنها تفرحه بالرغم من حزنه، ولأنها كريمة طيبة، وكان يتمنى أن يرى أباه في المنام.

وتحكي أمّه أنّه رأى مصرع أبيه في المنام قبل أن تعلم باستشهاده، ورأى أباه شهيداً ملفوفاً بعلم فلسطين، وقد تسربل بالدم، فأمسك يدَه الدامية لكنها سقطت، ولمّا أخبرها بذلك استبعدت ما رآه، ونامت منقبضة الصدر، واستيقظت الفجر على خبر استشهاد زوجها، ففُجِعت، وكتمت حزنها، وظلّت شهراً لا تخبر ابنها بهذا النبأ الشديد خوفاً عليه حتى رأى رؤيا أخرى.

وقبل أن يعلم أنس باستشهاد والده رأى أباه في المنام واقفاً بأرض كلها شجر، تطوف بها العصافير البيضاء، وبطّ سبّاح، ومعه حصان جميل، فجاء، وسلّم عليه، فطلب منه أن يذهب معه، لكن والده لم يرضَ، وطلب منه أن يعود إلى أمّه ويرعاها و"يدير باله عليها"، فحزن لأن أباه تركه، وأحسّ أن والده ميت، وصار يبكي بغصّة ووجع، وقال لأمه: "لماذ لا تريدين إخباري بأن أبي "مَيِّت""!

لم تنسَ الأم مشهد القهر في بكائه فاحتضنته، وبكت معه، وقالت له: "أنت ابن الشهيد مالك، وأبوك بالجنة مرتاح، ولا بدّ أن نتحمل ونصبر ليكون أبوك فرحاً"، فسألها بحزن إن كان أبوه يراه الآن، ففرح بتأكيدها ذلك، وصار يضحك بشهقة بين بكائه الشديد، ورفعا أيديهما للسماء، ودعا له، وقرآ الفاتحة، ثم اعتادا فعل ذلك كل يوم.

يحكي أنس أنه بات يرى أباه كثيراً، ويكلمه وهو عند القمر، ويستأنس به دائماً، ويشتد غضبه على اليهود الذين قتلوه، وقتلوا عماته، وقتلوا أصدقاءه، وما درى الفتى أنه بات ذا كرامة عندما أدّى رسالة رسول الله عبره لأهل غزّة بأنّ الفرَج بات حقيقة تقترب، وأن بركة الله ستحلّ عليهم وتعوضهم، وتَجْبر كسرهم، فتفاءل الناس جدّاً برؤياه.

الطفلة ملاك عُثر عليها عالقة على شجرة بعد غارة قتلت أهلها

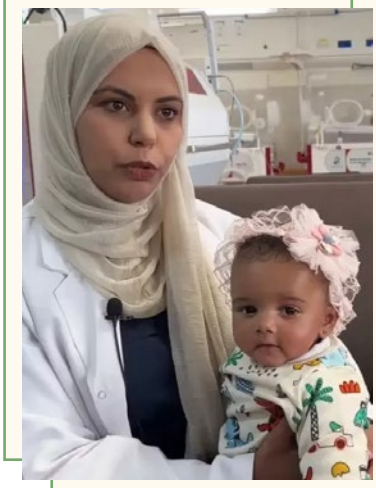

عُثِر عليها عالقة في شجرة ويبدو أنها سقطت على أغصان الشجرة بسبب غارة جوية إسرائيلية قتلت أهلها، ووصلت مستشفى الهلال الإماراتي في رفح أقصى جنوب قطاع غزة، وهي لا تكاد تبلغ من العمر إلا بضعة أيام، وما زال الحبل السري متصلاً بجسدها، ولا يعلم لها اسم ولا أهل، كما لم يتمكن أحد حتى ذلك الوقت من معرفة هل ما زالت عائلتها على قيد الحياة أم أمواتاً جميعاً، لذلك صُنِّفت بأنها "مجهولة الهوية" في البداية، قبل أن يسوق اللّه لها الممرضة أمل أبو ختلة التي أخذت الموافقة من وزارة الصحة في غزة بأن تبقى معها لترعاها، وأسمتها "ملاك"، بحسب ما قالت أمل أبو ختلة، لموقع شبكة أن بي سي الأمريكية، في تقرير نشره في 2024/4/12.

خطوط نشر كتب
مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

أولاً: الإصدارات باللغة العربية (198 مجلداً وكتاباً):

1. **سلسلة التقرير الاستراتيجي الفلسطيني**، صدر من هذه السلسلة 13 مجلداً، تغطي الفترة 2005–2023.
2. **سلسلة الوثائق الفلسطينية**، صدر من هذه السلسلة 7 مجلدات، تغطي الفترة 2005–2011.
3. **سلسلة اليوميات الفلسطينية**، صدر من هذه السلسلة 10 مجلدات، تغطي الفترة 2014–2023.
4. **سلسلة أولست إنساناً**، صدر من هذه السلسلة 13 كتاباً.
5. **سلسلة تقرير معلومات**، صدر من هذه السلسلة 30 كتاباً.
6. **سلسلة ملف معلومات**، صدر من هذه السلسلة 11 كتاباً.
7. **سلسلة دراسات علميَّة محكَّمة**، صدر من هذه السلسلة 16 كتاباً.
8. **كتب علمية متنوعة** (98 كتاباً).

ثانياً: الإصدارات باللغة الإنجليزية (39 مجلداً وكتاباً):

1. **The Palestine Strategic Report Series**, 12 Volumes (2005-2021).
2. **Am I Not a Human? Book Series**, 12 Books.
3. **Non-Serial Publications**, 15 Books.

يوفر مركز الزيتونة الكثير من الكتب والدراسات وفصول منكتب للتحميل المجاني عبر موقعه، يرجى الاطلاع على الرابط التالي:
https://www.alzaytouna.net

Spirits of the Flood

Exceptional Models of Heroism and Steadfastness in al-Aqsa Flood

Dr. Osama Juma'a Alashqar

أرواحُ الطُّوفان

هذا الكتاب هو توثيق لقصص ومواقف عظيمة تُروى عن أهل قطاع غزّة وأبطالها، في ظلّ الملاحم التي تسطرها بطولات الغزّيين وثباتهم الأسطوريّ، ومواجهتهم لاحتلالٍ دمويّ مجنون، لا تحكمه حدود من الأخلاق أو القوانين أو الاعتبارات.

هذا الكتاب هو رحلة بعض أرواح الطوفان التي سعى الكاتب أن تكون مشتملةً لفئات متعددة ومتفاوتة من المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة؛ الأستاذ والأكاديمي، والطبيب والمهندس، والفنان والشاعر والمثقف، والمبصر والكفيف، والسميع والأصمّ، والرجل والمرأة، والأستاذ والطالب، والشيخ والشاب والطفل، والمقاتل بسنانه ولسانه وفرشاته، والإمام والداعية، والطالب والتلميذ، والأم وابنها، والأب وابنه وابنته، والعائلة كلها وبعضها، والمستقلّ وابن التنظيم...

هذه الحكايات لقيت حظّها من التوثيق والتسجيل، وهي عينة صغيرة جداً من مشاهد عظيمة كثيرة، احتوت مواقف عظيمة غير مسجّلة وغير محفوظة، أو لم يبقَ ثمة شهود يروون قصتها.

يسعى مركز الزيتونة من خلال هذا الكتاب الذي نَسَجَ قصصه الدكتور أسامة الأشقر، وأُضيفت إليه بعض اللقطات والمشاهد القصيرة المؤثرة، إلى نشر صورة مختصرة عن معاناة الإنسان الفلسطيني في قطاع غزة واستجابته الإيمانية وعزيمته وإصراره، في ظلّ الحرب الإسرائيلية عليه إثر عملية طوفان الأقصى، بأسلوب يخاطب العقل والقلب معاً.

ISBN 978-614-494-054-9

9 786144 940549

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 14-5034 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 21 961+ | تلفاكس: 643 803 21 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net